وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
كلية الآداب واللغات
قسم اللّغة والأدب العربيّ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر
في اللّغة والأدب العربيّ
تخصص: نقد حديث ومعاصر

عنوان المذكرة :

الرّؤية الأيديولوجية في الرّواية الجزائريّة (سنونوات كابول لياسمينة خضرا نموذجا)

إعداد الطالبة :
لقدر فتيحة

إشراف الأستاذة :
د- سليمة عيفاوي

تمت مناقشتها بتاريخ .....
أمام اللجنة المكونة من

(اللقب والاسم)	(الرتبة)	(الصفة)
عز الدين جلاوجي	أستاذ محاضر أ	رئيسا
سليمة عيفاوي	أستاذ مساعد ب	مشرفا ومقررا
نايت علي مهانة	أستاذ محاضر ب	ممتحنا

السّنة الجامعيّة: 2021م-2022م

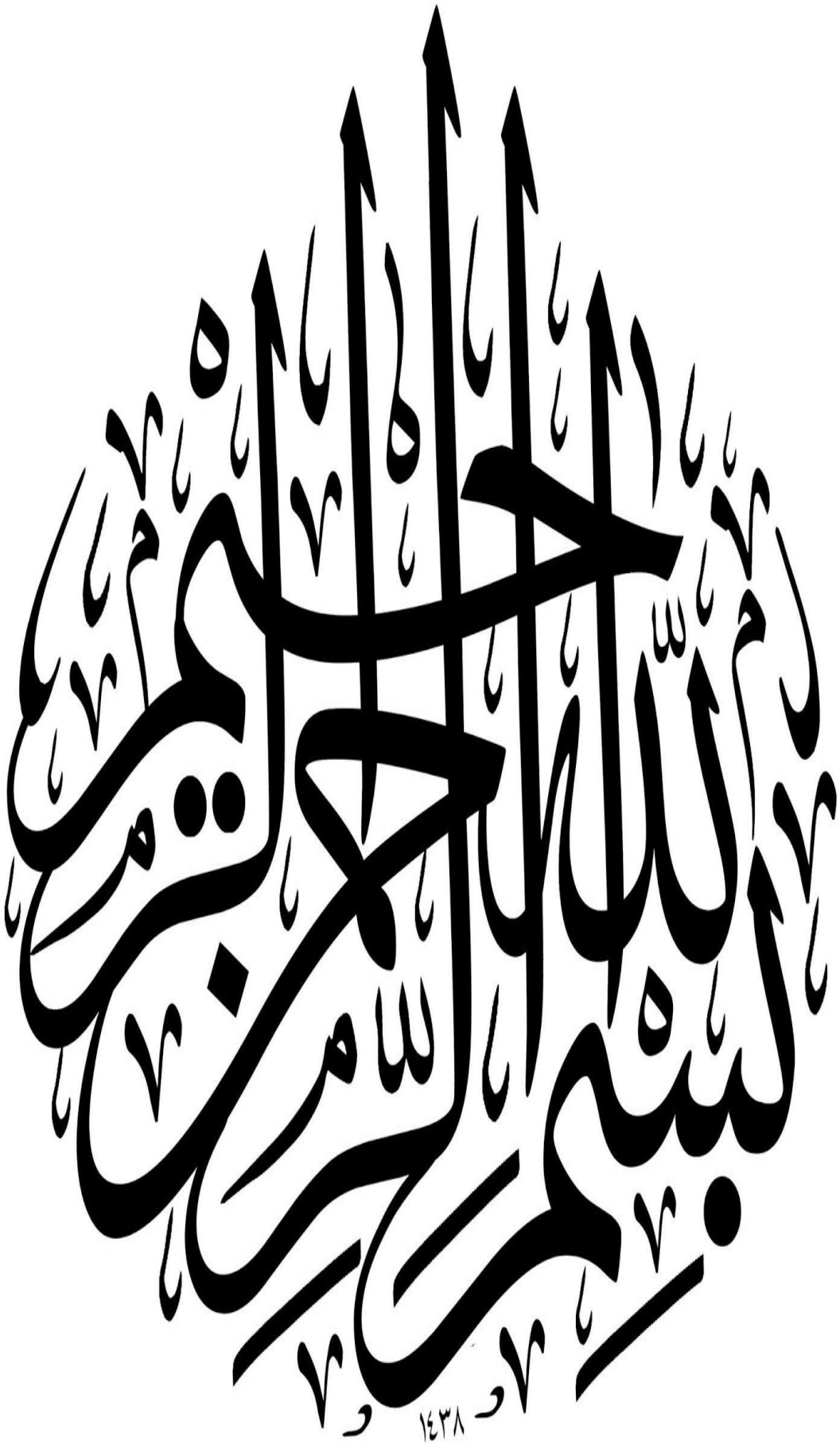
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

تشكرات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(إن أشكرَ الناس لله عزّ وجلّ أشكرُهم للنّاس)

نتقدم بجزيل الشّكر والعرفان للدّكتورة المشرفة " سليمة عيفاوي " على مجهوداتها ونصائحها القيّمة وعلى صبرها معنا لإنجاز هذا المذكرة.

كما نتقدّم بجزيل الشّكر المسبق للجنة المناقشة على ما سيقدمونه من ملاحظات وتوجيهات والتي لن تزيد هذا العمل إلّا إتقانا وجمالا.

و نشكر كلّ أساتذة كليتنا على دعمهم وتشجيعهم لنا، خاصة أساتذة شعبة الدّراسات النّقديّة دون أن ننسى من مدّ لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد ونخصّ بالذّكر الأساتذة : سعدلي سليم ورياض نويصر وعز الدّين جلاوجي وبوعلام رزّيق ورئيس القسم وكلّ من ردّ على انشغالاتنا والشّكر للثلاثي الرّائع فلولا حفاوة استقبالهم ما كنّا لنواصل الدّراسة وما أنجزنا البحث، بداية بالسّيّد العميد وبن مخلوف آمال والمهندس ياسين نايت الصغير، شكرا لأنّكم رسمتم صورة رائعة عن الجامعة قبل أن نلج إلى عالمها.

الإهـــــداء ....

أهدي هذا العمل إلى من قال فيهما الله تعالى:

"واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة

وقل ربي ارحمهما كما ربّياني صغيرا "سورة الإسراء الآية 24

إلى سندي في الحياة، أمي وأبي حفظهما الله وأطال في عمريهما،

إلى زهرتيّ، حبيبتا قلبي، ابنتيّ أسماء وفطيمة

إلى نفسي، وسندي الآخر بعد والديّ شقيقيّ : فاتح وموسى

إلى نجوم ليلي حين تنطفئ شمعتي، وتذبل وردتي حبيبات قلبي أخواتي

زوليخة، نصيرة، مريم، سارة، إيمان

إلى من قيل فيهم المثل "أخ لم تلده لك أمّ" أزواج إخوتي وزوجة أخي

محمد، عبد الحفيظ، رابح، عماد، سيف الدين، ثلجة

إلى نور بيت العائلة، وملاكها، صغاري، أبناء إخوتي وفقهم الله

شيماء، إسحاق، محمود، مسعودة، عبد القادر، عبد السميع، معاذ،

ندى، رجاء، أمين، تقوى، قصي

عبد الرّحمن، زياد، مرام، فرح.

إلى جنود الخفاء؛ من لم تفارقني دعواتهم، من يضمرون لنا الحب :

خالتي حسينة أمّ عماد وروح خالتي مسعودة الطّاهرة أم رابح رحمها الله

نبيلة، فروجة، سميرة، شهيناز، كاتيا، خالاتي(نادية، حياة، فطيمة، مليكة، وردية،

نادية) أخوالي (قويدر، بشير، فاتح، الرّبيع)

إلى توأم روحي صديقتي صباح بعطيش حفظها الله

إلى من غذّى روحنا بالأمل من وثق فينا بلا حدود ودعا لنا من القلب

خديجة بن ساسي ،مريم علون، كوثر بن عومار

إلى ثانوية الشيخ عمر أبي حفص

وأساتذتها وعمالها وتلاميذي

إلى ثانوية بوحمزة –صدوق-بجاية وتلاميذي وصديقاتي : فيروز، كهينة، كهينة

إلى ثانوية دبيح الشريف –أقبو-بجاية وتلاميذي، إليك صديقتي سليمة

إلى جامعة البشير الإبراهيمي من إطارها إلى عاملها

نزلنا ضيوفا عندكم،

فعلّمتمونا درسا في الكرم
إلى من رفعوا رايات العلم والتعليم أنّى وجدوا

مقدمـــــــة

مقدمة

تعّد الرّواية اليوم أداة من الأدوات الفعّالة، التي تعبّر عن القضايا والأيديولوجيات المختلفة، وقد صارت الأكثر قيمة وذلك لقدرتها على التّعامل مع الواقع ومتغيراته، إذ استحضرت التّاريخ ومختلف المظاهر الاجتماعية والثّقافية والسّياسية والدّينية، التي ميّزت مجتمعا من المجتمعات الإنسانيّة في بيئة زمكانيّة معيّنة، فالرّواية اليوم صارت ديوان العرب أخذت شرعيتها من قدرتها على صهر الرّؤية الأيديولوجيّة بصوغ جماليّ، يجمع بين الواقع والمتخيل الفنّيّ، وما نلاحظه على السّاحة النّقديّة هو كون الأيديولوجيا وقضايا الفكر أصبحت التّيمة الرّئيسيّة في كثير من الدّراسات النّقديّة الحديثة والمعاصرة التي كشفت عن الرّؤية الأيديولوجيّة وعلاقتها بالرّواية، خاصة أنّ الرّواية لا تخلو من الأبعاد الأيديولوجيّة المرتبطة بأفكار الكاتب وتوجّهاته المضمرة داخل البنية السّرديّة للخطاب الرّوائيّ والتي تنبع من النّصّ في حدّ ذاته، والرّواية هي الجنس الأدبيّ الذي يمتصّ ألم الذّات ويحلّل الواقع المعقّد بكلّ أبعاده، وبما أنّ الأمر متعلّق بتناول القضايا الفكريّة والأيديولوجيّة، فإنّ الرّواية هي الأقدر لاحتضان مختلف الرّؤى الأيديولوجيّة.

وقد استوعبت الرّواية الجزائريّة سواء المكتوبة باللّغة الفرنسيّة موضوع دراستنا، أو المكتوبة باللغة العربية قضايا المجتمع الجزائريّ وهمومه كما عالجت مختلف القضايا العربيّة والإسلاميّة كالقضية الفلسطينية والقضيّة الأفغانية وغيرها من القضايا ذات الأبعاد الأيديولوجية المختلفة ،وقد حظيت القضيّة الأفغانية باهتمام كبير من طرف الكتاب سواء الأفغان أو العرب والمسلمين خاصة وارتبطت هذه القضية بظاهرة العنف مرورا بالغزوّ السوفييتي الذي قلب حياة كابول رأسا على عقب إلى سيطرة حركة طالبان المتطرّفة وما أحدثته من آثار سلبية على المجتمع الأفغاني وعلى المرأة خاصة ثمّ دوّامة التّدخّل الأمريكيّ، وقد عبّر الأدباء عن رؤيتهم الأيديولوجيّة إزاء القضيّة الأفغانية، وضمّنوا مواقفهم ضمن إبداعاتهم الرّوائية فحاولوا تعرية هذا الواقع المؤلم ليفضحوا المعاملات اللّاإنسانية التي عانى منها الشّعب الأفغانيّ سواء من الاستعمار الغربيّ أو من أبناء الوطن، ومن الرّوائيين الذين عالجوا هذه القضيّة خالد حسيني وعتيق رحيمي إلى جانب الرّوائي الجزائريّ ياسمينة خضرا وغيرهم.

ونظرا **لأهمّية موضوع** القضية الأفغانية وتداعياتها على الأمّة العربية والإسلاميّة والإنسانيّة جمعاء، وحضورها في الخطاب الرّوائيّ خاصة ليعبّر فيها الكتّاب عن توجّهاتهم الأيديولوجية، ورؤاهم المختلفة حول ما يحدث في مدينة كابول وأفغانستان، اخترنا أن يكون موضوع دراستنا اليوم هو رواية جزائريّة بلسان فرنسيّ للكاتب الجزائريّ ياسمينة خضرا وهي رواية سنونوات كابول التي عملت على صهر مختلف القضايا الأيديولوجية في قالب فنّي جماليّ احتوى القضية الأفغانية وعكس صورة كابول الحزينة والشّاحبة، وهي تتخبّط وسط الخراب، وأهميّة البحث تنحت نفسها من جدلية العلاقة بين الرّواية والرّؤية الأيديولوجيّة باعتبار أنّ الأدب انعكاس لهذه الرّؤية والتي لها تأثير كبير جدّا على المجتمعات.

ومن أهمّ الأسباب التي دعتنا إلى الاهتمام بالرّؤية الأيديولوجية وعلاقتها بالرّوايةّ الجزائريّة و برواية سنونوات كابول خاصة :

1- **الأسباب الذّاتية :**

- رغبتنا في قراءة الأبعاد الأيديولوجيّة وتفكيك رموز الرّواية وكشف إيحاءاتها، خاصة أنّها تناولت موضوع التّطرف الدّينيّ المجسّد في حركة طالبان، والذي **عانينا منه في العشريّة السّوداء في الجزائر أيضا**.

- أردنا تسليط الضّوء على أحد أعمال الرّوائي الجزائريّ محمد مولسهول والملقّب بياسمينة خضرا، واخترنا رواية سنونوات كابول كأنموذج، نتيجة لكونها ترجمت إلى العديد من اللّغات، حتّى أنّها حوّلت إلى فيلم كرتوني فرنسي ونالت جوائز، **لنرى سرّ كلّ هذا الاهتمام**.

- رغبتنا في الإسهام في إثراء الدّراسات المنجزة حول هذه المدوّنة وبإثارة موضوع جديد، لنغوص في أعماق الرّواية **ونكشف عن رؤيتنا أيضا للمسكوت عنه في الرّواية**.

2-**الأسباب الموضوعيّة** :

-كشف علاقة الأيديولوجيا بالرّواية الجزائرية و بالكاتب.

- الرّوائي ياسمينة خضرا شعلة في مجال الرّواية خاصة، تناول الواقع بلغة إيحائية راقية، تضمر عن توجهات أيديولوجية، ومواقف متنوعة إزاء القضايا الفكرية والدّينية والسّياسية والاجتماعية المطروحة، ورغبة منا في استقراء ذلك اخترنا البحث.

- تقديم مقاربة للخطاب السّرديّ وكشف الأبعاد الأيديولوجية وتجلياتها من خلال عناصر البنية السّرديّة في الرّواية عبر العنوان والشّخصيات والزّمن والمكان.

- تسليط الضّوء على القضيّة الأفغانيّة ورصد خلفيات أزمتها مع كشف أبعادها الأيديولوجيّة.

- الكشف عن واقع المرأة الأفغانية المهمّشة في مجتمع ذكوريّ.

-الرّواية لامست الواقع ونقلت لنا مظاهر العنف والإرهاب الأعمى وقضيّة التّطرّف التي عانت منها الجزائر وطن الكاتب و وطننا.

-تعرية اللّغة وكشف المضمرات الأيديولوجية سواء للرواية كأيديولوجية أو أيديولوجية الرّواية والرّاوي.

ونظرا لأهميّة موضوع الأيديولوجيا وعلاقته بالرّواية وأهمية القضية الأفغانية في حدّ ذاتها كقضية إنسانية عالمية فإننا اخترنا هذا البحث الموسوم ب: **الرّؤية الأيديولوجيّة في الرّواية الجزائرية** واخترنا **سنونوات كابول نموذجا** لياسمينة خضرا ، للتّطبيق عليها معالجين الإشكاليات التالية :

كيف تجلّت الرّؤية الأيديولوجيّة في نماذج من الخطاب الرّوائيّ الجزائريّ سواء المكتوب باللّغة الفرنسيّة أو باللّغة العربيّة ؟ ، وكيف ترجم ياسمينة خضرا رؤيته الأيديولوجيّة من خلال رواية سنونوات كابول؟، وهل استطاع الرّوائيّ أن يعكس للمتلقّي الأزمة السّياسيّة والاجتماعية في القضيّة الأفغانية ؟، وكيف تجسّدت الأيديولوجيا في البنية السّردية كالعنوان وسلوك الشّخصيات والزّمن والأمكنة؟، وما الأبعاد الأيديولوجية المختلفة والمضمرة في الرّواية ؟ وهل نجح الرّوائيّ في التّعبير عن هذه الشّحنة الأيديولوجية؟

وقصد الإجابة عن هذه الإشكاليات المطروحة وضعنا **تصميما خاصا**، هذا التّصميم الذي هو لازمة من لوازم البحث العلميّ، وقد قسّمنا البحث إلى : ثلاثة فصول وسنقف على أهمّ النّقاط التي رصدناها في كلّ قسم :

ففي **الفصل الأوّل** : وقد كان بمثابة حيّز لتوضيح المفاهيم والمصطلحات بتفكيك عنوان البحث وسمّيناه ب : **"مصطلحات ومفاهيم ورؤى"**, وقد تعرّضنا فيه لمفهوم مصطلحات : الرّؤية و الأيديولوجيا والرّواية من النّاحية اللّغويّة والاصطلاحيّة على التّوالي، كما تناولنا موضوع الرّواية الجزائريّة ونشأتها ومضامينها سواء المكتوبة باللّغة العربية أو المكتوبة باللّغة الفرنسية، ثم ركّزنا على علاقة الأيديولوجيا بالأدب والرّواية الجزائرية خاصة، فكشفنا عن بعض الرّؤى الأيديولوجية في الخطاب السّردي الجزائريّ باختلاف الاتّجاهات الأيديولوجيّة.

أمّا **الفصل الثاني** : فقد اخترنا له عنوان : **" بنية السّرد وأبعادها الأيديولوجيّة في رواية سنونوات كابول"**، وجاء هذا الفصل جامعا بين النّظري التطبيقي ولو أنّنا ركّزنا على الجانب التّطبيقيّ أكثرّ، باعتبار وجود دراسات سابقة تناولت البنية السّردية لهذه الرّواية، لكنّنا سلّطنا الضّوء على البعد الأيديولوجيّ في الخطاب الرّوائي مع ربطه بالعناصر السّرديّة المختلفة، فتناولنا فيه ما يلي :

نبذة موجزة عن رواية سنونوات كابول، ثمّ أشرنا إلى المرجعيّة السّوسيوتاريخية للرّواية ثمّ لخّصنا الرّواية، وفضّلنا أن يكون طرحنا للتّلخيص مستهدفا الأبعاد الأيديولوجيّة للرّواية، ثمّ تناولنا دلالة العنوان الأيديولوجية (أدلجة العنوان)، ثمّ قمنا بتحليل الشّخصيات ووصفها لنكشف عن الأبعاد الأيديولوجيّة التي تجلّت من خلال وصف الشّخصيات وحوارها، ثمّ حاولنا دراسة زمن الرّواية وعلاقته بالأبعاد الأيديولوجيّة للكاتب، وقد ركّزنا على ما يخدم البحث وهو المقارنة بين زمنين مختلفين من خلال استرجاع الزّمن المضيء ومقارنته بالزّمن الرّاهن، ما يكشف عن رؤية أيديولوجيّة، ثمّ انتقلنا إلى رصد الأبعاد التي تضمّنتها الأمكنة التي جرت فيها الأحداث، وقد صنّفناها إلى أماكن مغلقة وأخرى مفتوحة، وحلّلناها مستخرجين الدّلالات الأيديولوجيّة التي توحي بها الأمكنة وربطناها بالشّخصيات والزّمن والتّاريخ والسّياسة والمجتمع ...والرّؤى المختلفة المضمرة داخل الخطاب السّرديّ.

أمّا الفصل الثّالث : والذي عنوناه ب **"الرّؤية الأيديولوجيّة في رواية سنونوات كابول"**، وقد حاولنا وبالاستعانة بتحليلاتنا السّابقة أن نميّز بين الرّؤي الأيديولوجيّة المتداخلة، كالرّؤية التّاريخيّة والدّينيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، وقد استندنا إلى البنية السّردية أثناء التّحليل لنكشف عن هذه الرؤى.

وانطلاقا من المعطيات السّابقة، فإننا اعتمدنا المنهج البنيوي التّكوينيّ لأنّه الأنسب للرّبط بين النّصّ كشكل فنّي جماليّ وبين القضايا التّاريخيّة والسّياسيّة والدّينية والفكريّة التي عالجها الرّوائي في روايته.

والجدير بالذّكر هو قلّة الدراسات التي تناولت موضوع الرؤية الأيديولوجيّة في الرواية الجزائرية وفي رواية سنونوات كابول و القضية الأفغانية خاصة باستثناء بعض المقالات والمذكرات التي تناولت الأزمة الأفغانية لكن دون أن تتعمق في توجهات الرّواية الأيديولوجيّة.

ومع ذلك فقد استندنا إلى مجموعة من المراجع العربيّة والمترجمة والمقالات المبثوثة في المجلّات خاصة، نذكر منها : كتاب**" النّقد الرّوائي والإيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرّواية إلى سوسيولوجيا النّصّ الرّوائيّ " لحميد لحميداني،** وكتاب**"مفهوم الإيديولوجيا لعبد الله العروي"**، ومقال **للدكتور "فؤاد علجي" بعنوان : "الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربيّة بحث في التأسيس والتأصيل"**، وكتاب**"الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ(نشأته وتطورّه وقضاياه) لأحمد منور.**

وفي ضوء الإشكاليات المطروحة، لم يخل هذا البحث كغيره من البحوث من صعوبات واجهتنا، أثناء عملية البحث والتّحليل، ويرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع في حدّ ذاته، والمرتبط بتجلّيات الرّؤية الأيديولوجيّة في عمل فنّي وهو الرّواية الجزائريّة وفي قضيّة غير القضيّة الوطنيّة ألا وهي الأزمة الأفغانية، والتي كانت محور الرّواية الأنموذج التي اخترناها للكشف عن الرّؤية الأيديولوجيّة في البنية السّردية، ومع ذلك ورغم اختلاف المفكّرين والفلاسفة والأدباء في مفهوم مصطلح الأيديولوجيّة وهو التّيمة الرّئيسية للبحث نسلّم بأنّ البحث العلميّ لابدّ فيه من أصالة وابتكار لا أن يكون نسجا على منوال سابق.

ونرجو من خلال بحثنا المتواضع أن نلمّ بالتّصورات المرتبطة بمصطلح الأيديولوجيا، وأن نكشف علاقتها بالعمل الأدبي والرواية الجزائريّة خاصة من خلال المضامين الأيديولوجية التي احتوتها الرّواية الجزائريّة عبر مراحلها، ومن خلال تطبيقنا على رواية جزائرية بلسان فرنسيّ **"سنونوات كابول"**، نطمح إلى كشف رؤية الرّوائي الأيديولوجية إزاء القضية الأفغانية بكلّ أبعادها، ورؤية الرّواية وحتّى القارئ لم لا؟، ونسلّط الضّوء بذلك على القضيّة الأفغانيّة ومعاناة المجتمع الأفغانيّ والمرأة من التطرّف الدّيني المنسوب لحركة طالبان خاصة.

وفي الختام نتقدّم بالشّكر الجزيل لأستاذتي الفاضلة المشرفة التي تقبلت تبنّي هذا البحث بصدر رحب، والتي كانت خير موجّه ومرشد حتّى استوى العمل بإرشاداتها، الأستاذة **"د- سليمة عيفاوي"**، كما نشكر كلّ من كانت له اليد الفضلى علينا في إنجاز هذا البحث ورغم أنّنا نسلّم بأنّ البحث لا يرقى إلى الكمال المنزّه عن النّقائص، فلكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان، إلاّ أنّنا نتمنّى أن يضيف البحث للدّراسات الأكاديميّة التي تعنى بالجانب الأيديولوجيّ في النّصوص السّرديّة.

الفصل الأول
مفاهيم ومصطلحات ورؤى

الفصل الأول :مفاهيم ومصطلحات ورؤى

1-مفهوم مصطلح : رؤية

1-1-مفهوم مصطلح رؤية لغة

2-2- مفهوم مصطلح رؤية اصطلاحا

2- مفهوم مصطلح : أيديولوجيا

2-1- مفهوم مصطلح : أيديولوجيا لغة

2-2- مفهوم مصطلح : أيديولوجيا اصطلاحا

3-مفهوم مصطلح : الرّواية

3-1- مفهوم مصطلح : الرّواية لغة

3-2- مفهوم مصطلح : الرّواية اصطلاحا

4 نشأة الرّواية الجزائريّة ومضامينها.

4-1- نشأة الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللغة العربية ومضامينها.

4-2- نشأة الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللغة الفرنسية ومضامينها.

5- الرّؤية الأيديولوجية في الرّواية الجزائريّة.

5-1- الأيديولوجيا والرّواية.

5-2- الرّؤية الأيديولوجية في الرّواية الجزائرية,

تمهيد:

تعدّ الرّواية من أكثر الأجناس الأدبيّة تعقيدا وأكثرها قدرة على التّعامل مع مختلف القضايا الواقعيّة، وهي من أكثر الفنون استحضارا للتّاريخ والسّياسة ومختلف الرّؤى الأيديولوجيّة والتي تحتويها الكتابة الأدبية، سواء بشكل ظاهر أو مضمر، عن طريق الإيحاء والرّمز، وتقنيات سرديّة خاصة، ينطلق فيها الكاتب من رؤيته الأيديولوجية الخاصة التي تختلف من كاتب إلى كاتب آخر، فالطّرح الأيديولوجيّ في العمل الأدبيّ والرّواية خاصة، يتحكّم في إنتاج النّصوص الإبداعيّة، ويكون وثيق الصّلة بالحياة الاجتماعية والدّينية والسّياسية والثّقافية، سواء المحلية الجزائريّة أو العربيّة الإسلاميّة أو العالميّة.

والحديث عن علاقة الرّؤية الأيديولوجيّة للأديب بالرّواية الجزائريّة، باختلاف لغتها ومراحلها ومضامينها، كجنس أدبيّ استوعب الواقع الاجتماعيّ والسّياسيّ والاقتصاديّ الوطنيّ والعالميّ، يقودنا إلى البحث عن هذه العلاقة والتّعمق فيها، وقبل ذلك لابدّ من التّعرف على هذه المصطلحات والمفاهيم التي تشكّل الخلفيّة الأساسيّة لهذا البحث مع إبراز مدلولاتها وتطوّراتها في هذا الفصل النّظريّ، وذلك قصد الإجابة عن الإشكاليات الآتية : ما المقصود بمصطلحات الرّؤية والأيديولوجيا والرّواية ؟ ، وكيف تجلّت الرّؤية الأيديولوجيّة للأديب في الرّواية الجزائرية سواء المكتوبة باللغة العربية أو باللغة الفرنسية ؟.

1- <u>مفهوم مصطلح رؤية :</u>

الرّؤية من أهمّ المصطلحات النّقديّة المعاصرة، إذ يصبح النّصّ الرّوائي انعكاسا لوجهة نظر الكاتب أو رؤيته داخل أيّ خطاب روائيّ، يستمدّ مادته الأساسيّة من الواقع، ولكي نعرف دلالة

المصطلح لابدّ من الوقوف أوّلا عند معناه اللّغويّ ثم نبحث عن مفهومه النّقديّ، فما المقصود بمصطلح الرّؤية؟، وما الفرق بين مصطلحي الرّؤية والرّؤيا ؟

1-1- مفهوم مصطلح رؤية لغة : جاء في **"لسان العرب" "الابن منظور"** في مادة **رأى"** الرّؤية بالعين تتعدّى إلى مفعول واحد، وبمعنى : العلم تتعدّى إلى مفعولين، يقال رأى زيدا عالما، ورأى رؤية، مثل راعه، وقال **ابن سيّدة** : الرؤية : النّظر بالعين والقلب [1]، فلفظة **رؤية** تعني : قدرة الإنسان على الإبصار، ورؤية الأشياء بواسطة العين والقلب، فأمّا رؤيتها بالعين، فما نلاحظه عن طريق الإبصار، وأمّا رؤيتها بالقلب، فتتجاوز المشاهدة المباشرة بالعين إلى الفكر والتدبير، وقد جاء في المعجم الفلسفي **"جميل صليبا" الرّؤيا** : **"**ما يرى في النّوم وقد يطلق لفظ الرّؤى على أحلام اليقظة، أمّا الرّؤية هي المشاهدة بالبصر وتطلق الرّؤية في الفلسفة الحديثة على وظيفة حاسة البصر**"**[2].

أي أنّ **الرّؤيا** متعلّقة بالنّوم، أمّا **الرّؤية** فترتبط بفعل المشاهدة والإبصار، وتطلق على كلّ ما يراه الإنسان بعينه المجرّدة، ومن خلال التّعريف المعجميّ لمصطلح الرّؤية : يبدو أنّه يتضمّن دلالات مختلفة تتراوح بين الرّؤية البصريّة الحسّية والرؤية القلبية المجرّدة وغيرها من الدّلالات.

2-1- مفهوم مصطلح رؤية اصطلاحا : هو من المصطلحات الغامضة في النّقد الأدبيّ، ويتعلّق بموقف الأديب أو وجهة نظره أو رؤيته الخاصة، إزاء قضايا عصره المختلفة والتي تختلف من أديب لآخر، حسب طبيعة البيئة أو انتماء الأديب الأيديولوجيّ، وهناك من النّقاد من يوحّد بين مصطلحي رؤيا ورؤية في مجال النّقد، "فلا فرق بين موقف النّقاد الذين اهتموا بمصطلح رؤيا، والنّقاد الذين اهتموا بمصطلح رؤيّة، لأنّ كلّا من الطّرفين ينظر إلى المصطلحين بنفس المنظور(فهم متقارب)، وهذا الفهم قائم على موقف المبدع من الحياة، ومحاولة تقديم معادلا لها، أو إعادة صياغتها وفق معيار خاص بكلّ مبدع **"**[3]، فالمبدع تكون له رؤية خاصة يضمّنها في عمله الإبداعيّ، ويبيّن من خلالها موقفه من الحياة.

وتعرّف **الرّؤية** في الفنّ أيضا على أنّها : "المادة الوثائقيّة التي يعكسها الفنّان من الواقع وتخصّ المجتمع والفرد معا، يضاف إلى ذلك موقف المبدع وطرائق تشكيله الجماليّة لتلك الرّؤيّة"[4] ، أي أنّها تعبّر عن موقف المبدع أو وجهة نظره، فيما يتعلّق الأمر بالواقع المعيش، وقضايا المجتمع والفرد مع اكتشاف طبيعة التّشكيل الجماليّ الذي جسّد فيه المبدع موضوعاته وأفكاره ضمن أعماله الإبداعيّة.

---

[1] -ينظر : ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين : لسان العرب، مج4، دار الحديث، القاهرة، 2003م، ص(12- 13).

[2]- جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1982، ص(604-605).

[3]- محمد العنتيلي : الرّؤية في المفهوم النقديّ، 23ديسمبر2017م، ساعة12:05ص، الاطلاع 12 فيفري 2022م، ساعة13:30. https://www.rqiim.com/elentably

[4] - عبد الله خلف العسّاف : دراسة جمالية نصّيّة في الشّعر السّعودي الجديد (ممارسة في النّقد التّطبيقي)، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، دط، 2005م، ص9.

ورؤية الأديب كلّما كانت أكثر عمقا وحساسية وذكاء، كلّما كانت أقدر على كشف القوى التي تعترض حركة الواقع وتقهر إنسانية الإنسان، كما أنّها تصبح أقدر على تخيّل طبيعة المستقبل الذي يحقق للإنسان إنسانيته[1]، فالرّؤية لها قدرة كبيرة جدا على اكتشاف الواقع وتناقضاته، وتسعى إلى تحقيق الإنسان لإنسانيته في ظلّ الظّروف الاجتماعية والسّياسية والاقتصادية المزرية التي تعترض حياته وتقهر إنسانيته، وتختلف من أديب لآخر، والرّؤية توفّر للقارئ والنّاقد القدرة على اكتشاف مواقف المبدع من الظّواهر المختلفة التي يضمّنها داخل خطابه السّرديّ خاصة، ومن ثمّ تبيّن موقفه الأيديولوجي من القضايا الرّاهنة المحيطة به.

2-مفهوم مصطلح أيديولوجيا:

شغل مصطلح الأيديولوجيا اهتمام عدد كبير من العلماء والباحثين، وقد نشأ هذا المصطلح في ظروف خاصة، كالصّراع بين سلطتي الكنيسة والفلاسفة، إذ يرى الفلاسفة في الكنيسة سلطة ظالمة تمنع العقل من الوصول إلى نور المعرفة والحريّة حبّا في الاستبداد والسّيطرة، وترى الكنيسة في الفلسفة ثورة شهوانيّة على التربية الأخلاقية التي تكبح جماح النّفس[2]، فالفلسفة قد عارضت الدّين الذي كان ظالما، حدّ من حرية الفرد، بسيطرته على العقل الإنسانيّ، ورفضه للتّغيير والتّجديد، فتمرّدت على الأفكار السّائدة آنذاك.

ومصطلح أيديولوجيا ظهر للمرّة الأولى عند **"دو تراسي" "de tracy"** عام **1796م**، حين قدّم مذكّرة أمام المعهد الوطني الفرنسيّ حول ملكة التفكير، واقترح فيها لأوّل مرّة تسمية الفلسفة الجديدة، والتي هي في الوقت نفسه علم الإنسان والمجتمع بالأيديولوجيا L'ideologie [3]، وقد انتشر مصطلح الأيديولوجيا نهاية القرن الثّامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر ميلادي لدى دو تراسي، المفكّر الفرنسيّ الذي ابتكر مصطلح الأيديولوجية في كتابه عناصر الأيديولوجيا.

فقد ظهر مصطلح الأيديولوجية لأوّل مرّة في عصر التنوير الفرنسيّ، عند أنطوان دو تراسي، حين تناول في مذكرة تخرجه موضوع هذا العلم الجديد وسمّاه بالأيديولوجيا، وهي ليست نتيجة مبادرة فرديّة، وإنّما في سياق الرّدّ على تسمية أخرى اقترحها غيره على هذا العلم[4]، وقد فضّل دو تراسي مصطلح أيديولوجيا في قوله : أنا أفضّل كثيرا أن نتبنّى تسمية أيديولوجيا أو علم الأفكار[5]، ولتعريف المصطلح لابدّ أن نقف عند المعنى اللّغويّ ثم الاصطلاحيّ.

---

[1] - ينظر : عبد المحسن طه بدر:الرؤية والأداة نجيب محفوظ .دار المعارف,القاهرة، مصر، ط3، 1984م، ص 16.

[2] - عبدالله العروي ; مفهوم الإيديولوجيا المركز الثقافي العربي، لدار البيضاء، المغرب، ط5، 2012م، ص26.

[3] - ينظر : عبد الله إبراهيم : ماهي الإيديولوجيا؟, علم الأفكار أم الأفكار من دون علم ؟، دار التنوير، مركز دراسات فلسفة الدّين، بغداد ، العراق، ط1، 2017 م، ص(47-48).

[4] -ينظر : المرجع السّابق : ص48.

[5] ينظر : المرجع نفسه : ص48.

2-1- مفهوم مصطلح الأيديولوجيا لغة : جاء في القاموس السّياسيّ بأنّ الأيديولوجيّة : كلمة من أصل يوناني, مكوّنة من مقطعين : إديو(**ideo**) بمعنى ما هو متعلّق بالفكر ولوجوس(**logos**) بمعنى علم، فالأيديولوجية فرع من الدّراسات الإنسانيّة التي تبحث في طبيعة الفكر ونشأة الصّور العقليّة عند الإنسان، و**الأيديولوج** هو : باحث نظريّ، يعنى بالصّور الفكريّة النّابعة من جوهر الموضوع لا من ناحية التّطبيق العمليّ[1]، فأصل المصطلح يعود إلى اليونان أولا ويرتبط بكلمتي الفكر والعلم، وقد أطلق عليه بمصطلح علم الأفكار، "وكلمة أيديولوجية دخيلة على جميع اللّغات الحيّة تعني لغويا في أصلها الفرنسي علم الأفكار"[2]، فالأيديولوجيّة في معناها اللّغويّ **:** عبارة عن علم يهتمّ بالأفكار التي يعتنقها النّاس للتّعبير عن آرائهم واتّجاهاتهم.

و مفهوم الأيديولوجيا المستخدم هنا يحتوي عمدا على الأفكار والخبرة اليوميّة وعلى المذاهب الفكريّة وعلى منظومات الفكر والخطاب المؤسّس لمجتمع من المجتمعات سواء بسواء[3]،ولم يحد المفهوم اللّغوي لمصطلح أيديولوجية عن معنى علم، يدرس الأفكار التي يؤمن بها مجموعة من النّاس والتي تحدّد رؤيتهم وموقفهم من العالم المحيط بهم.

ويعرّف **دو تراسي** الأيديولوجا : "بأنّها تسمية عاقلة لا تتضمّن أيّ شيء مجهول أو أيّ فكرة سببيّة تثير الشّكّ، وهي تسمية واضحة إلى درجة كبيرة عند الكلّ فكلمة فكرة يعرف كلّ واحد منّا المقصود بها وهي تسمية دقيقة جدا لأن أيديولوجيا هي التّرجمة الدّقيقة لعلم الأفكار وهي تسمية لها أفضليّة إضافية نشير فيها في الوقت نفسه إلى الهدف والوسيلة للعلم النّاتج عن تحليل الأحاسيس " [4]، فالأيديولوجية تتميّز بالوضوح وعدم الغموض و نرجع ذلك لترجمتها الدّقيقة لعلم الأفكار النّاتج عن العواطف والأحاسيس، "وتسعى لضبط مدى صحّة أو خطأ الأفكار التي يحملها النّاس، هذه الأفكار التي تبنى منها النّظريات، الاجتماعيّة في القرن التّاسع عشر."[5]

وقد اهتمت الأيديولوجيا بالأفكار و دراستها وفق قوانين تجريبيّة توافق الحياة الاجتماعية وما يلاحظ على هذه المفاهيم اللّغوية أنّها ارتبطت بمصطلح واحد وهو علم الأفكار.

2-2-مفهوم مصطلح أيديولوجيا اصطلاحا :

للأيديولوجية أهميّة كبيرة في حياة الإنسان إذ تساعده على فهم الوجود وما يحيط به، ويرى "**عبد الله العروي**" أنّ مفهوم الأيديولوجية بمعناها السّياسي: " يتّصل بميدان المناظرة السّياسية فهو يعبّر عن الوفاء، والتّضحية والتّسامي عند المتكلم به، بينما تتّخذ أيديولوجية الخصم عن هذا المتكلم

---

[1] - ينظر : أحمد عطية الله : القاموس السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط3، 1968م,ص161.

[2]- عبد الله العروي : مفهوم الإيديولوجيا، ص 9.

[3] - ينظر : جوران ثربورن، تر : إلياس مرقص : أيديولوجية السّلطة وسلطة الأيديولوجيا، دار الدّوحة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان, ط1, 1982م, ص16.

[4] - عبد الله إبراهيم : ماهي الإيديولوجيا ؟ علم الأفكار أم الأفكار من دون علم, ص49.

[5] - ريمون بودون وفرانسوا بوريكو : المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر : د.سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1986م، ص85.

نفسه معاني نقيضة، إذ تتحوّل الأيديولوجي في هذه الحالة إلى قناع وراءه نوايا خفيّة حقيرة، وهذا يعني أنّ الأيديولوجية السّياسيّة تحمل دلالتين، إحداهما إيجابيّة (المتكلّم) والأخرى سلبيّة (المخاطب) "[1]، فالأيديولوجية ترتبط بمجال السّياسة وتحمل معنيين مختلفين تماما فمرة توحي بمعان إيجابية ومرّة توحي بمعان سلبيّة.

والأيديولوجية السّياسية يتّخذ أصحابها من خلالها أقنعة وراءها نوايا خفيّة للوصول إلى أهدافهم، "فهي بالنسبة للمتكلّم بها هادفة إلى استمالة الناس والإكثار من الأنصار لتحقيق الغلبة في المجال الاجتماعيّ "[2] وقد حاول "عبد الله العروي" في كتابه" مفهوم الأيديولوجيا" تحديد استعمالات مصطلح الأيديولوجيا، وقد ماثله بكلمة **أدلوجة** فيقول : "تستعمل الأدلوجة في معنى القناع في مجال المناظرة السّياسية, تخلق تفكيرا وهميّا تتضمّن تقريرات وأحكاما حول المجتمع، تنبع عن مصلحة وتهدف إلى إنجاز عمل معين "[3]، فالأيديولوجية هي تعبير عن مجموعة من الأفكار التي تتبنّاها طبقة اجتماعيّة معيّنة، داخل مجتمع ما قصد تحقيق أهدافها التي تعتبر بمثابة أيديولوجية لطبقة اجتماعية معيّنة.

والأيديولوجيا كما يقول **عبد الله العروي** هي : "قناع لمصالح فئوية إذا نظرنا إليها في إطار مجتمعيّ، وهي نظرة إلى العالم والكون إذا نظرنا إليها في إطار التّسلسل التّاريخي"[4]، وهذه المفاهيم تتدرج من الدّوائر الاجتماعية الضيّقة في المجتمع المدروس إلى الأوسع لتشمل في النهاية الكون كلّه، وقد تنوّعت معاني الأيديولوجية مع عبد الله العروي، إذ يرى أنها قناع سياسي لمصلحة فئة معينة،كما أنّها رؤية كونية تعكس النظام الفكري للكون عبر المراحل التّاريخية.

والأيديولوجية كمعرفة هي نمط فكريّ يسعى إلى البحث عن ماهية الكائن الاجتماعيّ والكون من أجل التخلص من الأوهام، والأيديولوجية عند كارل **ماركس** هي : " عبارة عن نظام من الأفكار الباطلة أو يقول الأيديولوجية هي أفكار تقلب الأشياء رأسا على عقب"[5]، فالأيديولوجية حسب ماركس هي عبارة عن أفكار زائفة تعطي صورة غير حقيقيّة عن المجتمع فهي اتجاه؛ أفكاره باطلة، اتّجاه يقلب الأمور رأسا على عقب.

---

[1] - حميد لحميداني : النّقد الرّوائي والأيديولوجيا(من سوسيولوجيا الرّواية الى سوسيولوجيا النّص الرّوائيّ)، المركز الثّقافي العربيّ ، بيروت، ط1، 1990م، ص(14-15).

[2] - المرجع نفسه : ص 15.

[3] - العروي عبد الله : مفهوم الإيديولوجيا، ص 14.

[4] - حميد لحميداني : النقد الروائي والإيديولوجيا(من سوسيولوجيا الرواية الى سوسيولوجيا النّصّ الروائي)، ص18.

[5] - عبد الله إبراهيم : ماهي الإيديولوجيا؟، علم الأفكار أم الأفكار من دون علم ؟، ص 87.

وقد "أصبحت الأدلوجة تعني في العرف تلك الأوهام التي يستغلّها المتسلّطون (الرهبان والنّبلاء والأغنياء)، ليمنعوا عموم النّاس من اكتشاف الحقيقة وماركس هو الذي أعطى لكلمة أدلوجة الأهميّة التي تكتسيها اليوم في كلّ ميادين البحث "[1]

فالأيديولوجية ترتبط بنظام الطّبقات، وقد ارتبط هذا المصطلح عند الماركسين بمدلول الوعي الزّائف، الذي تحمله فئة اجتماعيّة معيّنة، وما نلاحظه أنّ الأيديولوجيا في الأوساط الاشتراكيّة تحمل دلالة سلبيّة، فهي عبارة عن نسق من الأفكار المسيطرة على الطّبقة الحاكمة، وهي أفكار خاطئة، باطلة تسعى إلى تضليل الطبقة العاملة، وهذا التّصور السّلبي لمصطلح الأيديولوجية، قد أخرجه عن معناه الأصليّ الذي وضعه **"دو تراسي"** إلى معان متعدّدة ومختلفة بين المفكرين والفلاسفة، فتعدّدت الرّؤى، واختلفت بين من يرى بأنّ الأيديولوجية لها أبعاد إيجابية؛ فهي علم موضوعه دراسة الأفكار، كما رأينا مع دو تراسي، وبين من نظر إليها نظرة سلبية على أنّها أفكار مضلّلة، تسعى لتزيف الواقع وتقلب الأشياء رأسا على عقب، كما رأيناه عند الماركسين، إذ تسعى إلى التّبرير للسّلطة المسيطرة.

وقد أكّد ماركس أنّ الأيديولوجية السّائدة تعمل على الخداع والتّضليل لقلب خصوصيات المجتمع، "والأيديولوجية الطّبقية في نظر كارل مانهايم، بحكم أنّها طبقية لابدّ من أن تكون ملطّخة بالنّزعة الذّاتية، وبالميل إلى تزوير الوقائع حفاظا منها على المصالح الأنانية لهذه الطّبقة أو تلك"[2]
فالأيديولوجية مرتبطة بالتّضليل والتّزييف كما رأيناه عند كارل ماركس وبنظام الطّبقات.

و ينبغي أن نلاحظ من عرضنا لهذا التّاريخ الطّويل لمفهوم الأيديولوجية سواء في **الفكر الغربيّ** أو **الفكر العربيّ**؛ أنّ المفهوم ظلّ يتراوح بين المعاني المستهجنة خاصة في الفكر الماركسي والمعاني الإيجابية الواعية، وقد ارتبطت الأيديولوجية بالمجتمع والسّياسة والاقتصاد والأدب و سنحاول أن نبحث لاحقا عن **البعد الأيديولوجيّ في الأدب والرّواية خاصة**.

3-مفهوم مصطلح الرّواية :

الرّواية من الفنون الأدبيّة النّثرية التي أثارت الكثير من النّقاش، فهي ملحمة المجتمع في العصر الحديث، ونظرا لأهميتها في البحث سوف نتطرّق إلى مفهومها اللّغوي ثمّ الاصطلاحيّ.

3-1-مفهوم مصطلح الرّواية لغة : الأصل في الرّواية من الفعل روى : روى من الماء بالكسر ومن اللّبن يروي ريّا، وروى وقد جاء عند ابن سيّدة الرّواية: المزادة فيها الماء ويسمى البعير رواية، ويقال روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتّى حفظه للرّواية عنه، فقال الجواهري : رويت الحديث والشّعر رواية فأنا راو : في الماء والشّعر من قوم رواة[3]

---

[1] - عبد الله العروي : مفهوم الأيديولوجيا، ص(33-34).
[2] - حميد لحميداني : النقد الروائي والأيديولوجيا(من سوسيولوجيا الرواية الى سوسيولوجيا النّصّ الروائي)، ص21.
[3] - ينظر: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب، ص(312-309).

"والرّواية كانت تطلق على حرفة من يستظهر شعر شاعر أو أشعار شعراء كثر، كما أطلق ذلك علماء الحديث على مستظهر النّصوص التي ثبت نسبتها إلى الرّسول (ص)"[1]، فالمدلول اللّغوي لمصطلح رواية مرتبط بالماء وسقيه وبرواية الحديث والنّصوص والأخبار.

3-2- مفهوم مصطلح الرواية اصطلاحا : الرّواية كما يرى النّاقد الجزائري **"عبد الملك مرتاض"** : هي جنس أدبيّ راق، ذات بنية شديدة التّعقيد متراكبة التّشكيل، تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكّل نهاية المطاف شكلا أدبيا جميلا"[2]، فالرّواية من الفنون النّثرية الحديثة الرّاقية المعقّدة والتي تعبّر عن روح المجتمع وترصد آلام الإنسان وأحلامه في الحياة، وهي" نقل الرّوائي لحديث محكي تحت شكل أدبي، يرتدي أردية لغويّة تنهض على جملة من الأشكال والأصول كاللّغة والشّخصيات والزّمان والمكان والحدث يربط بينها طائفة من التّقنيات كالسّرد والوصف والحبكة والصّراع "[3]، فالرّواية عمل سرديّ لديه مجموعة من الخصائص والتّقنيات التي يستخدمها الرّوائي لرصد مختلف التّحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
كما أنّ "الرّواية كالسّينما تعيد خلق المكان من خلال فعل الصورة المجسّدة بالكلمات، وهي كالمسرح تحاول تنظيم المسافة تنظيما جماليا، وهي كالرّسم تحاول تأكيد فعالية المسافة لزمن غير الزّمن الذي رسمت فيه، فالرّواية هي فن مكاني، وفنّ زماني وكلا الفنّين معبّأين بالكلمة "[4]، **فالرّواية مرتبطة بالزّمن والمكان ارتباطا شديدا** ويظهر ذلك من خلال الخطاب الرّوائي الذي يعيد خلق المكان والزّمان عبر التّاريخ، "وقد استطاعت الرّواية باعتبارها تخييلا دقيقا يقترن بكافة الحقول والأشكال التّعبيرية المكتوبة وغير المكتوبة أن تخلق مسارات موسّعة في مساحات التّعبير وبالتالي في حياة الإنسان"[5]، فالرّواية شكل نثري تخييلي معبّر عن حياة الإنسان وبيئته باختلافاتها وتناقضاتها، "وطموحات الرّواية هي بناء وخلق تمثيلات متنوعة، بسيطة ومعقّدة لا حدود لها، فهي شبكة ثقافية مفتوحة باستمرار على كافة المعارف والخبرات في مساحات ممتدة بين الوعي واللّاوعي، بين العقلانيّ وغير الواقعيّ والأسطوريّ "[6]، فالرّواية تسعى إلى تمثل الواقع بجرأة، تجمع بين الوعي واللّاوعي، وتضمّ خبرات الإنسان ومعارفه وتستعين بالتّخيل، فلها قدرة كبيرة جدا في الجمع بين المتناقضات بصوغ جماليّ.

---

[1] - عبد الملك مرتاض : نظرية الرواية، بحث في تقنيات السّرد، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998م، ص 24.
[2] - المرجع نفسه : ص27.
[3] - المرجع نفسه : ص24.
[4] - ياسين النصير : الرّواية والمكان (الموسوعة الصّغيرة 195)، دار الشؤون الثّقافية العامة، بغداد، دط، 1980م، ص19
[5] -شعيب حليفي : ثقافة النّصّ الرّوائيّ، شركة النّشر والتّوزيع، المدارس، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، ص5.
[6] -المرجع نفسه : ص5.

ومن المعروف أنّ هذا الفن الأدبي(الرّواية) فنّ حديث نسبيا مقارنة بالفنون الأخرى، لم يمض على نضجه أكثر من ثلاثة قرون في **العالم الغربي** ولا أكثر من قرن ونصف قرن في عالمنا العربي[1]، فالرّواية نتاج فنّي جديد، والحديث عن الرّواية في الأدب العربيّ لا يظهر إلّا في عصر النّهضة، وقد كانت مصر رائدة له وسوف نقتصر الحديث عن الرواية الجزائرية مجال بحثنا.

4 - نشأة الرّواية الجزائريّة ومضامينها :

نشأة الرّواية الجزائريّة غير منفصلة عن نشأتها في الوطن العربيّ والأدب الجزائريّ يمثّل صفحة هامة من الأدب العربيّ، ولئن حالت الظّروف دون نشر هذه الصّفحة أو إلقاء الضّوء عليها، فإنّ ذلك لا يقلّل من أهمّيتها القوميّة والواقع أنّ الحديث عن الأدب الجزائريّ يشبه إلى حدّ كبير كلّ حديث عن الأدب العربيّ، بصفة عامة في كلّ بيئة من بيئاته الوطنيّة لاشتراكهما في نفس الظّروف والمشكلات التّاريخية والفكريّة التي عاشها الأدب العربيّ.[2]
وما نلاحظه على الرّواية الجزائريّة أنّها ارتبطت أشدّ الارتباط بالرّواية العربيّة، سواء من منطلق الإسلام أو القوميّة العربيّة والأحداث المتشابهة كالاستعمار والاستبداد والبيروقراطيّة أو الظّروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة...، **"فهناك قضايا عربيّة كثيرة عاشتها الجزائر في أدبها وفكرها وفي أعصابها وجهادها منها قضيّة فلسطين واستقلال أجزاء من الوطن العربيّ كالسّودان وليبيا وثورة مصر وإنشاء الجامعة العربيّة والمعارك الأدبيّة.."**[3]، فقد استوعبت الرّواية الجزائرية مشكلات المجتمع الجزائريّ، والقضايا العربيّة والإسلاميّة والعالمية المختلفة، فقامت برسم ملامح الرّاهن بكل أبعاده الأيديولوجيّة وتجلياته، فالأدب الجزائريّ شأنه شأن الآداب العالميّة والعربيّة يتأثّر بما حوله من عوامل تاريخيّة واجتماعيّة وثقافيّة وفكريّة وسياسيّة.

والرّواية شأنها شأن الفنون الأدبيّة الأخرى لا تنبت من فراغ، فلابدّ لها من تربة تترعرع فيها، تستمدّ منها مادتها الأولى، وهذا ما نجده في الرّواية الجزائريّة التي عبّرت عن طموحات الشّعب الجزائريّ وآلامه وأفراحه، وهذا منذ ظهور الفنّ الرّوائيّ في الجزائر، سواء الرّواية المكتوبة باللّغة العربيّة أو باللّغة الفرنسيّة، وسنحاول رصد تطوّرات الرّواية الجزائريّة وتتبع مسيرتها الزّمنية باختصار مع الكشف عن بعض **مضامينها الأيديولوجيّة خاصة**.

4-1-نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية ومضامينها : ولدت الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربية متأخرة نوعا ما، إذا ما قورنت بالرّواية المكتوبة باللّغة الفرنسيّة، وتشير الدّراسات أنّ أوّل بذرة قصصيّة كتبت في الأدب الجزائريّ، تدخل في إطار جنس الرّواية هي : "حكاية العشّاق في

[1] -ينظر : عادل فريجات : مرايا الرّواية (دراسات تطبيقية في الفنّ الرّوائي)، اتّحاد كتّاب العرب، دمشق،دط، 2000م، ص9.
[2] - ينظر : أبو قاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط 5،2007 م، ص21.
[3] -المرجع السّابق : ص108.

الحبّ والاشتياق" لمحمد مصطفى بن إبراهيم " الذي يدعى الأمير مصطفى سنة 1849م، وإذا سلّمنا بهذا، فإنّ انطلاق الرّواية العربيّة الحديثة تكون من الجزائر على حدّ قول "**صالح مفقودة** "، غير أنّ هذا العمل اتّسم بالضّعف اللّغوي والتّقني، وهذا ما جعل عمر بن قينة يتحفّظ في اعتباره أولى على مستوى الوطن العربيّ رغم كون هذه الحكاية، كانت وأوّل عمل قصصيّ، انعكست فيه نتائج الحملة الفرنسيّة على الجزائر، فقد صادر المستعمر أملاك المؤلف وأملاك أسرته [1].

ثمّ تلتها نصوص أخرى، كان أصحابها يسلكون مسلك النّوع الرّوائي، "تبحث في مضمون الفكرة والحدث والشّخصيات والصّياغة، فكان أوّل جهد معتبر في ذلك رواية :غادة أم القرى لكاتبها أحمد رضا حوحو عام1947، وكما عالجت من قبل رواية حكاية العشاق في الحب والاشتياق موضوع العشق فقد تطرقت رواية "غادة أم القرى" إلى قضيّة المرأة أيضا وغادة تعني الفتاة الحسناء أم القرى هي مكة، وأهدى هذا الكتاب إلى المرأة الجزائريّة التي تعيش محرومة من نعمة الحب، من نعمة العلم، ومن نعمة الحرّيّة ... "[2]، وقد تعرّض رضا حوحو في كتاباته إلى قضيّة المرأة الجزائريّة ودافع عن حقوقها مطالبا بتعليمها، وتدور أحداث الرّواية في الحجاز، غير أنّ الكاتب أراد أن يلفت أنظارنا إلى قضية المرأة في الجزائر كرؤية أيديولوجيّة، وكشف ما تعانيه من اضطهاد وقهر، إذ حرمت من الحبّ والحقّ في التّعليم، ولذلك أهداها الرّواية أيضا إلى جانب كلّ امرأة حرمت من هذه الأمور.

و اتّهمته بعض الأصوات المحافظة بالدّعوة إلى تحريض المرأة على العصيان والتّمرّد، وقد كتب هذه الرّواية على الطّريقة الكلاسيّكية المأخوذة عن الفكر الأرسطي القديم، الذي يرى أنّ النّصّ ينبغي أن يكون له بداية (عرض)، ونقطة وسطى (عقدة)، ونهاية (حل)، ويبقى هذا العمل الرّوائي علامة فنيّة رائدة في بنائه ولغته وجرأته الفكريّة، وتعبيره عن قضيّة المرأة والدفاع عنها، ويكفي أحمد رضا حوحو فخرا، أنّه كان أوّل أديب يكتب باللّغة العربيّة، ويطرق أبواب العالم الرّوائي [3]

فأوّل شيء حرمت منه المرأة الجزائريّة؛ هو الحبّ كما حدث للمرأة المكّيّة في الرّواية، ويظهر ذلك من خلال شخصيّة زكيّة، التي تعيش بين أربعة جدران، و رغم جمالها الأنثوي إلّا أنّها عانت من عدم قدرتها على التّعبير عن مشاعرها، وعن رغباتها النّفسيّة المكبوتة بفعل التّقاليد التي يفرضها المجتمع ودفاع الكاتب عنها يبرز **رؤيته الاجتماعية الأيديولوجيّة**.

وإذا ما انتقلنا إلى فترة **الخمسينيات** فإنّنا نجد "المحاولة الثّانية من تأليف "عبد المجيد الشّافعيّ" بعنوان "الطّالب المنكوب "، تتحدّث عن حياة طالب في تونس، سقط في حبّ فتاة "[4]، وقد

---

[1] -ينظر : أحلام معمري : نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلّة الأثر، دورية علمية محكمة تصدر فصليا عن كلية الآداب واللّغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، دط، العدد 20، جوان، 2014م، ص57.

[2] - فؤاد علجي : الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربيّة بحث في التأسيس والتأصيل، مجلّة الكلم، المجلد6، العدد2، 2021م، ص668.

[3] - ينظر : أحلام معمري : نشأة الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة، ص58.

[4] - عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية ، بن عكنون، الجزائر، 1995م، ص197.

صوّر لنا الكاتب فيها صورة الشّاب الجزائريّ الطّموح الذي هاجر إلى تونس من أجل مواصلة الدّراسة والحصول على الشّهادة العلميّة، وهناك تعرّف على فتاة أحبّها.
ورواية الطّالب المنكوب "نموذج للسّذاجة الفكرية الفنيّة، وتعتبر خطوة أخرى إلى الوراء بالنّسبة إلى الدّرب المتطوّر -نسبيا- ، الذي رسمته وأسّسته غادة أمّ القرى لأحمد رضا حوحو"[1]، أي أنّها لا ترقى من النّاحية الفنيّة إلى رواية غادة أمّ القرى.

ويرى في مقابل ذلك **الدّكتور علجي** فؤاد في مقال له في مجلة الكلم : "أنّ مدار هذه الرّواية ليس الحبّ العجيب ولا المشاعر المفتعلة، والصّدف النّادرة والمواقف الميلودراميّة، بقدر ما جاءت راسمة للشّخصية الجزائريّة التي تحدّت كلّ المصاعب، وهزأت بكلّ العقبات "[2]، أي أنّه يرى أنها لم تكن بتلك السّذاجة بل استطاعت أن تصوّر شخصية الجزائريّ في بلاد الغربة ورصدت معاناته والصّعاب التي اجتازها ليحقّق هدفه المنشود.

ثمّ تأتي رواية "الحريق" لنور الدين بوجدرة والتي صدرت سنة 1957م عن الشّركة التّونسية للفنون والرّسم ، ومضمونها الثّورة التّحريريّة، فبطلها شاب اسمه علّاوة من مدينة سكيكدة، التحق بالثّوار، بعد أن قتل المستعمر والديه، ويبقى هذا النّصّ الرّوائيّ أكثر طولا من النّصّين الرّوائيين السّابقين والكاتب لم يراع الجوانب الفنيّة لنموّ عمله، كما قال : لم يكن في حسابي أن أؤلف كتابا سياسيّا صرفا ولكن بعد الدّرس والتفكير، رأيت أنّه سيكون مملّا، فاخترت له بطلين، يقوم كلّ واحد منهما بدور المشاهد والسّاخط والمتحمّس المناضل.[3]

والملاحظ أن الرّواية الجزائريّة مرّت بعدّة مراحل هامةّ، ساهمت في ظهورها عدّة عوامل سياسيّة واجتماعيّة ....، ففي فترة ما بعد الاستقلال **أغلب مواضيع الرّواية الجزائرية هي الثّورة التّحريرية وآثارها الاجتماعيّة على المجتمع الجزائريّ.**

ففي **السّتينيات** لا تكاد تعثر على عمل روائيّ، مكتوب باللّغة العربيّة غير عمل واحد وهو صوت الغرام لمحمد منيع، نظرا للظّرف التّاريخيّ الذي ميّز تلك الفترة، بكلّ أبعاده الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، إذ انشغل الجزائريون بمعركة البناء والتّشييد بعد الثّورة، وتعتبر هذه الرّواية قفزة نوعيّة على الأعمال التي سبقتها، وكتقييم للكتابات التي سبقت السّبعينيات نرى أنّها لم تتطور صوب اتّجاهات فنّية واضحة، بل ظلّت مجرّد محاولات معزولة لم ترق إلى المستوى المطلوب.[4]

وقد شهدت فترة **ما بعد الاستقلال** الولادة الثّانية والأكثر نضجا للرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة، فإذا كانت الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة ظهرت قبل الاستقلال، فإنّ البداية الحقيقية للرّواية الجزائريّة العربيّة في شكلها الفنّيّ وبنيتها السّرديّة الحديثة، لم تكن إلّا بداية السّبعينيات بالرّغم من ظهور بوادر لها قبل هذا التّاريخ إلّا أنّ أوّل رواية فنية جزائرية مكتوبة

[1] - أحلام معمري : نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية, ص 58.
[2] - علجي فؤاد : الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بحث في التأسيس والتأصيل , ص671.
[3]- ينظر : أحلام معمري : نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، ص59.
[4] -ينظر : المرجع نفسه : ص59.

باللغة العربيّة ،ظهرت سنة 1970م لعبد الحميد بن هدوقة بعنوان ريح الجنوب، وقد كتبت في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدّي عن الثورة الزّراعية وقد أنجزت الرّواية، تزكيّة للخطاب السّياسيّ الذي كان يلوّح بآمال واسعة للخروج بالرّيف من عزلته ورفع الضّيم عن الفلّاح ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان [1].

وقد رصدت الرّواية أحوال المجتمع الجزائريّ، ورصدت هموم الفلّاح ومشاكله وألاعيب الإقطاع "والشّيء الجديد الذي جاءت به هذه الرّواية هو الاهتمام بالأرض، وارتباط الإنسان الجزائريّ بها، هذا الإنسان الذي كافح من أجلها، كما كافح الاستعمار، وتعدّ رواية ريح الجنوب علامة فارقة في تاريخ الأدب الجزائري "[2]، وإلى جانب هذه الرّواية ظهرت روايات أخرى، كرواية اللّاز سنة 1972م، و" قد كان الطاهر وطار مرتبطا في ممارساته الكتابية الروائية باللّحظة الزّمانية والمكانية والتّاريخية لمحيطه ارتباطا حميميا، وقد سمح له انتماؤه الأيديولوجيّ إلى الفكر الاشتراكيّ بإضفاء طابع الالتزام على تجربته الرّوائية "[3]، ففي اللّاز يتناول الطّاهر وطّار الصّراع بين الثّوار والمستعمر الفرنسيّ من جهة، وبين أفراد الخليّة من جهة أخرى، وإلى جانب اللّاز نجد الزّلزال، وهي حكاية مجيء إقطاعي من العاصمة، ليتمرّد على قوانين الثّورة الزّراعية ويتحايل كي لا يضيّع أملاكه.

وبظهور أعمال الطّاهر وطّار، بدأ النّقاد في الجزائر و المشرق ينظرون بجدّيّة إلى عناصر التّفرد والتّفوق التي طبعت أعماله الرّوائية وما يلاحظ على الكتابة الرّوائية في السّنوات العشرة التي أعقبت الاستقلال أنّها عبّرت عن الواقع الجزائريّ بكلّ تفاصيله وتعقيداته سواء بالعودة إلى مرحلة الثّورة المسلّحة أو بالغوص في الحياة المعيشية الجديدة التي بدأت ملامحها بالظّهور عقب التّغيرات التي ، طرأت على الحياة السّياسية والثّقافية والاقتصادية .[4]

و جاءت بذلك أعمال الطّاهر وطّار لتؤرّخ لكلّ التّغيرات والتّطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري منذ الثورة المسلحة إلى غاية الاستقلال، وقد كانت للإغراءات **الأيديولوجية** التي تميّزت بها الواقعية الاشتراكية دور في جعل أعمال وطّار تتّسم بنوع من التّلقائية والرّؤية والشّمولية، كما جعلته قادرا على إدراك تلك العلاقات الجدليّة بين الفرد وأفكاره وأفعاله والحياة بكلّ صراعاتها[5]

وما يمكن قوله أنّ جيل السّبعينيات يعدّ الجيل الأوّل الذي أسّس بحق الأرضية الروائية الجزائرية ظهرت فيه الرّواية الفّنية النّاضجة بإجماع الباحثين والنّقاد، وقد تصدّرتها الرّوايات التّالية : "ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة 1971م، وما لا تذروه الرّياح لمحمد عرعار العالي 1972م، واللّاز للطّاهر وطّار 1972 م والزّلزال 1974 م، وعرس بغل 1978والحوات والقص 1980م ، والموت والعشق في زمن الحرّاشي، ونار ونور لعبد المالك مرتاض 1975 م، و طيور في الظّهيرة

[1] ـ ينظر : عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، ص 198.
[2]ـ فؤاد علجي : الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربيّة بحث في التأسيس والتأصيل، ص674.
[3] ـ بوشوشة بن جمعة : الرواية العربية الجزائرية (أسئلة الكتابة والصيرورة)، دار سحر للنشر، ط1, 1998م، ط1، ص11.
[4] ـ ينظر: أحلام معمري : نشأة الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة، ص60.
[5] ـينظر : إدريس بوديبة : الرّؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، شركة أشغال الطّباعة، قسنطينة، ط1، 2000م، ص(44-45)..

لمرزاق بقطاش1976م، وحوريّة للعربي عبد المجيد 1976 م، والشّمس تشرق على الجميع لإسماعيل غموقات." [1]

وما لاحظناه أنّ الروائيين خلال هذه الفترة حاولوا التّعبير عن مخاوفهم من الرّاهن الجديد، وقد انتقلوا من الحديث عن الثّورة وأحداثها إلى الحديث عن مشاكل الطّبقة الكادحة وذلك بالتّأسيس لرواية جزائريّة وباللغة العربيّة لتعبّر عن الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة والأدبيّة وعن قضايا المجتمع الجزائري المختلفة.

أمّا في **الثّمانييات** فإنّ أغلب ما كتب يصبّ في قالب تفسير ما حدث للمجتمع الجزائريّ بعد التّحرّر والاستقلال، "ومن التّجارب الرّوائيّة في هذه الفترة نذكر: روايات وسيني الأعرج مثل وقع الأحذية الخشنة سنة1981 م، وأوجاع رجل غامر صوب البحر سنة 1983 م، ورواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش سنة 1982م، إضافة إلى روايات الحبيب السّائح زمن النّمرود سنة 1985م، وأعمال الرّوائي جيلالي خلاص مثل : رواية رائحة الكلب 1989م، ورواية حمائم الشفق 1988م، كما كتب أيضا مرزاق بقطاش رواية البزاة سنة1982م، ورواية عزّوز الكابران سنة 1989م، كما أخرج رشيد بوجدرة عدّة أعمال روائيّة ندكر من بينها رواية التفكك سنة 1982م، ومعركة الزّقاق 1986م."[2]

فإذا لاحظنا رواية واسيني الأعرج "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش"، التي هدر فيها دم الشّيوعي لخضر، وهو من الشّخصيات السّياسية الأساسيّة في الرّواية، والتي تضمّنت أبعادا اجتماعية؛ تتمثّل في معالجتهما لمحورين أساسيين هما : "محور الإقطاع وأعوانه ممن يمثّلون التّيار الرّجعي، ومحور الفلّاحين والطّلبة المتطوّعين، وبعض الموظّفين الشّرفاء الذين يمثّلون التّيار التّقدمي في السّلطة الحاكمة "[3]، ويمكن إدراج هذه الرّوايات ضمن روايات المعارضةّ، وزمن النّمرود لحبيب السّائح 1985م التي حاولت أن تكشف الواقع المزري للشّعب الجزائريّ، وغيرها من الأعمال الرّوائية.

وقد شهدت الرّواية الجزائرية تحولا كبيرا خاصة بعد أحداث الخامس من أكتوبر من سنة 1988م إذ يعدّ هذا الحدث نقطة انعطاف في مسار الرّواية الجزائريّة، هذا التاريخ الذي يعدّ نقطة تحول أصابت المجتمع الجزائري فغيرت خلفياته ومتكآته كلّها، وغيرت نشاطه الأدبي. [4]

---

[1]- عبد الله أبو الهيف : الإبداع السّردي الجزائريّ، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، دط، 2007م، ص6.

[2] - بوشوشة بن جمعة : التجريب وحداثة السّردية في الرّواية العربيّة الجزائريّة، المطبعة المغاربية للطباعة والنش، تونس، ط1، 2005 م، ص7.

[3] -هنيّة جوادي : البعد السّوسيوثقافي في رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش لواسيني الأعرج، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 18، مارس2010م، ص312.

[4] - فيصل الأحمر : دراسات في الأدب الجزائريّ، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر ط1، 2009م، ص 37.

فقد عرفت الرّواية جرأة لا مثيل لها خاصة بعد الفترة التي شهدت تصدّع المعسكر الشّرقي، فقد استطاع الرّوائيون الخروج من الواقعيّة الاشتراكيّة التي ميّزت جيل السبعينيات، فبعد أحداث أكتوبر 1988م، توفّر مناخ الحرّية التي أفرزها دخول الجزائر مرحلة اختيارات سياسيّة واقتصاديّة جديدة بزوال سياسة التّعددية الحزبية فقد اعتبرت حرّية التّعبير في الدّستور حقّا من حقوق الإنسان.

ولابدّ للرّوائي أن يعبّر عن موقفه ممّا يحدث في الحقل السّياسي والاجتماعيّ، الذي تناول الأزمة السّياسية، فخصوصية أيّ كتابة تكمن في ارتباطها بسياق زمنيّ معيّن، وهذا ما تجلّى خاصة في **رواية التّسعينيات** فقد حاول الأدب الجزائري والرواية الجزائرية خلال فترة التسعينيات رصد مختلف التحولات التي طرأت على المجتمع الجزائريّ، بوصفها الفنّ الذي استوعب كل المضامين الاجتماعيّة والسّياسيّة خاصة بعد الأزمة، التي حلّت بالمجتمع، والتيّ مسّت كل طبقاته، فأخذت الرّواية الجزائريّة منعرجا آخر، عالج موضوع الأزمة الرّاهنة وآثارها، فاتّخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائريّة والعنف الممارس على المجتمع الجزائريّ موضوعا ومادة لها.

فالرّوائي هو الصّوت المعبّر عن هموم الجماعة يحزن لحزنها ويفرح لفرحها، وكان عليه أن يواكب هذه التّحولات خاصة "أنّ الارهاب كان حدثا بشعا وقد لا يقاس بالمدّة الزّمانية التي استغرقها ولا بعدد الجرائم التي ارتكبها و وحشيتها، وكلّ ذلك لم يمنع الكتّاب من تسجيل وقائعها وسرد أحداثها، فموضوع العنف المعروف عالميا بالإرهاب كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية إلا أنّ هذا العنف لم يكن الطّابع الوحيد الذي طبع السّنوات الماضية، إذ لم تكن عشرية الأزمة فقط، بل كانت عشريّة التّحول نحو اقتصاد السوق وتسريح العمال وإلغاء الانتخابات."[1]

وقد كانت الكتابة الوسيلة الوحيدة التي يملكها الكاتب لتجاوز محنته من خلال التّنديد بمختلف الجرائم المرتكبة ضدّ الشّعب الجزائري، والرّوائيّ الجزائريّ وجد نفسه بين **نار السّلطة وجحيم الإرهاب،** فعبّر عن الحالة التي آلت إليها الجزائر، ومثّل هذا الاتّجاه مجموعة من الروائيين الجزائريين؛ أمثال واسيني الأعرج في "سيّدة المقام"، التي تناول فيها معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصّامدة، ويرجع سبب المعاناة إلى نظام السّلطة الرّافض لكلّ مظاهر التقدم، والرّواية **تعبّر رؤية الكاتب الأيديولوجية** حول التّغيرات السّياسية والاجتماعيّة والثّقافية التي طرأت على المجتمع الجزائريّ،

أمّا "إبراهيم سعدي" في رواية " بوح الرّجل القادم من الظّلام"، فتناول الرّاهن الأمني والسّياسيّ الجديد من خلال شخصياته الرّوائية، التي عانت كثيرا من جحيم الحياة المرعبة في ظلّ ظاهرة الإرهاب من جهة، وتهميش المثقّف خاصة الذي يعارض مواقف السّلطة، و الذي لا يخدم أهدافها **الأيديولوجيّة من جهة أخرى.**

---

[1] - ينظر : إبراهيم سعدي: الرواية الجزائريّة والرّاهن الوطنيّ، الخبر الأسبوعي، العدد 4، ديسمبر 1999,ص 304.

أمّا الرّوائي "رشيد بوجدرة" فقد حاول في رواية "تيميمون" أن يرصد مشاهد الرّعب والعنف خلال مرحلة الأزمة، كإحراق المدارس وتخريبها إلى اغتيال المثقفين و الأجانب والسّواح.

وهكذا انطلقت أصوات هذا الجيل معبّرة عن هذا الواقع المؤلم الحزين، مواكبة لمختلف التّغيرات السّياسية والوطنيّة التي عرفها المجتمع الجزائري، وقد حملت معها أشياء جديدة كالتّخلّي عن الأيديولوجيا القديمة التي كانت تمثّلها الأحادية الحزبيّة، هذا عن الرّواية المكتوبة باللغة العربية وسنرى ما مدى قدرة الرّواية المكتوب باللّغة الفرنسيّة على التّعبير عن المجتمع الجزائريّ أو عن القضايا العربية والإسلاميّة ؟.

4-2-الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ومضامينها : لقد لعب الاستعمار الفرنسي دورا كبيرا في مسار الرّواية في الجزائر، وكان له التأثير المباشر في تأخّر ظهور الرّواية المكتوبة باللّغة العربيّة، حيث انتشرت اللّغة الفرنسيّة بين أوساط المجتمع الجزائريّ، وذلك لأنّ اللّغة العربيّة كما يقول بن هدّوقة : "كانت لغة محرّمة، وكان أصحابها إذا مارسوها علانية يتابعون قضائيا، كانت العربية بالنسبة لجيلينا مأساة حياة أو موت "[1]

فهذا التّأخر المسجّل في ظهور الرّواية المكتوبة باللّغة العربيّة واحد من آثار الاستعمار الفرنسيّ، وهذا ما جعل مالك حدّاد "يصرخ عام 1961م اللّغة الفرنسية منفاي"[2]، فلم يكن مخيّرا حيالها بين أخذها وتركها.

وقد شهدت سنوات **الخمسينيات** من القّرن الماضي ميلاد الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة الفرنسيّة، وكلّ ما كتب من **قبل يمكن اعتباره مرحلة الإرهاص،** إذ لا ترقى إلى المستوى الفنّيّ أو الفكريّ النّاضج، ومن الرّوايات التي ظهرت في الفترة ما بين 1926م و1948م وهي قليلة لا تتعدّى سبع روايات في مجملها مثل: رواية "مريم بين النخيل " 1934م لمحمد ولد الشيخ، و بولنوار في رواية "فتى جزائريّ" 1941م لرابح زناتي ...وليلى "فتاة جزائريّة" 1948م لجميلة دبّاش وتظل رواية العلج أسير بلاد البرابر لشكري خوجة أهمّ رواية سنة 1929 م، والسّؤال الذي حيّر كتّاب هذه المرحلة هو : كيف يمكن للجزائري أن يصبح فرنسيا ؟ مع ما في ذلك من تناقض لأنه فرنسي بحكم واقع الاحتلال وكيف يبقى في الوقت ذاته عربيا مسلما ؟.[3]

وقد دافع الرّوائيون خلال هذه الفترة عن الإسلام ومزايا الأخلاقيّة من خلال شخصياتهم، كما تناولوا موضوع الزّواج المختلط كما في رواية "بولنوار الفتى الجزائري"، كما برزت رواية ابن الفقير لمولود فرعون سنة 1939 م، والتي يختلف فيها نوعا ما عن كتاب هذه المرحلة في طغيان طابع السّيرة الذّاتية على عمله الرّوائي، إذ صوّر عادات وتقاليد المجتمع القبائليّ كخصوصيّة محليّة مقابل الخصوصيّة الدّينية -أي الإسلام - التي دافع عنها غيره من الكتّاب للحفاظ على قانون الأحوال

---

[1] - أحمد فرحات : أصوات ثقافية من المغرب العربيّ، الدّار العالميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط1، 1984م، ص(85-84).

[2]-" عبد الله حمادي : أصوات من الأدب الجزائري الحديث ,دار البعث , قسنطينة , الجزائر، 2001م، ص301.

1. [3] - ينظر : أحمد منور : الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ(شأته وتطوّره وقضاياه)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2007 م، ص(97-98).

الشّخصية [1]، ولم يختلف مولود فرعون عن كتّاب هذه المرحلة في المنطلق الفكريّ، وفي اعتقاده بأنّ الجزائريين قد أتيحت لهم الفرصة للتّعرف على الفرنسيين بشكل أفضل والإيمان بمبدأ الاندماج **كرؤية أيديولوجيّة.**

أمّا الرّوايات التي صدرت سنة 1948 م، فتجاوزت هذا المبدأ وكانت بعيدة كلّ البعد عن الفكر الاندماجيّ الذي كانت تدعو إليه حركة الفتيان الجزائريين كروايتي " إدريس" لعلي الحمامي و"لبّيك" لمالك بن نبي [2]، فاختلفت بذلك عن روايات المرحلة السّابقة من خلال رفضها للاستعمار الفرنسيّ والسّعي لتوعية النّاس بخطورته من خلال فضح جرائمه والتّنديد بها.

وأمّا **رواية الخمسينيات** فقد حاولت التّقرب من المجتمع الجزائريّ والتّعبير عن الظّروف الاجتماعية والسّياسية، وقد "شكّل ظهور رواية الدّار الكبيرة لمحمد ديب سنة 1952م، منعطفا حاسما في تطوّر الأدب الرّوائي الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية على مستوى المضمون"[3]، وقد تأكّد هذا التوجه في أعمال الكاتب اللّاحقة لاسيما في رواية الحريق سنة 1954 م، فقد تجاوز الكاتب المواضيع التي طرحت سابقا، **كموضوع الاندماج** خاصة الذي أشرنا إليه سابقا، وتحدّث عن الطّبقة الدّنيا من المجتمع فرصد همومها وآلامها تحت وطأة الاستعمار الفرنسيّ الوحشيّ الذي كان بعيدا كل البعد عن الإنسانيّة التي كان يدّعيها.

وما يلاحظ على روايات محمد ديب أنّها تحمل رؤية أيديولوجيّة معادية للاستعمار الفرنسيّ و قد "استحق محمد ديب اسم بلزاك الجزائر عن جدارة"[4]، فضح في رواياته العنف الممارس من الاستعمار الفرنسي على الجزائريين، من خلال التّحدث عن آلام و معاناة الشّعب الجزائريّ في الرّيف وهموم الفلّاحين، وإلى جانب محمد ديب برز مولود معمري سنة 1955م في رواية "نوم العدل" أو "إغفاءة العادل" "le sommeil du juste"، ويصف فيها موقف فرنسا الحقيقي من الجزائريين، وكان يهدف من هذا إلى كشف حقيقة فرنسا ونزع القناع عنها أمام الجزائريين، كي يزعزع ثقتهم العمياء بشعارات فرنسا الوهميّة التي تقف وراءها **نوايا أيديولوجيّة** حقيرة.

وقد كشف مولود معمري في روايته نوم العدل عن "حالة الفقر والحرمان والتّخلف والمعاناة والاستغلال والحرمان التي كانت تعاني منها القرى القبائلية المنعزلة في الجبال، تحت وطأة الاستعمار والاستغلال من جهة والخلاف الموجود بينهم من جهة أخرى، أمّا رواية نجمة لكاتب ياسين سنة 1956م، فقد عرضت حالة الفقر المدقع والبطالة التي يعيشها الجزائريون في المدن خاصة مع استغلال الجزائريين في ورشات العمل، وهو ما يضاعف إحساسهم بالظّلم ويدفعهم إلى التمرد كما تناول مظاهرات8 ماي 1945 والتي راح ضحيتها الآلاف من الجزائريين"[5]

---

[1] - ينظر : المرجع نفسه : ص103.

[2] - ينظر : المرجع نفسه : ص 104.

[3] - المرجع السّابق : ص106.

[4] - واسيني الأعرج : اتّجاهات الرّواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986 م، ص70.

[5] -" أحمد منور : الأدب الجزائري باللّسان الفرنسيّ(نشأته وتطوره وقضاياه)، ص(107-108).

فالرّوايتان كانتا بمثابة انطلاقة **لنزعة احتجاجية نضالية ثورية** تفضح مخطّطات المستعمر الفرنسيّ، وتفتح العيون النائمة على حقيقة الاستعمار البشعة، والتي تردي رداء المساواة وتدعّي بسياسة الاندماج؛ أنها تعامل الجزائريين كما تعامل الفرنسيين ، لكنّ الواقع غير ذلك تماما فشتّان ما تتلفظ به الأفواه وما تقوم به الأيدي، وكلّ هذا تحدّثت عنه الرّوايات الجزائرية لتعبّر عن هذه التناقضات، فيواجه الرّوائيّ بذلك **بأيديولجيته أيديولوجية المستعمر**.

وقد تفاعل الخطاب الرّوائي المكتوب باللّغة الفرنسيّة بعدها مع الحياة الجزائريّة خلال فترة الاحتلال، ومع اندلاع الثّورة التّحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954م، " فبرزت **النّزعة النّضالية الثّورية** أكثر في أعمال كاتب ياسين اللّاحقة، ومالك حدّاد وآسيا جبّار، إذ واكبت الأحداث السّياسية التي تطورت بداية من سنة 1954م، إلى الكفاح المسلّح ومن هذه الأعمال نذكر : روايتي : التلميذ والدّرس L'eleve et la leçone 1960 ورواية الانطباع الأخير سنة 1958 لمالك حداد والرّواية الأخيرة تعدّ أولى الرّوايات التي صوّرت وقائع الثّورة المسلّحة [1]، إلى جانب روايات : صيف إفريقي لمحمد ديب 1959م، ورواية رصيف الأزهار لا يجيب لمالك حداد 1961 م، وغيرها من الرّواياتّ.

وعلى العموم فإنّ معظم الباحثين يرون أنّ **فترة الخمسينيات** كانت مرحلة حاسمة في مسار الرّواية الجزائريّة النّاطقة بالفرنسيّة، إطارها العام يدخل ضمن موضوع الثّورة الجزائريّة المسلّحة، تكشف حقيقة فرنسا وتفضح ممارساتها اللّاإنسانيّة، أمّا إطارها الخاص، فيختلف من رواية إلى أخرى.

ولم تختلف روايات **السّتينيات** وبالتّحديد **بعد الاستقلال** عن روايات الخمسينيات فمعظم الرّوايات التي برزت خلال هذه الفترة " رصدت الحياة الصّعبة في القرى والمداشر وصوّرت عمليات المقاومة الفدائيّة في المدن، كرواية أطفال العالم الجديد لآسيا جبّار 1962، كما صوّرت ضرب القرى والمداشر بالمدافع والطّائرات وتهديم المنازل على رؤوس سكانها في رواية الأفيون والعصا لمولود معمري سنة 1965م، أمّا روايتي أصابع النّهار1967م لحسين بوزهار وأسلاك الحياة الشائكة 1969م لصالح فلاح فقد وصفتا الحياة الصّعبة داخل المعتقلات والسّجون وتنظيم عمليات الهروب منها [2]

وما نلاحظه أنّ معظم هذه الأعمال الرّوائية تصبّ في موضوع الثّورة التّحريريّة وتصوّر بشاعة المستعمر و وحشيته، وتتغنّى ببطولاته، وذلك لتعزّز **النّزعة النّضالية الثّورية** خاصة قبل منتصف السّتينيات.

---

[1] - ينظر : المرجع السّابق : ص (109 -108) .

[2] -ينظر : المرجع نفسه : ص111 .

أمّا الرّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بعد منتصف السّتينيات"فقد توجّهت توجّها جديدا في ظلّ مرحلة جديدة ، عرفت بمرحلة التّشييد والبناء، وعلت هذا الاتجاه **النزعة الانتقادية السياسية** لسياسة البلاد، وذلك جرّاء الفوضى العارمة، بسبب الصّراع على السّلطة فمثلا نجد رقصة الملك 1968م لمحمد ديب والمؤذّن لمراد بوربون1968م ، وضربة شمس لرشيد بوجدرة، وغيرها من الكتابات التي اشتركت في نقدها اللّاذع للجوّ البيروقراطي الذي ميّز البلاد مع اختلاف الطّرق الفنيّة لكلّ كاتب [1]

فكلّ الرّوايات التي ظهرت خاصة بعد الانقلاب الذي أطاح بنظام الرئيس بن بلة في 19 يونيو1965 وقيام النّظام العسكريّ بقيادة العقيد هواري بومدين غلبت عليها **النّزعة السّياسية الانتقادية**، وذلك لتدهور أوضاع البلاد وانتشار البيروقراطيّة ومختلف مظاهر الفساد، إذ بعد منتصف السّتينيات حمل الخطاب الرّوائيّ النّاطق بالفرنسيّة نقدا شديد اللّهجة للأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزائر، وإن اختلفت الطرق الفنية بين الكتاب وعلى العموم، وقد أطلق أحد الباحثين على هذا الأدب بأدب **النّزعة الاحتجاجيّة الاجتماعيّة والسّياسيّة** .[2]

وما نلاحظه انّ الحدث السّياسي أثّر كثيرا في جيل ما بعد الاستقلال، فمنهم من سكت وتوقّف عن الكتابة، وبعضهم قل إنتاجه، والبعض الآخر واصل بنفس الحماس نشاطه، كما ظهر روائيون جدد على رأسهم رشيد بوجدرة وياسمينة خضراً.

وقد طرحت **روايات السّبعينيات** مواضيع متنوّعة؛ كمسألة الهويّة الوطنيّة والهويّة الأمازيغيّة التي وجدناها خاصة في رواية مولود معمري العبور1982م ورواية نبيل فارس المنفى والحيرة 1976م، كما ظهر أدب مهادن للسّلطة، صدر معظمه في الجزائر وتناول موضوعات تقليدية كموضوع الثّورة الجزائريّة كامتداد للمراحل السّابقة، مثل: أعمال آمنة مشاكرة " المغارة المتفجّرة " 1979م وأعمال محمد شايب الرّوائية كالمحنة الأخيرة 1983م والأطلس يحترق 1987م لعز الدين بونمور[3]

وقد استمرّ هذا التوجه الانتقادي للأوضاع السّياسية والاجتماعية في الجزائر في الرواية الجزائرية النّاطقة باللغة الفرنسيّة حتى بعد مظاهرات أكتوبر 1988م وصدور دستور 23 فيفري 1989م، الذي يسمح بالتّعدديّة الحزبيّة السّياسية، نتيجة اتّساع الهوّة بين السّلطة الحاكمة والمجتمع، إلى جانب الظّروف المعيشيّة المزرية كالبطالة واللّامساواة مع عجز السّلطة عن سدّ حاجيات الشّعب الجزائريّ، وقد واكب الرّوائيون هذه الأحداث، وعبّروا عن **رؤاهم الاجتماعيّة والسّياسية** والتي جسّدتها شخصيات من ورق.

وتأزّمت الأوضاع أكثر بعدما نظّمت الحكومة انتخابات لتمتصّ غضب الشّعب، وفاز فيها التّيار الإسلامي بنسبة كبيرة، لكن حين ألغيت نتائج الانتخابات فتولّدت رغبة انتقاميّة، من هذا التّيار ضدّ

[1] - ينظر: واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص76.

[2] -ينظر : أحمد منور : الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي (نشأته وتطوره وقضاياه)، ص120 .

[3] -ينظر : أحمد منوّر : أزمة الهويّة في الرواية الجزائرية باللّغة الفرنسيّة، دراسة أدبيّة، ط1، دار السّاحل، 2013م، ص217.

السّلطات، فعمّت الفوضى و الاضطرابات في البلاد وأعلنت في الجزائر حالة الطّوارئ، وساد جوّ من العنف الدّموي، استمرّ عشرية كاملة، عانت منه الجزائر، ولم يسلم منه المثقف والحكومة والشّعب الأعزل ، ولعلّ أهم الأمثلة التي واكبت الأحداث وصوّرت هذه المرحلة الحسّاسة هي روايات رشيد ميموني مثل رواية شرف القبيلة، ورواية حزام الغولة، وأبرزها رواية اللّعنة التي صوّرت اعتصام الإسلاميين في ساحة أول ماي سنة1991م.

وقد عبّر كتاب هذه المرحلة عن رفضهم لفهم" الإسلاميين للدّين وتعصّبهم له، ومن بينهم رشيد ميموني في رواياته اللّعنة سنة 1993م،والتي تهدف الى شرح الظاهرة الاسلامية وتفسير أسباب ظهورها"[1]

ومن أهمّ الرّوايات التي عالجت المحنة الجزائريّة **روايات ياسمينة خضرا**، الذي يعدّ من أبرز كتّاب الرّواية البوليسية في الجزائر، وقد كانت رواياته صورة صادقة عمّا مرّ به الشّعب الجزائريّ أثناء العشرية السّوداء، كرواية بماذا تحلم الذئاب، ورواية خرفان المولى، وقد تحدّث في روايته عن بقايا المجازر في المداشر والقرى، وعن ظاهرة الإرهاب والعنف ضدّ الإنسانية، ليس في الجزائر فقط بل كظاهرة عالميّة، ففي رواية بعنوان سنونوات كابول، تحدّث فيها عن هذه الظّاهرة في المجتمع الأفغاني خاصة.

وبهذا كانت فترة التّسعينيات حافلة بالرّوايات التي حاولت أن تؤسّس لنصّ روائي مرتبط بالمرحلة التّاريخية والواقع الاجتماعيّ والسّياسي، فاستلهم الرّوائيون الأحداث والشّخصيات من الواقع المعيش بكلّ أبعاده، وقد كانت الرّواية شهادة حيّة، لما ذاقته الجزائر من عذاب خلال العشريّة السّوداء، سواء ما كتب منه باللّغة العربيّة أو باللّغة الفرنسيّة.

---

[1] ـ أحمد منور : الأدب الجزائري باللسان الفرنسي(نشأته وتطوره وقضاياه)، ص124.

5-الرّؤية الأيديولوجيّة في الرّواية الجزائرية :

5-1-الأيديولوجية والرّواية : إنّ علاقة الأدب بالأيديولوجيا شديدة التّعقيد، فالعمل الأدبيّ يحوي تحويل انعكاسات أيديولوجية عن الواقع، إذ يقوم بتغييرها وإعادة تركيبها وتشكيلها، وبهذا هذا تصبح الرّواية، وهي أحد أشكال الأدب، انعكاس الانعكاس، نظرا لأنّ الواقع ينعكس في الأيديولوجيا، التي نجدها في الرّواية عبر تقنية السّرد.[1]

فالأديب يسعى من خلال أدبه إلى التّعبير عن مواقفه الأيديولوجيّة عبر لغة السّرد وأفعال الشّخصيات ومواقفها، ومن هنا نسلّم بمقولة "الأدب فعل لغويّ فعل أيديولوجيّ"[2]، أي أنّ الأدب يعدّ مجالا لممارسة الكاتب لرؤيته الأيديولوجيّة، فهو شكل من أشكال التّعبير اللّغوي عن مختلف المواقف والمشاكل الاجتماعيّة.

"فالأدب يعدّ شكلا أيديولوجيا، وتكون الأيديولوجيا هي البنية الفوقية للنّسق الفكريّ، و للوعي الاجتماعيّ تلك البنية التي تعبّر عن علاقات اجتماعيّة محدّدة، وهنا يكون الأدب شيئا تابعا لوجود سابق، هو وجود الأيديولوجيات، ولا يمكن للأدب إلّا أن يحتلّ مكانا مزدوجا، فمن حيث هو مطابق للأيديولوجيا، فهو يعيد إنتاجها ويعطيها شكلا "[3]، فالأدب شديد الاتّصال بالأيديولوجيا، باعتبارها مكوّنا أساسيا فيه.

وتأتي الرّواية كأوّل جنس أدبيّ، يسعى إلى تجسيد الرّؤية الأيديولوجية، كون الرّوائي يسعى إلى تغيير الواقع الاجتماعيّ، بتناقضاته وإشكالاته المتداخلة، والعلاقة الموجودة بين الأدب والأيديولوجيا هي علاقة ترابط وتكامل فلا يمكن أن يستغني الأدب عن الأيديولوجية فهي المكون الأساسي في الأعمال الأدبية كالرّواية خاصة، " فالأدب إنتاج أيديولوجي يتواجد في علاقة مع اللّغة ومختلف أشكال استعمالها، فهو إنتاج لا يوجد إلّا بالعلاقة مع الأيديولوجية ومع التّاريخ، تاريخ التّشكلات الاجتماعيّة وتاريخ الإنتاج الأدبيّ وتطوّر أدواته وتقنياته الأساسيّة ومواد عمله"[4].

فلا يمكن أن يخلو أيّ نصّ أدبيّ من بعد أيديولوجيّ، يتواجد **عبر لغة سرد المشاهد والأحداث،** التي تؤسّس للموقف والرّؤية الأيديولوجيّة التي تتبناها الشّخصيات في الحياة، فيصبح لكلّ فرد أيديولوجيا، أي مجموعة من الأفكار، "والعمل الأدبيّ أيّا كان نوعه فلا بدّ له من فكرة، أفكار جوهريّة، ينطلق منها، قد تنتمي إلى الفلسفة أو الاجتماع أو العقائد أو السّياسي أو الإنسانيّ عموما، وقد تكون قديمة مستلهمة من التّراث تعيد إنتاجه أو جديدة مستنبتة من واقع الحياة "[5]

وهذا الاختلاف في الأفكار، يعبّر عنه الأديب في عمله الأدبيّ، سواء أكان شعرا أو نثرا فالأدب يتّخذ من الظّواهر الاجتماعية المتعدّدة في الحياة مادة له، محاولا تفسيرها، وبما أنّنا نتحدّث في بحثنا عن الرّؤية الأيديولوجية في الرّواية الجزائريّة، فإنّنا نركّز على علاقة الأيديولوجية بالرّواية، خاصة

---

[1] - ينظر : الطاهر مسيلي : الأيديولوجيا والرواية، مجلة الإحياء، المجلد 20، العدد 26، سبتمبر2020م، ص 945.
[2] - كمال أبو ديب : الأدب والإيديولوجيا، مجلة فصول، ج2، المجلد 5، العدد 4، يوليو /أغسطس /سبتمبر 1985م، ص54.
[3] - عمار بلحسن: الرواية والإيديولوجيا، نشر وتوزيع مراكش، المغرب ،ط2، 2016م، ص43.
[4] - المرجع نفسه : ص 52.
[5] - محمود الضبع : الرّواية الجديدة، قراءة في المشهد العربيّ المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2010م، ص19 .

أنّها أكثر الفنون الأدبيّة انفتاحا على المجتمع ومشاكله، فلكلّ نصّ روائيّ أبعاده الأيديولوجيّة الظّاهرة والمضمرة في البنية اللّغوية للخطاب السّرديّ.

فالأيديولوجيا تقتحم النّصّ باعتبارها أحد مكوّناته الأوليّة، لأنّه لا يمكن بناء نصّ روائيّ إلّا من خلال هذه المادة الأوليّة، كما أنّها حين تدخل النّصّ لا تتمتّع بالقوّة نفسها، التي لها في الواقع فهي محاصرة بوجود بعضها إلى جانب بعض.[1]

فوجود الأيديولوجيا ضروريّ جدّا في أيّ عمل روائيّ، ولا يمكن الاستغناء عنها، والرّوائي لا يعبّر عن مواقفه الأيديولوجية بطريقة مباشرة، بل يضمّنها داخل نصوصه، ولا يمكن تصوّر الأيديولوجيا في الرّواية خارج صراع الشّخصيات .

2-5- تجليات الرّؤية الأيديولوجية في الرّواية الجزائرية :

لقد كان المتن الرّوائي الجزائريّ، مسرحا للحدث السّياسي والتّاريخيّ والبعد الأيديولوجيّ، وتعدّ الأيديولوجيا : "أحد المكونات الأساسيّة للخطاب الرّوائيّ، فقد ارتبطت الرّواية السّياسيّة الجزائريّة بالواقع الأيديولوجي التّاريخيّ، وجاء النّصّ الرّوائيّ في المرحلة الثّانية، مرحلة ما بعد الاستقلال- ليصف الثّورة ويؤوّلها أيديولوجيا وفق النّظرة السّياسية التي تحكم منطق السّرد"[2]، فقد عالجت الرّواية موضوع الثّورة التّحريرية والتزمت بمبادئها وصوّرت وحشيّة الاستعمار الفرنسيّ، ومعاناة الشّعب الجزائريّ خاصة فترة الاستعمار الفرنسيّ.

وقد برزت الرّواية المكتوبة باللّغة الفرنسيّة أكثر، و موضوع الثّورة لم يفارق الكثير من النّصوص الرّوائيّة، سواء المكتوبة باللّغة الفرنسية أو العربيّة، وقد سبق التّطرق إليها سابقا، وإن اختلفت طريقة التّعامل معها فكلّ حسب أيديولوجيته التي يؤمن بها، فقد شرح الرّوائيون أوضاع المجتمع أيّام الحكم الاستعماريّ الفرنسيّ في الجزائر.

وموضوع الثّورة فتح أفق الأديب على الواقع، إذ رصد بأدبه مختلف التّغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائريّ، فكانت رواياتهم شديدة الارتباط بالواقع السّياسيّ والاجتماعيّ المضطرب، تحمل رؤى أيديولوجية مختلفة؛ كرفض الاستعمار والتّنديد بجرائمه، كما فعل الرّوائيّ محمد ديب في رواياته وقد أشرنا إلى ذلك أثناء حديثنا عن مضامين الرّواية الجزائريّة، "فالرّوائيّ لا يعرف لغة واحدة، كما أنّ أسلوبه ليس هو لغة الرّواية ذاتها لأنّ الرّواية في الواقع متعدّدة الأساليب، فكلّ شخصيّة وكلّ هيئة، تمثّل في الرّواية إلّا ولها صوتها الخاص وموقفها الخاص، ولغتها الخاصة وأخيرا أيديولوجيتها الخاصة"[3]

فالرّوائي الجزائريّ بالإضافة إلى خلقه الشّخصيات الرّوائية، فإنّه من ينسب الكلام للشّخصيات، ويعطيها البعد الأيديولوجيّ المناسب، سواء بطريقة مباشرة أو خفيّة مضمرة، يكتشفها

---

[1] - ينظر : حميد لحمداني : النقد الروائي والأيديولوجيا (سوسيولوجيا النصّ الرّوائي)، ص26.
[2] - علال سنقوفة : المتخيل والسلطة، منشورات الاختلاف، ط2، 2000م، ص(62-63)
[3] - حميد لحمداني : النقد الروائي والإيديولوجيا (سوسيولوجيا النص الروائي)، ص 33

القارئ، وهكذا يتحوّل النصّ الرّوائي بموجبه من عملية إبداعيّة فنّية جماليّة إلى نصّ يستوعب أيديولوجية الأديب فيكون وعاء أفكاره، وكتّاب الرّواية غالبا ما يقومون بعرض هذه الأيديولوجيات.[1]

وقد كان على الرّوائيّ الجزائريّ خلال فترة الاستعمار أو بعد الاستقلال، أن يتّخذ موقفا أيديولوجيا من خلال أعماله الأدبية الإبداعية، وهذا ما تجلّى في الرّوايات الجزائريّة عبر مراحلها المختلفة- كما لاحظنا ذلك من قبل - سواء التي كتبت باللّغة الفرنسيّة أو المكتوبة باللّغة العربية، إذ كان خطاب الرّوائيين خطابا أيديولوجيا، والملاحظ أنّ معظم الرّوايات في مرحلة تأسيسها ارتبطت بالأيديولوجية الاشتراكيّة أو ما يمكن أن نسميه رواية السّلطة، وتهدف إلى جعل الأدب في خدمة الدّولة لإنجاح مشاريعها المختلفة، كما فعل الطّاهر وطّار في رواية اللّاز مثلا، "إذ كان مرتبطا في ممارسته الكتابية الرّوائية **باللّحظة الزّمنية والمكانية والتّاريخية** لمحيطه ارتباطا حميميا وقد سمح له انتماؤه الأيديولوجي إلى الفكر الاشتراكي بإضفاء طابع الالتزام على تجربته الرّوائية "[2]، ففي رواية اللّاز تناول الطّاهر وطّار قضية الصّراع بين الثّوار والاستعمار من جهة، وبين أفراد الخلية ذاتها من جهة أخرى، وذلك قصد تصحيح الفكرة القائلة بانهيار الحزب الشيوعيّ وخيانته، " ليطرح من جديد استماتة الشّيوعي من أجل مبادئه الوطنيّة ."[3]

والقول برواية السّلطة لا يعني أن الرواية لا تنقد السّلطة، إنما تكون **الرؤية الايديولوجية** لصاحبها مساندة للمشروع الأيديولوجي للسّلطة كالإصلاحات الزّراعية والثقافية...، فالطّاهر وطّار مثلا في رواية "الحوات والقصر"، رغم تأييده للمشروع الإصلاحي الزّراعي والثقافي الذي أقرته الدّولة الجديدة بعد الاستقلال إلا أنه ينتقدها عبر خطابه السّردي من خلال حوار الشّخصيات ولغة السّرد، وكذلك فعل عبد الحميد بن هدوقة، سواء في "رواية ريح الجنوب" أو "نهاية الأمس"، فهذه الأخيرة رؤيتها الأيديولوجيّة هي الإصلاح مع ظهور واضح للأيديولوجية الاشتراكية، طرح فيها قضية الإقطاعية ووقوفها في وجه المشروع الإصلاحي، فهي كما يقول **الناقد محمد مصايف :** "صراع بين نزعتين تمثل إحداهما الإقطاع وحبّ الاستغلال والرّغبة في إبقاء ما كان على ما كان، وتمثل الأخرى، وهي نزعة البشير والمتقدمين أمثاله العمل من أجل الصّالح العام، ورفض كل أنواع الاستغلال والهيمنة والرغبة المؤكدة في إصلاح الأوضاع الاجتماعية الفاسدة في الرّيف الجزائريّ"[4]

وقد سارت رواية **"الشّمس تشرق على الجميع"** لإسماعيل غموقات في نفس **الاتجاه الأيديولوجي الإصلاحي** لكن تختلف عنهم في اهتمامها بالحياة في المدينة وليس الريف، وقد تناولت قضايا مختلفة كقضية المرأة والفساد الإداري في المؤسسات الوطنية والفساد الاجتماعي في المجتمع وإلى جانب **رواية السّلطة** كما يسميها البعض ظهرت **رواية المعارضة** كرؤية أيديولوجية جديدة في

---

[1] - ينظر : المرجع نفسه : ص 33.

[2] - بوشوشة بن جمعة : الرواية الجزائرية العربية (أدب الكتابة والصيرورة)، ص11 .

[3]- واسيني الأعرج : الطاهر وطّار (تجربة الكتابة الواقعية، الرواية أنموذجا، دراسات نقدية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989م، ص11.

[4] - محمد مصايف : الرّواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الشّركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1983م، ص91.

الرّواية الجزائرية في ظل المعطيات السّياسية الجديدة، وبالتّحديد برزت في المرحلة الممتدة ما بين الثمانينيات والتّسعينيات و"قد وقفت لتعارض أيديولوجية السّلطة وتطرح أزمة الحرّية والدّيمقراطية والتّجاوزات الاجتماعية التي يخفيها خطاب السّلطة الاشتراكي"[1]

وقد حمل الرّوايات المعارضة للسلطة مضامين جديدة، فرضها الرّاهن الجديد، إذ تخلّى معظم الرّوائيين عن الأيديولوجية القديمة ذات الأحادية الحزبيّة، فالطّاهر وطّار مثلا حاول من خلال رواية "الشّمعة والدّهاليز" أن يوصل إلى المتلقّي فكرة نقد السّياسة الموالية لفترة الرئيس"هواري بومدين"، باعتبارها الفترة التي قوّضت كلّ الإنجازات الاشتراكية وحطّمت حلم الشّهداء"[2]، فصوّر معاناة الشّعب الجزائري تحت رحمة الإرهاب ومعناة المثقف الجزائريّ، ويظهر ذلك في نهاية الرّواية من خلال اغتيال الشّاعر للضّحية من قبل ملثمين.

وقد طرحت الرّواية الجزائريّة أزمة الثقافة والهويّة، فذاكرة الماء لواسيني الأعرج طرحت مشكلة المثقّف، الذي أصرّ على البقاء في وطنه وسط الموت والخوف والألم والخراب، فذاكرة الماء هي "نصّ تراجيديّ فاجع عن اغتراب المبدع وحصاره ونفيه الوجوديّ، وسيرة روائية لأقاليم الوطن والحياة "[3]، وقد برزت بعض الأصوات الأيديولوجيّة؛ الرّافضة للواقع القائم، هادفة إلى التّغيير من خلال شخصيات روائيّة عبّرت عن هذه الرّؤى، وانفتحت الكتابة الرّوائية على التعدّديّة السّياسيّة وحرّية التّعبير.

وفي ظلّ العنف السّياسي والإرهاب ،كانت الكتابة الرّوائية الأقدر على احتواء الأحداث الرّاهنة خاصة بعد أحداث أكتوبر 1988م التي أشرنا إليها سابقا في نشأة الرواية الجزائريةّ، وسمّيت روايات هذه المرحلة بروايات المحنة الجزائريّة، كروايات "ياسمينة خضراء" والتي من بينها رواية "بماذا تحلم الذئاب" وقد عالجت موضوع العنف أو ما يسمى بالإرهاب، وهو موضوع معظم الأعمال الرّوائية في مرحلة التّسعينيات، و المثقّفون أكثر الرّموز استهدافا، ويظهر ذلك بشكل واضح في رواية تيميمون لرشيد بوجدرة حين عرض شخصيّة الأستاذ بن سعيد الذي اغتيل بمنزله من طرف عصابة إرهابيّة من الإسلاميين، بالإضافة إلى كثير من الرّوايات التي عالجت ظاهرة الإرهاب **كروايات عز الدين جلاوجي "سرادق الحلم والفجيعة"و "رأس المحنة" و"الرماد الذي غسل الماء"**، فكانت رواياتهم شهادة على راهن مؤلم ومثقّف معذّب.

والملاحظ من خلال ما تمّ عرضه من تجلّيات **الرؤية الأيديولوجية** داخل الأعمال الروائية الجزائرية أنّها ارتبطت بهذه الرؤية ارتباطا شديدا "فلا يمكن لأيّ خطاب روائي مهما كان قريبا أو بعيدا عن عالم الأدب أن ينفلت من أسر الذّات والتّاريخ والأيديولوجيا وتأخذ الرّواية شرعيتها من قدرتها على صهر كل ذلك في رؤية ثقافية بصوغ جمالي " [4]

---

[1] - علّال سنقوفة : المتخيّل والسّلطة، ص63.

[2]- المرجع السّابق ص .83

[3] - شرف الدين مجدولين : الرواية والمنفى وسؤال الغيرية (ذاكرة الماء لواسيني الأعرج)، مجلة إبداع، الهيئة العامة المصرية للكتاب العدد ديسمبر /يناير 1999م -2000م، ص 150

[4] - شعيب حليفي : ثقافة النص الروائيّ، ص 91.

وقد سايرت الرّواية الجزائرية الواقع، و نقلت مختلف التّغيّرات التي طرأت على المجتمع عبر التّاريخ بحكم الظرّوف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التّغيير، ومن الملاحظ أن مضامين الرّواية الجزائرية، سواء المكتوبة باللّغة العربيّة أو باللّغة الفرنسية، تناولت موضوع الثّورة التّحريرية ضدّ الاستعمار الفرنسي، وبرزت فيها **النزعة الوطنية والقومية،** وبدا من خلالها الرّوائي ملتزما بقضايا أمته، أوصل القضيّة الجزائريّة أثناء الثّورة إلى المحافل الدّولية، وساهم في انتشار الوعي الوطنيّ والقوميّ وتوجيه الجزائريين إلى مبدأ التّحرّر وّالكفاح المسلّح وأهميته خاصة بعد الاتجاهات السّياسية التي سادت قبل الثّورة **كالاتجاه الاندماجي والاتجاه الإصلاحي،** والتي لم تمكّن الشّعب الجزائري من استعادة حريته أو ممارستها بشكل أفضل، كما سايرت الرّواية الجزائريّة في مراحل تطوّرها النّظام الاشتراكي، ضمن ما يسمّى برواية السّلطة وهذا ما نجده في عقد السّبعينيات مع الطّاهر وطّار وغيره، كما رأينا ذلك سابقا.

ثم دخلت الرّواية الجزائريّة في ما بعد مرحلة جديدة، بفعل مجموعة من العوامل كظهور الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وتأثيراتها على النّواحي الأخرى، و تمركز السّلطة في يد الأقليّة إلى سقوط السّلطة الحاكمة ذات الأحادية الحزبية، التي ظلّت تخفي تناقضاتها، وهذه الأزمات السّياسية المتتالية كانت سببا في ظهور الانحراف والتّسلط والبيروقراطيّة وعدم الاستقرار السّياسي والأمنيّ للمجتمع، فانطلق الكاتب من الواقع المعيش في زمن الأزمة واصطلح عليه ب"أدب الأزمة أو أدب المحنة ".

وما مكن قوله أنّ الرّواية الجزائريّة احتوت ضمنيا أبعادا أيديولوجية مختلفة، حسب اتّجاه كلّ كاتب وبيئته وعالمه المحيط به، وّصعب أن نجد نصّا في العصر الحديث يخلو من الصّبغة الأيديولوجية التي انصهرت ضمن الخطاب الرّوائي **عبر العنوان واللغة والمكان والزمان والشخصيات** وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال رواية جزائريّة تناولت ظاهرة عالمية وهي الإرهاب في مكان وزمان غير الجزائر وهو أفغانستان ومعاناتها من الإرهاب (التّطرّف الدّينيّ) من جرّاء حكم طالبان، هذا الإرهاب الذي عانت منه الجزائر لعشرية كاملة.

الفصل الثاني

بنية السّرد وأبعادها الأيديولوجيّة في رواية سنونوات كابول لياسمينة خضرا

الفصل الثّاني : بنية السّرد وأبعادها الأيديولوجية في رواية سنونوات كابول.

1- الطّرح الأيديولوجيّ للرّواية

1-1- نبذة موجزة عن الرّواية و مرجعيّتها السّوسيوتاريخيّة.

1-2- تلخيص الرّواية (الطّرح الأيديولوجيّ للرّواية).

2- أدلجة العنوان

2-1- تعريف العنوان

2-2- البعد الأيديولوجيّ للعنوان (سنونوات كابول)

3- الأبعاد الايديولوجيّة للشّخصيات

3-1- مفهوم مصطلح الشّخصيّة

3-2- شخصيات الرّواية وأبعادها الأيديولوجيّة

4- أدلجة الزمن في رواية سنونوات كابول

4-1- مفهوم مصطلح الزّمن

4-2- تجليات الأيديولوجية في زمن الرّواية

5- أدلجة المكان في رواية سنونوات كابول

5-1- مفهوم مصطلح المكان.

5-2- تجليات الأيديولوجية في مكان الرّواية

أ-الأمكنة المغلقة

ب- الأمكنة المفتوحة

تمهيد:

بعد أن تناولنا الرّؤية الأيديولوجية في الرّواية الجزائرية في إطارها العام خاصة القضايا الوطنيّة التي واكبت راهن الأمة الجزائريّة، سنحاول من خلال الأنموذج المختار أن نكشف عن هذه الرّؤية في قضية غير القضيّة الجزائريّة وبلد غير الجزائر، لكنّ الجّرح والطّرح الأيديولوجيّ واحد، يتّفق مع منطلق الرّواية الجزائريّة خلال العشريّة السّوداء في الجزائر، والتي عبّر الرّوائيون من خلال شخصياتهم الورقية ولغتهم عن رفضهم لمظاهر العنف والتطرف الدّيني، ومن خلال هذه المقاربة والتي اخترنا فيها رواية جزائرية بلسان فرنسيّ(مترجمة)، نسعى إلى الكشف عن النّسيج السّردي وتبيين علاقته بأيديولوجيا الكاتب وأفكاره والتي تجلت عبر البنية الفتية للنّصّ، بداية بالعتبات النصّيّة وأهمّها العنوان أو البنية الدّاخلية كالشّخصيات التي تخفي عبر ستار التعدّد اللغوي دلالات أيديولوجية مختلفة، سنحاول الكشف عنها مع ربطها بعنصري الزّمان والمكان لكون الإنسان لا يعيش في فراغ وإنّما في بيئة زمكانية تحمل هي الأخرى أبعادا

أيديولوجيّة متعلّقة بمرجعية سوسيوتاريخية واجتماعية، والإشكاليات المطروحة هي : كيف ترجم ياسمينة خضرا عن رؤيته الأيديولوجيّة من خلال رواية سنونوات كابول؟، وهل استطاع الرّوائيّ أن يعكس للمتلقّي الأزمة السّياسيّة والاجتماعية في القضيّة الأفغانية ؟، وكيف تجسّدت الأيديولوجيا في البنية السّردية كالعنوان وسلوك الشّخصيات والزّمن والأمكنة؟.

1-الطرح الأيديولوجي للرواية :

1-1-نبذة عن رواية سنونوات كابول ومرجعيتها السّوسيوتاريخيّة:

سنونوات كابول رواية جزائريّة للرّوائي ياسمينة خضرا، كتبت باللّغة الفرنسيّة وترجمت إلى عدّة لغات، ومن بينها اللغة العربية، والترجمة التي اعتمدنا عليها في التّحليل هي: للكاتب والمترجم الجزائريّ محمد ساري عام 2005 م، وقد" نشرت رواية سنونوات كابول عام 2002م، عن دار جوليار- باريس، ويبلغ عدد صفحاتها 189 صفحة، هذا عن الرّواية الأصل"[1]، ورواية "سنونوات كابول" الجزء الأول من ثلاثية تشمل روايتَين أخريين هما "الاعتداء" و "صفارات إنذار بغداد"، لينطلق ياسمينة خضرا من خلال الروايات الثلاث في وصف الشرق المعاصر وعلاقة الصّراع التي دخلها مع الغرب، وذلك من خلال التركيز على الاتجاهات المتشددة وموجات التطرّف التي ضربت بعض بلدانه[2].

[1] - رفيقة سماحي: تجليات المناص في رواية سنونوات كابول للروائي ياسمينة خضرا، مجلة البدر، جامعة طاهري محمد بشار المجلد9، العدد 11، ،سنة2017م، ص521

[2] -ينظر : عبد الرزاق دحنون : سنونوات كابول بين الرواية والفيلم ،19 أوت 2019م، المشاهدة 15-4-2022م، https://alantologia.com/blogs/47726/

أمّا **مرجعيّة الرّواية السّوسيوتاريخيّة فتتمثّل في :** كون الرّواية تتحدّث عن القضية الأفغانية، والإرهاب المجسّد في صورة حكم طالبان في أفغانستان، وبالتّحديد في منطقة كابول الأفغانية، وقد تحدّث الرّوائي عن الغزو السّوفييتي لأفغانيستان كمرجعية سوسيوتاريخية لها أثر كبير جدّا في الحالة المأساوية التي تعيشها أفغانستان، إلى جانب حكم طالبان المتطرّف، و"يعدّ الاحتلال السوفيتي لأفغانستان (1979- 1989) استكمالا لفترة الحرب الباردة والصّراع الدّولي الدّائر بين الكتلة الشّرقية (الاتحاد السّوفيتي) والكتلة الغربية (الولايات المتّحدة الأمريكية)، وقد ساعدت الولايات المتحدة الأمريكية على إطالة أمد الصّراع السّوفيتي- الأفغاني للقضاء على قوّة الاتحاد السّوفيتي الدّولية بدعم فصائل المقاومة ماديا ومعنويا وعسكريا "[1].

وقد أدّى هذا الغزو الذي دام أكثر من تسع سنوات إلى تدهور حالة المجتمع الأفغاني من ناحية الخسائر الضخمة التي مسّت الأرواح "والتي وصلت إلى 1,24 مليون مواطن أفغانيّ، ومقتل نحو 100ألف من رجال المقاومة الأفغانية، إضافة إلى عدد الجرحى الذي يفوق عدد القتلى عن طريق قصف الجوّ العشوائيّ للمناطق الرّيفية من قبل القوات الجوّيّة السّوفييتيّة-الأفغانيّة، إلى جانب انتهاك حقوق الإنسان وقد كان القادة السّوفييت يعلنون أنّه إذا قتل أو جرح أحدهم، يقتل النّساء والأطفال وكبار السّنّ"[2].

ويمكن اعتبار رواية سنونوات كابول **وثيقة تاريخية** تصف واقع المجتمع الأفغاني وتكشف العنف والاستبداد والتّطرف الذي دمّر المدينة وسلب السّكينة منها.

1-2- تلخيص الرّواية (الطّرح الأيديولوجيّ للرّواية) :

أ-تقديم الرّواية: لقد افتتح الرّوائي روايته بتمهيد، وصف فيه طابع بيئة كابول الصّحراوية المقفرة، والتي تحوّلت إلى ساحات للقتال والمقابر، فغاب الرّبيع، وأصيب الرّجال بالجنون، وساد القحط وكفر النّاس بالمعجزات، وقد" قدّم النّاشر للرّواية تقديما عجائبيا، بين المأساة التي تسري في ربوع كابول المدينة المنكوبة التي تكالبت عليها المحن والإحن طيلة ربع قرن من الزّمن في الفترة الممتدة ما بين 1978-2003م، ولّدت القمع والبطش والاستسلام للقمع الممنهج، المسلّط على سكان كابول من خلال وصف أحداث وقعت فيها، ناجمة عن الصّراع على السّلطة الذي تولّد عنه الدّمار الشامل للبلاد والعباد"[3].

ب-مضمون الرّواية الأيديولوجيّ:

تقوم رواية سنونوات كابول لياسمينة خضرا على أربع شخصيات رئيسيّة، تحرّك أحداث الرّواية وتعطيها أبعادا أيديولوجية مختلفة، وهي شخصيّة عتيق شوكت، السّجان الذي أصيب بحزن شديد وتراجع انضباطه في العمل من جرّاء مرض زوجته مسرّة، بمرض عضال منعها من القيام بواجباتها كزوجة، ثمّ ما زاد الطّين بلّه؛ هو سلسلة الإعدامات العمومية التي تنفّذ أمام الملأ في الأراضي الأفغانيّة بنوع من التعصّب والتّطرف، من جرّاء حكم حركة طالبان، لكن عتيق

---

[1] - ميادة عبد الله محمد عبد الله الحلو : الاحتلال السوفييتي لأفغانستان(179-1989م)، المجلة العالمية لكلية الآداب، جامعة دمياط، قسم التاريخ، كليه الآداب ص213.

[2] -المرجع نفسه : ص214

[3]- كواري مبروك : القمع والسّرد، غرابة السرد وسخرية الواقع في رواية سنونوات كابول، مخبر الدراسات الصحراوية ,جامعة طاهري محمد بشار، دت، ص57.

شوكت لم يستطع التّعبير عن ما يجول بخاطره، وما يحزنه لصديقه مرزاشاه، فالصّداقة التي بنيت على الثّقة تبخّرت، في ظلّ الظّروف الموبوءة التي حلّت بمدينة كابول وقد كشفت لنا هذه الثّنائية عن تهميش المجتمع الأفغانيّ للمرأة ونظرته لها .

أمّا الثّنائية الثانية فهما : محسن رمات وزوجته زنيرة، وهما من الطّبقة المتعلّمة المثقّفة، تزوّجا عن حبّ، لكنّ استبداد طالبان وظروف البلاد القاهرة حالت دون ممارستهما لعمليهما، وحوّلت حياتهما إلى جحيم، فمحسن الذي كان شخصا هادئا خجولا، تحوّل ودون سابق إنذار إلى شخص آخر، لم يعد يعرفه، فالسّعادة الكاملة التي كان يشعر بها قبل الغزو السّوفييتي لأفغانستان، اضمحلّت وتلاشت، وسط الإعدامات المتتالية في السّاحة العموميّة، ودون رحمة، وقد تردّد محسن قبل أن يلتحق بالجمع المسعور المشارك في إعدام امرأة فاجرة، لكنّه لم يحس بنفسه إلّا وهو وسط الجمع، الذي ألهبته خطابات الملّا بشير الدّينية، فشارك معهم في عملية الرّجم، هذا العمل الذي أصبح كابوسا يطارده ويؤرّقه لليال، لم يفهم كيف تجرّد من إنسانيته؟، ولم يستطع تحمّل هول الحادثة لوحده، فشارك زوجته زنيرة، التي صدمت في الرّجل الذي أحبّته واختارته شريكا لها من دون الرجال، لم يعد يختلف عنهم عن أولئك المتوحشين في كابول.

والشّيء الوحيد الذي كان يؤنس بؤس بيتهما البالي؛ هو حبهما وتفاهمهما، لكنّها أدركت أنّ زوجها وإن أخطأ يستحقّ أن تقف معه ومع ذلك كانت الحادثة بداية بؤرة التوتر بينهما، وقد أراد محسن أن يصلح ما انكسر بينهما ويعزّز حبّهما، وتمنّى لو أنّ أيّام الصّفاء تعود بينهما، لذلك قرّر أن يأخذ زوجته للتّجوّل والتّنزه في شوارع كابول، ناسيا ما حلّ بالبلاد من عنف وتطرّف، فكلّ شيء ممنوع باسم الدّين حتّى الضّحك، ورغم تردّد زنيرة لأنّها لم تعد تثق بأيّ شيء خارج المنزل لكنّها طاوعت زوجها، وحدث ما توقعت، فقد أهينا معا من طرف حراس طالبان، فقط لأنها تحدثت وضحكت، وقد اضطرت أن تنتظر زوجها، الذي أدخل غصبا إلى المسجد ليستمع إلى خطبة الملّا بشير، وهي ملفوفة في شادورها والشّمس محرقة، فلم تتحمّل هول الحادثة ونظرات طالبان المزدرية، ولا حتّى زوجها الذي كان سببا في خروجها من المنزل، رغم أنّها أخبرته بأنّهما لن يجدا غير القمع والبؤس والشّقاء والإذلال وتكشف الثّنائية خاصة عن تهميش المثّقف وأيديولوجية العنف التي ألبستها حركة طالبان قناع الدّين لفرض سيطرتها على البلاد.

فهذه الحادثة التي كانت مجرّد نزهة بسيطة، جعلت زنيرة تنزوي بنفسها في صمت رهيب، ولم تنزع شادورها في المنزل، رغم توسّلات محسن، فالقمر الوحيد الذي كان يضيء لياليه وينسيه ألم بيته الذي خرّب، هو أيضا ضاع، وجميع محاولاته باءت بالفشل وآخرها لقى فيها حتفه، بعد أن دفعته زنيرة لتبعده عنها، لمّا همّ بنزع شادورها غصبا، فأردته قتيلا، وحكم عليها القضاة بالقتل رميا بالرّصاص، دون حتّى أن يستمعوا لأقوالها، ونظرا لوجود احتفال كبير يحضره قادة ومسؤولون كبار، قرّر قاسم عبد الجبّار بهذه المناسبة؛ الاحتفال عن طريق إعدام جماعيّ في السّاحة العموميّة، وبما أنّ جميع المحكوم عليهم من الرّجال، تركوا زنيرة في السجن لمدة أربعة أيام لأنّها المرأة الوحيدة المحكوم عليها مع الرّجال.

وهنا **تلتحم القصّتان**، فيتعرّف عتيق شوكت السّجان على زنيرة في زنزانتها، وقد سحرته بجمالها الذي لم يشهد مثيلا له من قبل، فهو لم ير إلا زوجته زنيرة، أما بقية النّساء عنده مثل الأشباح تماما، لا تبدو عليهنّ أيّ صفات للأنوثة، وقد زاد تعلقه بها وانتابه شعور غريب لم يعهده من قبل، وهو ما لاحظته زوجته مسرّة، حين عبّر لها عن جمال تلك المرأة، و دافع عنها بقوّة، لمست فيه روحا أخرى، كأنّ الحياة زرعت فيه، بعدما كان بلا روح، أدركت مسرة أنّ هذه المرأة

أحيت فيه مشاعر الحب، وقد سرّها حال زوجها عتيق، وخافت عليه في نفس الوقت، لكنّها فهمت حزنه على المرأة وتقبّلت حبّه لها، رغم توجّعها لأنّ تلك الكلمات السّجية لم تسمعها منذ عشرين سنة من زواجهما، لكنّها لم تمنعه من التّفكير بها لأنّه أخيرا وجد ضالته فما يحدث له يحسده عليه السّلاطين والأولياء الصّالحون، وقد نصحته بأن يهرب معها وأن يسمع قلبه، وأن لا يلتفت إلى الوراء، فمسرة تدرك تضحية زوجها وعنايتها بها، رغم عجزها عن القيام بواجباتها الزّوجية، وعدم إنجابها للأولاد، لم يتخل عنها حتّى بعد نصيحة صديقه مرزاشاه.

ولم يكن الأمر ممكنا مع حرّاس طالبان، سيطبقون حكم الرّجم عليهما كما فعلوا مع الآخرين، وقد حاول أن يقنع قاسم عبد الجبّار ببراءتها لكنّه رفض التّوسط لها، وقد ظل عتيق شوكت ليلته الأخيرة في السجن خاشعا في صلاته، ورغم رغبته في رؤيتها إلّا أنّه قاوم ذلك، وفي الصّباح جاءت مسرة وقد لامت نفسها كثيرا لكونها من أسباب تعاسته بالإضافة إلى أوضاع كابول، فهي لم تكن سوى ممرضة عالجته، وأنقذت حياته فتزوّج بها عرفانا بالجميل، رغم أنّها تكبره سنا ، فرأت أنّ المرأة الوحيدة التي حركت فيه هذا الشعور الجميل، لا تستحق أن تموت، فطلبت منه أن تعدم مكانها فكلّ ما في الأمر شادور يحلّ محلّ شادور آخر ،لتحرّر زنيرة، فموتها أكثر فائدة من حياتها.

وبعد إصرارها أخرج عتيق زنيرة من الزنزانة وأخفاها في مكتبه على أساس أنّهم عفوا عنها بعد التوسّط لها، وحلّت مكانها مسرّة، وفجأة جاء قاسم عبد الجبار والميليشيات، وأخذوا مسرة، وفي السّاحة العمومية كان الجمع كبيرا، حضرته شخصيات مرموقة، بدأت سلسلة الإعدامات المشؤومة، أما عتيق فقد كان يبحث بنظراته بين جمع النساء الذين حضروا الاحتفال عن زنيرة آملا أن يتعرّف عليها، ولم ينتبه إلى زوجته مسرة التي رافقته بنظراتها الأخيرة، ولمّا أنهيت هذه المجزرة الجماعيّة، ألقى الملّا بشير خطبته الرّنّانة، ليلهب حماسهم، ثم انصرف الجميع وظلّ عتيق يبحث عن زنيرة لكنّه لم يجدها غادرت الملعب وفرّت، وبقي لوحده كالمجنون لم يصدّق هول الفاجعة فزوجته ماتت وحبيبته لم يعد لها أثر، لم يتقبّل الأمر، وظلّ يسير في شوارع كابول يبحث وينادي زنيرة، زنيرة....

ولم يكتف بهذا، بل تهجّم على النّساء بنزع شادورهنّ والنّقاب، عسى أن تكون زنيرة بينهنّ، وهو ما أثار السّخط عند أزواجهنّ وأقاربهنّ وحتىّ الأطفال رجموه بالحجارة فكان مصيره مأساويا كمصير سجنائه.

والرّواية تكشف عن الأزمة السّياسية والاجتماعية التي حلّت بمدينة كابول كما كشفت عن أسبابها كالغزو السّوفييتي وتعصّب حركة طالبان باسم الدّين كاشفا عن بعض نواياها الأيديولوجيّة ليواجه أيديولوجيا بأيديولوجيّة أخرى.

2-أدلجة العنوان :

سنونوات كابول "les hirondelles de kaboul"

2-1- **مفهوم العنوان :** يعتبر العنوان هو أوّل عتبة نصّية تستدعي اهتمام القارئ، ويعرّفه حسين خمري:" العنوان علامة أي رمز يكسب النّص شرعيّة تاريخيّة وفنيّة وثقافية ويصبح مجرد ذكره يحيل إلى مضمون النص، ويشير إلى صاحبه والعصر الذي كتب فيه." [1]

وقد نال العنوان اهتماما كبيرا من طرف الرّوائيين العرب خصوصا في الفترة المعاصرة وقد "بات اختيار العنوان بالنسبة للرّوائي الحداثي هو استراتيجية فنيّة لا تقل أهميّة عن باقي عناصر الكتابة الرّوائية الأخرى وهنا يغدو العنوان وسيلة مركزية للتفاعل مع الكتابات الأخرى والاندراج في أفقها الإبداعيّ"[2]، وهكذا يخدم العنوان المتن الروائيّ ويكون علامة دالة على الرّؤية الأيديولوجية للكاتب والتي شحنها في العنوان ليضمّنها بعد ذلك في الخطاب الرّوائي.

وعنوان الرّواية هو جزء أساسيّ من نصّها؛ أوّل جزء يصادفه القارئ في الواقع، ولذلك فله قدرة مهمة على أن يجلب انتباهه فهو جزء مهم جدا من أجزاء العملية الإبداعيّة، إذ يلقي الضّوء على المحتوى الأيديولوجي الذي يفترض أن يكون في الخطاب الرّوائي وهذا ما يجعلنا نطرح الإشكاليات الآتية : **بم يوحي عنوان رواية "سنونوات كابول" ؟، وما مدى حضوره في النّصّ؟، وهل نجح ياسمينة خضرا بتحميل عنوانه تلك الشحنة الأيديولوجية المضمرة داخل الخطاب السّردي ؟.**

2-**2-البعد الأيديولوجي للعنوان : عنوان الرّواية** التي نحن بصدد دراستها هو" **سنونوات كابول"**، وما يبدو للوهلة الأولى أنّ تركيب العنوان واضح ومباشر؛ مركب إضافي من كلمتين : الأولى سنونوات وهي جمع سنونو، و الذي نعني به طائر الخطّاف؛ فصيلة من الطّيور التي تنتمي إلى رتبة العصفوريات المهاجرة، والتي كانت علامة لقدوم فصل الرّبيع، أما الكلمة الثّانية فهي كابول وهي مدينة موجودة في أفغانستان هذه المدينة التي عانت كثيرا من جرّاء الغزو السّوفييتي والحرب الأهليّة، والتّدخل الأمريكيّ بالإضافة إلى معاناتها من ظلم وتعصّب حركة طالبان، التي فرضت سيطرتها على البلاد في العديد من المرّات، ممّا خلق وضعا اجتماعيا مزريا، ضاقت فيه المرأة من الاضطهاد والتّعصّب وحرمت من ممارسة حقوقها الإنسانية كالتّعليم، وأصبحت أشبه بآلة منتجة، وإن أصابها العطب استبدلت بأخرى كما قال مرزاشاه لعتيق شوكت، حين طلب منه أن يطّلّق زوجته ويعوّضها بأخرى.

لكنّ السّؤال المطروح هو إلام يشير الكاتب بكلمة سنونوات؟، وما علاقة ذلك بأوضاع كابول، وبأحداث الرّواية وشخصياتها؟

---

[1] - رفيقة سماحي : تجليات المناص في رواية سنونوات كابول للروائي ياسمينة خضرا، ص 520.

[2] -فرحات ناجي : صناعة العنوان الروائي في الرواية العربية الشرفات، عينة التعليمية، مخبر الدّراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربيّ، المركز الجامعي، مغنية (الجزائر), المجلد11, العدد2، نوفمبر 2012، ص86
ferhatnaji94@gmail.com

تمكّن الرّوائي ياسمينة خضرا من شحن عنوانه بدلالة رمزيّة تحمل **أبعادا أيديولوجية** مختلفة عن معناها الظّاهري، الذي هو مجرّد طيور مهاجرة تعيش في مدينة كابول، ولقد استخدم الكاتب لفظة سنونوات داخل الرّواية مرتين، ففي المرّة الأولى ربط الكاتب السّنونوات بالغزو، السّوفييتي وما أحدثه من آثار مأساويّة، توحي بنهاية العالم، فالسّماء الزّرقاء التي كانت تضمّ أسراب السنونوات المهاجرة، في ظلّ الظروف السّياسية الجديدة لم يعد الأمر ممكنا، " لقد تشتّت أسراب السنونوات المفزوعة وسط شلّال الصّواريخ المتقدّمة بلا انقطاع، إنّ الحرب هنا، ها هي تعثر على وطن"[1]، وما نلاحظه من خلال هذا المقطع السّرديّ، أنّه يحمل بعدا سياسيا، ارتبط بالتّغيرات الطّارئة التي حرمت السنونوات من تجمعاتها، ومن التّمتّع بحريتها، والطّائر ما خلق إلّا ليكون حرّا، لكنّ الحرب سلبته حرّيته وشتّت شمله، وسط الصّواريخ ولم يعد صوتها العذب الجميل مسموعا، وسط الطّلقات النّارية، وفي المرّة الثّانية التي تجلّى فيها مقطع من عنوان النّصّ وهو سنونوات، حين وصف الرّاوي نساء كابول بعد الغزو السّوفييتي وما حلّ بالبلاد من خراب خاصة، بعد سيطرة حركة طالبان المتطرّفة على كابول، وذلك في قول الرّاوي: " أسراب من السنونوات الآية على الهلاك زرقاء وصفراء، حائلة في الغالب، متأخرة بمواسم عديدة، والتي تطلق صوتا كئيبا عندما تمرّ بقرب الرّجال".[2]

لقد كان طائر السنونو يبشّر بحلول فصل الربّيع، يقول المثل الأفغاني : يمكنهم قتل طيور السنونو، لكنّهم لا يستطيعون منع حلول الرّبيع.

هنا تظهر رؤية الكاتب الأيديولوجية حين ربط السنونوات بنساء كابول وعجائزها، فالسنونو يرمز إلى المرأة التي فرضت عليها حركة طالبان المتطرّفة ارتداء الشّادور، سواء كان بلون أزرق أو أصفر كما فرضت عليها النّقاب، وهذا ما يشبه إلى حدّ بعيد طائر السنونو في شكله ولونه وحالته، والذي أصبح يشعر بالخطر الشّديد في مدينة كابول، وهو ما جعل صوته العذب الجميل يختفي، ذلك الصّوت الذي كان يصدره قبل الغزو السّوفييتي والحروب الأهليّة، أثناء المغازلة أو وضع البيوض، وهذا ما يشبه في الرّواية قصص الحب والغرام، التي تحدّث عنها الرّاوي وربطها بنساء كابول قبل الغزو السّوفييتي، حين تحدّث عن ضحكاتهنّ الأشبه بالنّشيد، وكيف أصابهنّ الفزع أيضا كالطّيور المهاجرة.

فالمدينة انقلبت رأسا على عقب، سواء بالنسبة للسنونوات المشتّتة والمفزوعة من صوت السّلاح، والتي أصبحت تصدر فقط أصواتا كئيبة لأنّها أحسّست بالخطر المحدّق بها، كحال المرأة الأفغانيّة في مدينة كابول التي غيّبت ضحكاتها، **وضاع ربيع شبابها** من جرّاء تسلّط طالبان وتطرّفهم وحرمانها من حقوقها في مجتمع ذكوري، يرى المرأة مجرّد خادمة، ليست سوى مرؤوسة، كما قال مرزاشاه، عليها أن تقبّل أصابع الرّجل الذي تزوّجها، وهذا ما يوحي برؤية الكاتب الاجتماعية حول وضع المرأة الأفغانية، التي هُمّشت ولم يعد لها صوت جميل، سوى بعض الأصوات الكئيبة، حين تلاقي الرّجال وهذا يشبه ما حدث للسنونوات.

---

[1] - ياسمينة خضرا، تر محمد ساري : سنونوات كابول، دار الفرابي، بيروت-لبنان، ط 1،2007م، ص17.

[2] - الرّواية : ص(148-149)

وقد عانت زنيرة زوجة محسن من ظلم حرّاس طالبان، حين ضربت بالسّوط و منعت من الحديث، ولمّا حكم عليها ظلما رميا بالرّصاص، رغم أنّها لم تتعمّد قتل زوجها، وحين لم يصبح بين النّساء أيّ فرق؛ شادور حلّ محلّ شادور آخر، كأنّ أنوثتهنّ لعنة ابتلين بها.

وطائر السنونو من الرموز الصّوفية الذي يرمز إلى معان كثيرة، فقد كان يعتقد أن السنونو يرمز لكثير من معاني الحبّ والسّلام والإخلاص، كما أنّه علامة على الحظّ السّعيد، كما يرمز إلى الرّبيع، كالمرأة التي ترمز للحبّ والأمان، لكنّ الذي حدث لهما يختلف تماما عن رمزيتهما، ورغم وجود المثل الأفغانيّ الذي الذي يقول : "يمكنكم قتل كلّ طيور السنونو، لكنّهم لا يستطيعون منع حلول الرّبيع" إلّا أنّهم قتلوا السنونوات أثناء القصف، فكانت ضحيتهم، وخرّبت البلاد وزرعوا الرّعب في قلوب النّساء، وحرقت الأشجار، وحتّى وإن حلّ الرّبيع فإن ملامحه غابت في مدينة الأشباح المزيّنة بالمشانق، وربيع العمر ضاع وسط سلسلة حروب شلّت البلاد والعباد، وسلبت حرّية النّساء، وان كانت زنيرة لم تكن ترغب في البهرجة، ولكن الحياة كانت ستكون أحسن لولا القيود المفروضة عليهنّ، وهكذا أصبحت كابول مكانا خانقا يسوده الفوضى والخراب والإعدامات العمومية، بداية بالعدوّ الغربيّ ثم أبناء الوطن أيضا هم أعداؤها، وحلّ الرّعب بالنّساء أيضا كطائر السنونو فأصبحن" محنّطات بأكفان بلون الرّعب والحمى".[1]

وقد نجح ياسمينة خضرا في شحن عنوانه **برؤيته الأيديولوجية** سواء ما تعلّق بكلمة سنونوات، إذ اختار هذا الطّائر بشكل متعمّد في شكله ولونه، الذي يشبه شادور نساء كابول أو حاله التي تشبه حالة المدينة وأهلها، كارتباط بين الإنسان والطبيعة، فقد " قدّم المرأة الأفغانية في هذا الملفوظ اللّساني في صورة طائر أسود ليحيل على الكآبة والانغلاق و القهر والجور ومصادرة الحرّيات "[2].

3-الأبعاد الأيديولوجيّة للشّخصيات :

3-1-مفهوم الشّخصيّة :

تعدّ الشّخصيّة أحد أهمّ العناصر الأساسيّة المكونة للعمل الأدبيّ، و نظرا لأهميتها لم تستطع ايّة قوّة أن تسقطها من على المنصّة التي وضعها القرن التّاسع عشر عليها، بل إنّ النقد لا يعترف بالرّوائيّ الحقيقيّ إلّا بها، فالرّوائي الحقيقيّ هو ذلك الذي يخلق الشّخصيات، والعمل الرّوائي تكمن قوّته في حسن اختيار هذه الشّخصيات وكيفية انتقائها، والرّوائي النّاجح لا يبني شخوصه عبر سرد جاف غير مقنع، بل يترك للشّخصيّة بعض الحرّيات، بحيث يختارها بكلّ ذكاء وتغدو اكثر إقناعا, وتنغمس في المجتمع معبرة عنه.[3]

و الشّخصية الرّوائية بوجه عام ذات طابع وظيفي، تخضع لاعتبارات مفهومية حتى تكتسب هذه السّمة، فهي في المقام الأول دور، والأدوار بطبيعتها متنوعة ومتعدّدة، وتشمل كل مشارك في العمل الروائي، سواء أدّى دورا سلبيا أو إيجابيا، بشرط أن يشارك في الحدث، ومن لا

---

[1] - الرّواية : ص 17.

[2] د-كواري مبروك : القمع والسرد و غرابة السّرد وسخرية الواقع في رواية سنونوات كابول، ص 56

[3] - ينظر : سامحي رفيقة : شخصيات بين الفنية والواقعيّة في رواية " بم تحلم الذّئاب للرّوائيّ ياسمينة خضرا "، مجلّة الاثر، جامعة طاهري محمد بشار، العدد32، ديسمبر2019م، ص216

دور له، ولم يشارك فيه فيمكن اعتباره جزء من الوصف، فهي على درجة من الارتباط حد الالتصاق بالحدث، ولأنها متعدّدة الوظائف والتصنيفات التي لا حصر لها، يمكن أن تكون صوت الكاتب نفسه، وليس شخصيته، فهو خالق الشّخصية الأدبية لا الشخصية ذاتها[1]

3-2-شخصيات الرّواية وأبعادها الأيديولوجيّة :

لقد أشارت بعض الشّخصيات الرّوائية إلى الأحداث التي عرفتها مدينة كابول، وغيّرت معالمها الجميلة، كالغزو السّوفييتي وحكم نظام طالبان، وقد تجلّت هذه الإشارات التّاريخيّة ضمن حوار الشّخصيات سواء كانت رئيسية أو ثانوية، نامية أو ثابتة، حاضرة أو غائبة، وقد تجلّت أيضا هذه الرؤية في تدخلات الرّاوي في المقاطع الوصفية، ومن بين الشّخصيات التي حملت رؤى أيديولوجية مختلفة:

عتيق شوكت: هو حارس المساجين المحكوم عليهم بالموت، لحيته كثيفة، و عيناه يملؤهما بالكحل، يقضي لياليه في حراسة المساجين، ليسلّمهم للجلّادين في النّهار، وهو رجل شديد الحذر، لأنّ أسياد المدينة لا يقبلون تهورا، فكل من يخالفهم يعدم، في ظل حكم طالبان، إن شخصية عتيق أساسية في الرّواية تعبّر عن الكثير من الأبعاد الأيديولوجيّة داخل الرّواية، وعن المسكوت عنه والمضمر، ويظهر ذلك من خلال الكشف عن معاناة عتيق، والتي ارتبطت بمجموعة من الأسباب أهمّها مرض زوجته مسرة، ويظهر ذلك في قوله : "إنّ زوجتي مريضة، قال لي الطّبيب بأنّ دمها يتحلّل بسرعة، وبأنّ، مرضها لا علاج له"[2]، وهو ما جعله يشكّ في وعود الملّالي ولم يعد يثق به، فزوجته مسرّة تبقيه ساهرا طوال اللّيل، وقد أقلقه الأمر، ولم يعد يرغب في العودة إلى منزله، "ليجد سريره غير المرتّب، وأواني الطّبخ منسية في ماء الحوض الآسن، وزوجته راقدة، منكمشة في زاوية الغرفة، رأسها معصوب بمنديل متّسخ، وجهها شاحب وشفتاها متورّمتان"[3]، فلم تعد زوجته قادرة على أن تقوم بدورها كزوجة، نتيجة لمرضها الشّديد.

والبعد الأيديولوجي الذي تكشفه هذه الشّخصية من خلال حوارها مع مرزاشاه ومن خلال لغة السّارد، والوقفة الوصفيّة تتمثّل في الحديث عن دور المرأة الأفغانية، كما يرى المجتمع الذّكوري في مدينة كابول، والذي لا يراها سوى امرأة مرؤوسة لا حقوق لها، وان قصّرت في حقّ الرّجل تطلّق، ويؤتى بأخرى قويّة البنية، تجيد السّكوت، وهذا ما سنراه في تحليلنا للرّؤية الاجتماعية والدّينية للكاتب لاحقا.

ورغم أنّ شخصية عتيق شوكت **ذات أيديولوجية مختلفة** عن تفكير مرزاشاه، إذ لم يسمع نصيحة صديقه القديم، ولم يطلّق زوجته مسرة، رغم رغبته في فقص كل ما يجوب بخاطره، عن قلقه وانزعاجه من الأمر إلّا أنّه بدا مساندا للمرأة، مدافعا عنها، وشاعرا بالجميل اتّجاهها، وهذا

[1] - ينظر : محمد العباس : الشخصية ومحلها في الرواية، القدس، تاريخ النّشر : 28أفريل2016م، تاريخ المشاهدة : 20-04-2022م.
https://www.alquds.co.uk

[2] - الرّواية : ص 31.
[3] -الرّوايةّ : ص 25.

حين رفض أن يتخلّى عنها فهي لا تملك أحدا سواه، وقد كان عتيق يقضي فراغ أيامه متنقلا بين كهوف الدّراويش بروائحها العفنة بحثا عن عقاقير من شأنها تخفيف آلام زوجته، وهذا ما يكشف البعد الثقافي في حياة المجتمع الأفغانيّ، والذي يستعين بالعلاج التقليديّ كثيرا، كما تكشف هذه الشّخصية عن **بعد دينيّ** يظهر من خلال قول عتيق والذي يبدو من خلاله مؤمنا بقضاء الله وقدره في قوله: "إيماني بالله كبير، وأقبل ما يمتحنني به ليجرّب صبري"[1] .

ومن جهة ثانية يبدو أنّه تعب من مسرة زوجته، ويطلب من الله أن يعينه " لا حول ولا قوة إلّا بالله، إذا كانت محنتي المكتوبة على جبيني، يا إلهي، أعطني القوة لمواجهتها"[2]، ومن جهة ثالثة تمنّى لو لم يلاطف زوجته، لكنّ شيئا ما يمنعه قد يكون الشّعور بالجميل وليس الحب، لأنّ هذه الشّخصية كشفت عن الأسرة التي لم تقم على الحبّ، والذي أثّر على حياتها، فأصبحت باردة كبرودة السّجن، فبيتهما سجن آخر وقد يكون السّجن أرحم من بيته، لأنّه كلّما أحسّ بالانزعاج من مسرة وحالها، فرّ إلى سجنه الموحش، وجاب الشّوارع حتّى ملّ من الدّوران بلا هدف، وكلّ ذلك جعل هذه الشّخصية، تراجع قناعاتها السّابقة، "فمنذ أن أقعد المرض مسرة، انتابه إحساس عميق أنّه خدع، وأنّ تضحياته وتنازلاته وصلواته لم تصلح لشيء، وأنّ مصيره لن يتحسّن أبدا، أبدا، أبدا"[3]، وتكرار الرّاوي لكلمة أبدا دلالة على شدّة تشاؤم عتيق، والذي كشف فيه عن بعد اجتماعيّ مهمّ، يتمثّل في عدم تكافل جيران مسرّة معها، في قوله:" إنّ جاراتك على علم بمرضك، ولكن لم تأت إحداهنّ، ولو مرّة للنّظر في كيفية مساعدتك"[4]، وهذا أثناء حديثه مع مسرة.

لقد أضحت هذه الحالة جزء من الحالة الاجتماعية المزرية التي آل إليها المجتمع الأفغانيّ وكابول خاصة، من جرّاء انعدام الثقة بين النّاس، " إذ أضحى كلّ فرد يفضّل احتضان نوائبه في زاوية كي لا يثقل كاهله بنوائب الغير"[5]، كما أن شخصية عتيق تكشف عن الرّؤية السّياسية في الرّواية، ويظهر ذلك من خلال انزعاج الشّخصية الدّاخلي من مناظر الرّجم والاغتيالات العموميّة، وهذا دلالة على موقف الرّفض، لكنّه لم يمتلك الجرأة الكافية للتّعبير عنه، واكتفى بالشّعور بالضّيق دون أن يعبّر عنه حتّى لصديقه المقرّب مرزاشاه، لأنّ كلّ تهوّر في بلاد كابول مصيره القتل.

وقد نجح ياسمينة خضرا في تحميل هذه الشخصية خاصة **رؤى أيديولوجية** مختلفة، كشفت جوانب اجتماعية كثيرة منها : تهميش المرأة الأفغانية وغياب التّكافل الاجتماعيّ في ظل الاستبداد والخوف، وعدم الثقة كما تكشف عن جوانب تاريخية من خلال تذكر عتيق لحالته النفسية قبل حكم طالبان، وكيف أنّه "كانت له القدرة على الصّمود مدة عشرين سنة متتالية للكمائن والتفجيرات والقذائف النّازلة من السماء"[6]، ولم يعد اليوم يقوى حتّى على تحمّل برودة السّجن، وعمله الذي رآه بلا فضل ولا نبل، لكنّه مع ذلك يمارسه، رغم أنّه كان حين يجلس فيه يحسّ بأنه يدفن نفسه حيّا، لكنّه مع ذلك يفرّ إليه لأن الحياة في البيت بلا حب مع تلك الظروف القاسية، أيضا هي سجن أكثر وحشية.

---

[1] - الرّواية : ص59
[2] - الرّواية : ص59
[3] - الرّواية : ص 93
[4] - الرّواية : ص57
[5] - الرّواية : ص36
[6] -الرّواية : ص55

هذا ما يبدو من خلال الخطاب الرّوائي والدّليل أنّ الكاتب حين أحضر شخصية أخرى وهي زنيرة، وبثّ الحبّ في قلبه اتجاهها فتغيّر عتيق، الذي وإن ضاقت نفسه بمناظر الرّجم إلّا أننا لم نسمع منه صوت الرّفض في الرّواية إلّا بحلول هذا الشّعور، الذي أعاد لقلبه الحياة، حين دافع عن زنيرة، ورأى أنّها لا تستحق الموت وأطلق العنان لمشاعره ويظهر ذلك أوّلا في الحوار الذي حرم منه زوجته مسرة، حين كانت تطمح إلى أن تجلس معه وتبادله أطراف الحديث، فيغادر دون أدنى لطف، ها هو يحدّثها.

لقد انطلقت عقدة لسانه، حين أحبّ فدافع عن زنيرة، وشارك زوجته همّه، أخيرا تهوّر، وهو الذي رفض حتّى مجرّد مزاح مرزاشاه حين سأله عن سبب شروده، وإذا كان يخطّط لانقلاب عسكريّ، وهذا من منطلق : **"ما يحس بالجمرة غير اللي كواتو"**، تهوّر ودافع عن زنيرة، واجه قاسم عبد الجبّار وهو الذي كان" يدخل رقبته بين كتفيه"[1] ، حين يتأخر عن العمل خوفا منه فيطلب منه المغفرة ويشعر بالخجل، ولم يجرؤ مرّة على مواجهته ها هو الآن يدافع عن زنيرة، التي هام بها عشقا، سجينته الجديدة والتي لم يتقبّل كلام قاسم عنها.

فلم يرها كما رآها قاسم، وأهل كابول وحركة الطالبان لقد رأى التّعسّف أخيرا الذي طال المرأة الأفغانية، لقد أعجبه من المرأة طريقة أكلها، يبدو أنّها متعلّمة ومثقفة، كما أعجب بجمالها بدون شادور، في رؤية خاطفة، غيّرت مفاهيمه، التي استقاها من المجتمع الأفغاني، أحسّ أخيرا بمعاناة المرأة، وبحالة كابول المتعفّنة فكفر بقضاء كابول، وبقاسم وحتى بأفكاره السّابقة، لكنّه مع ذلك لم يعش حبه، وقد حدث له ما قاله لمرزاشاه : بأنّ كابول لا تغفر للمتهوّرين، نعم شعور الحبّ الممنوع، هو التّهور الذي لن تغفره طالبان، إذ حدث له ما حدث لمساجينه، حين فقد حبّه والنّفس الجديد، الذي ظنّ للحظة أنّه يشفي جروحه القديمة، حين فرّت زنيرة وغادرت السّاحة العمومية فأصيب بالخبل، وهام صارخا زنيرة، زنيرة...، ونزع شادور النساء، باحثا عنها، وهذا تهوّر آخر لا يغتفر أيضا في مدينة كابول، فرُجِم كسجنائه.

شخصية مسرة : هي زوجة عتيق شوكت، مريضة بمرض عضال، أقعدها الفراش، "وجهها شاحب وشفتاها متورّمتان"[2]، هي في الخامس والأربعين سنة من عمرها، لم تعد لها عائلة، توفيّ والداها، وإخوتها ذهب كل واحد منهم إلى جهة غير معروفة، تزوّجت من عتيق شوكت الذي أنقضت حياته، أثناء الحرب، وهي التي "تكبره بثلاث سنوات، وكانت في ذلك الوقت بلا حماس ولا جمال[3] ، وعرض الرّاوي لفكرة الزّواج لمجرد الاعتراف بالجميل، يوحي برؤية الكاتب الاجتماعية، حول سبب معاناة الزوجين معا، وغياب مظاهر الحياة والتّفاهم بينهما خاصة بعد مرض مسرة، ورغم ذلك تبدو هذه الشّخصية قويّة في الكثير من تصرّفاتها وأقوالها مؤمنة بقضاء الله وقدره من الناحية الدّينية ويظهر ذلك في قول زنيرة لعتيق: "إن كنت تؤمن بالله ينبغي أن تعتبر شقاء مرضي امتحانا ربانيا، وتصبر عليه"[4]، كما أنها تحاول جاهدة أن تقوم بواجباتها لأنها تدرك تضحية زوجها لأجلها، وهذا ما تجسّد في هذا المقطع السّرديّ : " لاحظ الأغطية ممدودة

[1] - الرّواية: ص12
[2] الرّواية: ص25
[3] -ينظر: الرّواية : ص25
[4] - الرّواية : ص59

بعناية على الفراش، والأواني نظيفة وتلمع في زاوية، يبدو كأنّها تبذل قصارى جهدها لتبقى واقفة على ساقيها، كما لو أنّ كرامتها متعلّقة بهذه الهيئة"[1].

فقد بدت في الرّواية أنّها مثال للمرأة التي ترفض الاستسلام، وتمقت الإذلال، وفي نفسها انزعاج كبير ليس من عتيق وحده، لكن لأنّها ترى نفسها من أسباب تعاسة زوجها، ومع ذلك فهي تشتاق إلى الحوار معه في قولها : زوجي لم يعد يكلّمني، وهذا دلالة على غياب الحبّ بينهما، حتّى وإن حاول أن يخفّف عنها، باعترافه بفضلها عليه، لكنّها تبذل قصارى جهدها لتقوم بواجباتها، وهذا كلّه لأنّها تتمنّى أن تكون الزّوجة التي تسعد أيّام عتيق، وتزيل حزنه وترضيه، كما تمنّت لو أنّها تتجمّل وتكحّل عينيها، لكن لم يعد هذا التّصرّف ممكنا لها في سنّها.

وشخصية مسرّة مثال للحبّ الخالص من طرف واحد، لأنّ زوجها في الرّواية وإن لم يتركها بعد مرضها، إلّا أنّه أيضا يفكّر كأهل كابول، بأنّ زوجته "ينبغي أن تحمد ربّها بكرة وأصيلا، لوضعها المفضّل، مقارنة مع تلك الإناث المشوّهة التي تتيه في أزقة كابول"[2]، إذ يرى بأنّها تفرط في استغلال صبره، فهل كان ذنبها أنّها مرضت؟، لم يعد يطيق تأوّهاتها وكلّما حاولت أن ترضيه، لم تجد إلا التّذمر والانزعاج والكلام الجارح، فمجرّد حديثها معه ومناقشتها له جعله يثور عليها ويدفع صحنه إلى الجدار.

فلم يختلف عن المجتمع الذكوري، وعن حراس طالبان في تعنيفهم للمرأة، وإقصائهم لها، وحتى دفاعها عن نفسها أو محاولتها إفهامه، يراه كأنّه "دفاع الذئبة أمام الخطر"[3]، وهذا ما يجعلها تنسحب من المناقشة، حين ترى انفعال زوجها فتتبخّر جهودها و أمانيها، وتستسلم أخيرا لقدرها، ومع ذلك فهذه الشخصية التي بدت ساكنة، مقصيّة، ضعيفة والتي تتجاهل، والتي تحامل عليها مرزاشاه، فلم ير منها إلّا شرّا مطلقا، ها هي المرأة الضعيفة، تصبح لبؤة، فتدافع عن زوجها وتعطي درسا للرجل عن التضحية، إذ تضحّي بنفسها، ليعيش زوجها مع امرأة أخرى، فقط ليشعر بالسّعادة، فليس من حقّ أيّ أحد كما قالت مسرّة، أن يفسد هذا الشّعور الذي حلّ بقلب عتيق، إنّه الشّعور الذي يحسده عليه السّلاطين، وهو نفسه الذي لا تغفره طالبان في روايته.

ها هي تستجمع قواها وتنقذ زنيرة، من السّجن وتموت بدلا عنها، والعلاقة التي لم تبن على الحبّ، ها هي تنتهي بحبّ مقدّس لا مثيل له، وشخصيّة مسرة أعطى بها الراوي درسا لمرزاشاه، وللمجتمع الذكوري، في مدينة كابول كرؤية اجتماعية.

محسن: من عائلة ميسورة الحال ابن برجوازيّ، كان أبوه تاجرا ناجحا في البيع بالجملة، وعائلته تسكن في منزل كبير وسط المدينة و"هو طويل القامة ووجهه جميل يزيّنه عقد من الزّغب، يتدلّى شعره الأجعد على كتفيه، اللّتين تبدوان ضامرتين كما كتفي فتاة"[4]، وهو ليس من الذين يبوحون بضعفهم بسرعة، كتوم نادرا ما يتحّدث عمّا يحزنه، هو رجل متّعلم، مثقّف، كان يدرس العلوم السّياسية لأجل ممارسة مهنة الدّبلوماسية، وكان متديّنا بلا إفراط، أي لم يكن متعصّبا ولا سيّئ الخلق، مسك العصا من وسطها، وقد كانت تنقصه روح المبادرة قبل وصول طالبان إلى

[1] - الرّواية : ص56
[2] - الرّواية : 67
[3] - الرّواية : 160
[4] - الرّواية : 34

الحكم، تنقصه الصّرامة في المواقف، فكان يكتفي بصرف ثروته دون خوض غمار التّجربة، وإنجاز مشاريع جديدة، لكنّه مع ذلك كان حنونا، يراعي زنيرة ومحبّا لها، وهو ما جعلها تختاره من كل الرّجال، لقد كانت زنيرة بالنسبة لمحسن "آخر حبل يربطه إلى شيء ذي قيمة في هذا العالم"[1].

ويظهر **البعد الأيديولوجي** من خلال كشف معاناة محسن، بداية من آثار الغزو السّوفييتي عليه، وعلى عائلته وعلى المدينة من خلال قوله : " دمّرت القنابل منزلنا"[2]، فقد بفعل الحرب تجارته وسلبوا منه العمل، و زمن السّعادة الكاملة التي لم يفهم سببها قبل الغزو السّوفييتي، تلاشى وسط شلّالات الصّواريخ والطّلقات النّارية، من حروب تجرّ بعضها بعضا، لم تبق له في الحياة إلّا زنيرة زوجته، التي أحبّها وكانت شمسه الوحيدة، في قوله لزنيرة : " بدونك ستكون ليالي أحلك من الظّلمات، وأبرد من القبور"[3]، وقد اختلف تماما عن أهل طالبان في نظرته للمرأة، لم ير من زنيرة خادمة تنجب الأولاد، لقد كان يحرم نفسه من المساس بها، ولو عن غير قصد، " لم يكن يحرمها من شيء، ولم يكن يرفض لها طلبا، ويتنازل بسهولة لطلباتها"[4].

وقد تعامل مع المرأة كإنسان مثقّف، متّعلّم يحترمها، ويقدّرها، لكنّ هذه الشّخصية الواعية بمكانة المرأة الكبيرة عجزت في الرّواية عن الدّفاع عنها، ونخصّ بالذّكر زوجته التي تعرّضت إلى الضّرب بالسّوط أمامه دون أن يقول كلمة، لأنّ أسياد المدينة لا يغفرون أيّ خطأ، لقد كشف لنا الرّوائي من خلال شخصيّة محسن عن أبعاد أيديولوجية مختلفة، كاضطراب الشّخصية النّفسيّ، إذ أصبح يشعر بالضّياع والحيرة ولم يعد يعرف أين يذهب؟، ولا ماذا يفعل؟، لقد أصيب في البداية بالقرف في أوّل حضور له لتنفيذ إعدام عمومي، لم تفارق الرّؤى الكابوسية لياليه، كان محسن يكره الإعدامات العمومية"[5]، لأنّها "جعلته يدرك هشاشته... اكتشف تفاهة الأشياء"[6]، وكثرة الإعدامات، جعلته يتعوّد عليها، إذ أضحت جزء من حياة كابول، فتوقّف عن الحلم، لكنّ ضميره الذي انطفا استيقظ في الحادثة الأخيرة من الرّواية، حين وجد نفسه وهو الذي لم يتعود على إيذاء أحد يلتحق بالصّفوف الأولى لرجم امرأة فاجرة، فماذا فعلت به خطب الملّا بشير؟، لقد شارك محسن مع الحشد الكبير في رجم امرأة فاجرة، "إذ جمع ثلاثة أحجار ورماها باتجاهها، وقد شعر بابتهاج غامض"[7]، هذه الحادثة التي قضت على راحته الوحيدة حين كان يعود إلى زوجته، فينسى وهو يتأمّل عينيها الواسعتين أحزان الدّنيا وبؤسها، انتابته الحيرة، حتى إذا ما كان نفس الشّخص الذي أحبته زنيرة، وهذا ما يظهر من خلال قوله لزنيرة : "هل أزال الرّجل نفسه الذي فضّلته على الآخرين؟، هل حافظت على التّقاليد السّابقة؟"[8]، يكشف هذا عن **رؤية أيديولوجية**، نفهم منها أن شخصية الملّا بشير استطاعت أن تؤثّر حتّى في المثقف وغير المثقّف بخطابها الدّيني، فأثرت فيه بطريقة، لم يعد يفهم كيف فعل ذلك؟، كيف شاركهم في جرمهم الشّنيع؟.

---

[1] - الرّواية : 79
[2] - الرّواية : ص40
[3] - الرّواية : ص40
[4] - الرّواية : ص84
[5] - الرّواية: -ص14
[6] - الرّواية: ص14
[7] -ينظر : الرّواية: ص20
[8] - الرّواية: ص29

لقد شكا محسن من الضياع، لم يعرف أين يذهب؟، أصبح يتسكّع في شوارع كابول، شارد الذّهن، ومنذ أن أخبر زوجته زنيرة بفعله الشّنيع، انقلبت حياته رأسا على عقب، لم يفهم كيف لمتعّلم مثله أن "يصرخ مع الغوغاء فقط لأنّهم صرخوا"[1]، لقد أحسّ بالنّدم وتمنّى لو يتخلّص من ظلّه، حتّى ينسى فعله الشّنيع، أصبح "حاله كحال المحكومين عليهم بالأشغال الشّاقة، تمنّى لو أنّ زمن كابول القديم يعود، أين كان يجوب الشّوارع دون أن يُضرَب بالكرباج.

وقد أراد أن يحيي علاقته مع زنيرة التي خاب ظنّها بزوجها، فاقترح التّنزّه في شوارع كابول، وتحوّلت النّزهة إلى كابوس؛ لم يستطع أن يتملّص منه إلى وفاته، بسبب تعسّف وظلم حركة طالبان، وتحوّلت نزهتهما البسيطة إلى كابوس مرعب، أطفأ سعادة محسن، وفتر حبّهما الذي لم يصمد في مدينة الأشباح.

زنيرة: امرأة جميلة، كالبدر رائعة الجمال، عمرها إثنان وثلاثون سنة، " يشعّ وجهها بنضارة لا تنضب"[2]، وهي ليست من أهل طالبان، ابنة عين من أعيان المدينة، مثقفة ومتعلّمة، كانت تطمح إلى العمل في سلك القضاء، مسلمة، ترتدي فساتين محتشمة وأحيانا سراويل عريضة، وتضع الخمار على رأسها، " تناضل بنشاط من أجل تحرير المرأة، إنّها فتاة متألقة "[3]، حلم الجميع باتّخاذها زوجة، لكنّها وقعت في حبّ محسن وتزوّجت به في سنّ مبكّرة، ورغم فقدانهما لثروتهما إلّا أنّ زنيرة لم تتخل عن محسن، حتى حين خاب ظنّها به، فقد راعت زوجها واهتمت به، ويظهر في النّص أنّ زنيرة، وإن رفضت ارتداء الشّادور المفروض عليها وعلى نساء كابول بالغصب، إلا أنها تبدو في الرّواية متديّنة ومؤمنة بالله تعالى، ومتفائلة بغد أفضل، يزيل بؤس كابول، ولو بعد حين، ويظهر ذلك في قولها : " سيتذكرنا الله يوما "[4]

لكنّها استسلمت رغم رفضها لقوانين كابول، لم تجرؤ على مخالفتهم، حتّى حين أهينت مع زوجها خلال النزهة المشؤومة، لقد انقلبت زنيرة إلى شخص آخر؛ يشبه تطرف طالبان وتعسّفهم، رفضت حتّى أن تسمع زوجها، نست أقوالها السّابقة لمحسن عن الحبّ، وهو الشّيء الوحيد الذي بقي بينهما، لقد انزوت في صمت رهيب منذ حادثة الجولة، هي صعبة المراس، شخص مخدوش، ترفض دور الضّحية، ولا تتسامح إلّا نادرا".[5]

فمنذ الحادثة سجنت نفسها في شادورها، وحرمت محسنا من شمسه الوحيدة، تبخّر الحبّ المتين وراح ضحيّة لتعسف طالبان، ذلك الزّوج المحبّ حين حاول أن يجبرها على نزع رمز القطيعة بينهما وهو الشّادور، وقد استعمل محسن العنف، فذكّرها

حراس طالبان، فدفعته بكلّ قوّتها الرّافضة لمظاهر العنف، فحدثت المأساة مات محسن، و حكم قضاء كابول على زنيرة بالموت رميا بالرصاص، فسلبوها الحّرية وهي التي لطالما كانت تدعو إلى تحرير المرأة، ولولا مسرة زوجة عتيق، وعشق عتيق لها، لأعدمت ظلما كما فعلوا مع الآخرين في السّاحة العمومية.

---

[1] - الرّواية: ص 42
[2] - الرّواية: ص38
[3] - الرّواية: ص78
[4] - الرّواية: ص40
[5] - الرّواية: ص131

مرزاشاه : هو صديق طفولة عتيق، كبرا معا، في حيّ متواضع من عائلة متواضعة، اشتغل والده في معمل صغير للزّجاج في الجيش، عندما بلغ الثامنة عشر من عمره، وقد كان من الأوائل الذين هربوا من وحداتهم للانضمام إلى صفوف المجاهدين، التقى بعتيق في الجبهة، "لم تغره السّياسة ولا السّلطة "[1]، وبفضل علاقاته الكثيرة أنشأ مؤسّسة صغيرة ليغطّي عن استثماراته الموازية، كالتّهريب وتجارة المخدّرات، "وقد قلّل وصول طالبان إلى السّلطة من حماسه الفيّاض"[2]، وخوفا من استبدادهم تطوّع بحافلاته وبعض الأشياء الأخرى ذات قيمة، فساهم في وصول طالبان إلى الحكم حتّى أنّه للحفاظ على مصالحه الشّخصية، وقف ضدّ رفقائه القدامى في المقاومة، ونجح بذلك في الحفاظ على مكانته وثروته.

ويُظهِر ياسمينة خضرا من خلاله نظرة المجتمع الأفغاني الذكوري للمرأة، "عاش مع أربع نساء تزوّج الأولى منذ خمسة وعشيرين سنة، و الأخيرة منذ تسعة أشهر فقط، ولا يشعر باتجاههن إلا بالشك وعدم الثقة"[3] ، يعترف بأنّه "لن يمسك بخيوط فكر النساء"[4]، وطلب من عتيق أن يطلّق مسرة، في قوله: " طلقها، ماذا تنتظر إذا لترميها إلى الشّارع؟، طلّقها، وامنح لنفسك بكرا، سليمة وقويّة البنية، تحسن السّكوت وخدمة زوجها، بلا ضوضاء"[5].

وتبدو الشّخصية من خلال الرّواية ذات شخصية انتهازية وأنانيّة، تحبّ مصلحتها على حساب حتّى الأصدقاء القدامى، شخصيّة متناقضة، وإن لم يعجبها وصول طالبان إلى الحكم، إلّا أنّها تغريهم بالهدايا والأموال، كي تخفي أعمالها غير المشروعة، شخصية ناقمة، وحاقدة على المرأة، ترى أنّها أخطر من العقرب، وقد يرجع ذلك إلى فقدانها للحبّ وفهمها الخطأ للدّين، كعادة المجتمع الذّكوري، في كابول، الذي يرى أن المرأة خادمة، مرؤوسة، لا يحقّ لها أن تجادله، وإن مرضت تستبدل ببكرر قوية وطرد دون رحمة،فلا فضل لها، وعليها أن تقبّل أصابع قدميه، لأنّه أسكنها بيته، وهي نظرة متخلّفة في المجتمع الأفغاني، فهمت الدّين خطأ.

شخصية الملّا بشير: رجل دين يعمل لصالح طالبان، "ضخم كالفيل، ومرعب كالهامة، ينبثق وجهه الصّلب وسط لحية الليفية"[6]، يدّعي الطّهارة الرّوحية و يسعى إلى التّأثير في المجتمع عن طريق خطاباته في السّاحة العموميّة، ليستولي على عقولهم وعواطفهم معا، عن طريق خطابه الدّيني، وهو قناعه الذي يحمل نوايا خفيّة وخبيثة، إذ يسعى إلى إقناع أهل كابول بفكرة: كلّ من يخطئ يقتل أمام الجميع للعبرة، ليتمكن طالبان من ممارسة سلسلة الإعدامات العموميّة باسم الدّين، فيضفي عليها الشّرعية، ويظهر ذلك في قوله -أثناء رجم المرأة الفاجرة-:" من العباد من فضل التّمرّغ في الوحل كما الخنازير، مع أنّهم على دراية بالرّسالة الرّبّانية"[7].

وكلّ من يشعر في نفسه بالتّعاطف أو الانزعاج من أحكام حركة الطالبان يردّ عليهم بخطاب ديني، ليحتوي أفكارهم، ويعزّز ثقتهم بحكم طالبان، ويظهر ذلك في قوله : " لقد أبعدتهم نشوة

---

[1] - الرّواية : ص28
[2] - الرّواية : ص28
[3] - الرّواية : ص33
[4] - الرّواية : ص33
[5] - الرّواية : ص34
[6] الرّواية : ص98
[7] - الرّواية : ص18

الفجور عن طريق الله، اليوم الله هو الذي يدير لها ظهره، ولاحقّ لها لا في رحمته، ولا في شفقة المؤمنين، عاشت الخزي، وستموت في الخزي"[1]، وقبل تنفيذ الإعدام، صرخ الجميع الله أكبر، فازداد حماسهم، وتلذّذوا برجم المرأة، حتّى بعد موتها، وقد استغل الملّا بشير قضيّة الحرب في خطابه الدّيني بوصف الغرب بالمجتمعات اللّاأخلاقية، وهو يعلم أن الكلّ يكره الاستعمار السّوفييتي، وثار ضدّه، وذكر تضحياته من أجل تحرير الوطن ومواجهته لكلّ من يترصّد بحكم طالبان، سواء الاتحاد السّوفييتي أو أمريكا بعده من خلال ذكره لمصطلح الغرب.

وهذا من شأنه أن يزيد من حماس واقتناع أهل كابول بحركة طالبان، وأهدافها التي تبدو في الظّاهر أنّها تريد إقامة الدّولة الإسلامية الشّرعية، وأنّها تسعى للدفاع عن الوطن وتحريره، كما فعل رجالها أثناء الغزو السّوفيتي حتى قبل تأسيسها الرسمي، وهكذا يسهل عليها من خلال خطابها الأيديولوجي أن تفرض سيطرتها على البلاد.

نازيح : رجل في السّتين من العمر،" طويل القامة كالسّارية، بكتفين مقوسين ورقبة قبيحة وعمامة لا شكل لها فوق شعره الأشعث، الأشيب، عيناه جاحظتان"[2]،لقد كان مفتيا في كابول منذ عشريتين، لم يكن خطيبا بارعا، مع ذلك جمعت دروسه مئات المصلين، مات أولاده في الحرب ضدّ الرّوس، ونظرا لذلك أعلت السّلطات المحلّية شأنه وبعد الحرب دخل مستشفى المجانين، وحين خرج أصبحت حياته من المسجد إلى الدار.

وفي الرّواية يمثل نازيح الصّوت الرافض للمدينة المنحلّة، الرّاغب في التخلص منها، دون وداع أو شكر، **كبعد أيديولوجيّ** يظهر في قول الرّاوي : " فلم يعد نازيح يرغب في سماع حديث عن المعركة والحصار والسيف أو البندقية"[3] ، ورغم تشكيك عتيق في قدرة نزيح على الذّهاب إلى البحر، والتّخلص أخيرا من مدينة الأشباح كابول إلّا أنه تمكّن من المضيّ قدما دون توديع المدينة كما أراد.

قاسم عبد الجبار: هو قائد الميليشيات قاسي القلب، يمثّل حامي سلطة حركة الطالبان، توفيت أمه، فذهب إلى جنازتها، وهنا يبرز لنا الرّاوي سبب قساوته الأولى إذ غادر المدينة في سنّ الثاني عشر، وقد افتقد الإحساس بالأمومة، لكون أمّه كانت بكماء صماء، يظهر ذلك في قوله للسائق: " بدا لي معها أنّني أخاطب جدارا، لهذا غادر المنزل فبالنسبة لقاسم كانت أمه هي "المرأة التي أخرجته إلى الحياة وكفى"[4]، وافتقاده لهذا الإحساس قد يكون سببا في عدم ثقته بالنّساء، وقسوته هذه كانت سببا في إنهاء العلاقة بين عتيق ومحسن، إذ رفض الإصغاء إلى عتيق، حين دافع عن زنيرة، لما حكم عليها ظلما، فقال له:" ليست إلا كلبة لئيمة يا عتيق".[5]

فقد كان يسعى من وراء تلك الاغتيالات الجماعية إلى التّرقية والتّقرب من الملّالي والشّخصيات المرموقة، وقد جاء في الرواية : "أنّه كان مقاتلا ماهرا، يرافق البؤساء والمحكومين عليهم

---

[1] الرّواية : ص19
[2] - الرّواية : ص68
[3] - الرّواية : ص110
[4] - الرّواية : ص113
[5] - الرّواية :161

بالإعدام للمشنقة، ليجلب نظر الملّالي"[1]، وقد كان حريصا على تنفيذ قوانين أسياد البلد، وذلك ليس بسبب إيمانه بتلك القوانين وإنّما له في ذلك مآرب أخرى وهنا يظهر البعد الأيديولوجي لهذه الشّخصيّة، إذ يستغلّ الدّين وتنفيذ أحكام الإعدام كأيديولوجيا للحصول على الترقية والامتيازات.

الميليشيات(حراس طالبان) : يمثّلون العيون الحارسة لحركة طالبان التي تمارس العنف والاضطهاد والظّلم باسم الدين، يستعملون السّوط لإدخال النّاس إلى المسجد، جاء في الرواية، "هناك يطوف رهط من الطالبان، حول الجامع لإيقاف المتسكّعين المارين، وإجبارهم بقوة السّلاح على الالتحاق بالمصلّين"[2]، وظلمهم طال حتّى الرّجل المجنون، الذي لم يسلم منهم، إذ "لم يُقدّر رجال الطالبان جنون الرّجل الذي ترفع عنه التكلفة والحرج، بل قيّدوه في السّاحة العمومية، معصوب العينين، مكموم الفم، وجلدوه إلى حدّ الموت"[3].
ولم يرحموا زنيرة لمجرّد أنّها تحدّثت في حضور أجنبي، إذ سوّطها رجل من طالبان على خصرها، "وصرخ لا تلمسيه أنت، الزمي مكانك، ولا تتكلّمي بحضور أجنبيّ"[4].
وقد كانوا يوقفون المارة لإرغامهم على حضور خطب الملّا بشير، زرعوا الرّعب، نفّذوا أوامر أسياد البلاد، وكانوا سببا في خراب بيت محسن، وغروب شمسه ويمثلون صوت حركة الطالبان، يساعدونها على تنفذ مخطّطاتها الأيديولوجيّة.

معطوبو الحرب : يظهرون في الرّواية من خلال شخصيّة عتيق، الذي يمرّ أمامهم فيسمع حواراتهم، ومن هذه الشّخصيات:
شخصية تامريز : وهو من قدماء المجاهدين يكره الرّوس الكفرة، يدافع عن المجاهدين فقد شعره وأسنانه، لكن ذاكرته خرجت سليمة، يرى أن" أمواتنا لا تنبعث منهم الروائح الكريهة.... المجاهدون كلّهم أولياء الله الصّالحون، لا تتعفن جثثهم ولا تطلق روائح كريهة"[5]، عكس جثث الرّوس الكفرة، "فالرّوائح الكريهة لا يمكن أن تنبعث إلّا من الرّوس الكفرة، هؤلاء الخنازير نتنون"[6]، ويظهر من هنا تقديس الشّخصية للجهاد كبعد أيديولوجيّ، لكنّ الرّواية أبرزت شخصية أخرى من المعطوبين ترى بأنّ تامريز يبالغ في كون المجاهدين لا تنبعث منهم رائحة الموتى، ويظهر صوت الرّاوي الواصف الذي يشكّك في مصداقية أقوالهم، وعتيق الذي ملّ وضجر من سماع أحاديثهم، وجاء في السّرد الرّوائي عبارة : " لكنّ معطوبي الحرب لا يزالون هناك شاهرين عاهاتهم، كما تشهر غنائم حرب"[7]، وسنفصّل في هذه الرؤية في كشف الرّؤية التّاريخية والسّياسية لاحقا.

---

[1] الرّواية : ص115
[2] - الرّواية : ص(44- 45)
[3] - الرّواية : ص77
[4] - الرّواية : ص95
[5] الرّواية : ص49
[6] - الرّواية : ص50
[7] - الرّواية : ص66

الرّاوي : صوت من ورق، يصف الشّخصيات، ويوضّح رؤيتها ويساهم في كشف الرّؤية الأيديولوجيّة للكاتب، والتي تقوم على أساس رفض كلّ مظاهر العنف باسم الدّين الذي جسّدته حركة طالبان في الرواية.

سكان الحي : غالبيتهم من المنبوذين الوسخين، المتسوّلين، التّافهين، يزاحمون طعام الأرامل واليتامى، فهم في نظر عتيق "ليسوا إلّا جثثا، أهملتها حفار القبور، قذرون، ومربكون بعيونهم الرميصة... الجيفة التي تنبعث منهم"[1]، و كل صلاة يتزاحمون أمام المسجد للتّسوّل، وهذا ما يوحي بحالة الفقر والبؤس التي يعانيها سكان الحيّ، وأهل كابول **كرؤية اجتماعيّة**.

المتسولات : ولم تختلف عن سكان الحيّ من الرّجال في حالة البؤس فهنّ أيضا يتخذن من التّسوّل وسيلة للعيش"، محجورات خلف الشّادور المتّسخ، بأيديهنّ الممدودة"[2]، لتجمعن بعض القطع النّقدية وأحيانا تضربن بالسّوط، لكنهن يعاودن الكرّة، ومع أولادهنّ أمام محلّات تجار الخضر والفواكه وتمثل البعد الاجتماعي للرّواية، عبّر فيها الرّواي عن الحالة الاجتماعية المزرية لأهل كابول.

الأطفال: ليس لهم صوت إلّا الصّراخ والهرج والمرج، وبعض الأفعال كالجري وراء الكلاب، وضربها بالحجر، ويرجع ذلك إلى مشاهدة الأطفال لمشاهد العنف وعمليات الرّجم في السّاحة العموميّة التي من المفروض أن تكون مكانا للعبهم، فحتّى حين يرسل عتيق طفلا إلى منزله ليأخذ حاجياته لمسرة، كالبطيخ "يستعمل كرباجه لتهديد الطفل."[3]

وقد حنّ الرّاوي إلى عهد الطّائرات الورقية واللّعب، في مجتمع سلب براءة الأطفال، وجعل من الزّوايا وسيلة لبسط سيطرتهم، ونشر أفكارهم المسمومة، وتعزيز أيديولوجيا العنف التي أغرقت مدينة كابول في بؤس شديد، سلسلة حروب تجرّ بعضها بعضا، وإن اختلف الأعداء، فالأسلحة نفسها وهو ما جعل عتيق شوكت يحمد الله أنّه لم ينجب أولادا ليلقي بهم إلى النار أو الفقر أو التّسوّل.

سائق عبد الجبّار: يعمل سائقا عند عبد الجبّار، تعلّم القيادة، بلا مدرّب لا يعرف أمّه، ماتت وهي تلده، لمّا كان عمرها أربعة عشر سنة، لأن والده كان صغيرا، يرعى الغنم، فحين حانت ولادتها لم يأخذها للطّبيب، ظنّا منه أنه يستطيع لوحده التّكفل بها فماتت، فأثّر الأمرعليه كثيرا، وهو ما يظهر بعدا أيديولوجيا يتمثل في مجموعة أسئلة تواجه أسئلة أخرى، **لماذا لم يأخذ والده أمّه للمستشفى؟، هل بسبب عدم وجود مستشفى ؟ ، هل لجهله باعتبار صغره ؟ أم لتشدّده وعدم**

[1] - الرّواية : ص 46
[2] - الرّواية : ص11
[3] الرّواية :-ص24

رغبته في أن يكشف عن زوجته غيره ؟ وهل توجد امرأة تقوم بتوليد النّساء ؟ أم نتيجة لحجب النّساء ومنعهنّ من التّعليم لا توجد امرأة لتكشف عن امرأة أخرى ؟
في الحقيقة حتّى الأسئلة في حدّ ذاتها أيديولوجيا تكشف عن أيديولوجيا.

المجنون: ظهر مرّة واحدة في الرّواية ليقتل بعدها، ويبيّن به الرّاوي مدى تعسف طالبان في الحكم بالقتل، على رجل رفع عنه القلم، حين" صرخ بأعلى صوته : "أنّ الله قد فشل في مهمّته"[1]، فلم يقدّر رجال طالبان جنون الرّجل، وتظهر هذه الشّخصيّة الأحكام القاسية التي أصدرتها حركة طالبان والتي لا علاقة لها بالدّين الإسلاميّ حتّى وإن كانت تدعو في شعارتها إلى تطبيق الشريعة الإسلاميّة، لكن هيهات بين ما تدعو إليه وبين حقيقتها التي تتضح من وراء أيديولوجيّة التّطرف الديني.

4-أدلجة الزّمن في رواية سنونوات كابول :

4-1-مفهوم الزّمن :

يعدّ الزّمن عنصرا جوهريا في أيّ عمل روائيّ، "والزّمن يأخذ أبعادا شتّى في الفلسفات المختلفة، كما أنّ للزّمن معان اجتماعية، نفسيّة، علميّة، دينيّة وغيرها"[2]، أي أنّ للزّمن أبعادا مختلفة داخل الخطاب الرّوائيّ.
وقد اكتشف الرّوائيون أنّ الاهتمام بالزّمن ضروري في أيّ عمل أدبيّ، وبالخصوص السّرديّ منه، فحاولوا التّحكّم في هذه التّقنيّة، إذ تتجلّى فيها الرّوح الاجتماعيّة و الانشغالات الاقتصاديّة، والعلاقات القائمة بين أفراد المجتمع، فالزّمن الأدبيّ زمن إنساني، فهو زمن التّجارب والانفعالات، زمن الحالة الشّعوريّة التي تلازم المبدع[3]

4-2-تجليات الأيديولوجية في زمن الرّواية :

يعدّ الزّمن عنصرا مهمّا من عناصر النّصّ السّرديّ، ولسنا هنا في مقام التّحدث عن الزّمن، كبنية فنيّة سردية بخصائصها، ومراحلها وعناصرها، وهذا ما عالجته مذكرة تخرج شهادة الماستر تناولت الزّمان والمكان في رواية سنونوات كابول، وإنما نحن هنا بصدد الكشف عن الرؤية الأيديولوجية للكاتب والرواية، وعلاقتها بالزمن، عبر الشخصيات ولغة السّرد والوقفات الوصفية والحوارات خاصة.
وأوّل ما أثار انتباهنا هو استعانة الكاتب بتقنية **الاسترجاع**، والتي تعني "الرجوع إلى الماضي، يقوم فيه السّارد باستحضار الماضي بحيث يحيلنا الرّاوي إلى أحداث جرت في الماضي، والغرض من توظيف هذا الأسلوب هو الثورة على حاضره، والتّعبير عن الشّعور

---

[1] - الرّواية : ص77
[2] -دحو مامة : بناء الزّمن والمكان في الرّواية العربية ، مجلّة كليّة الآداب واللّغات والفنون، العدد 10، دت، ص14.
[3] -ينظر : شريط رابح : تمظهرات الزّمن في الرّواية الجزائريّة المعاصرة (قراءة في نماذج)، مجلّة جسور المعرفة، جامعة عبد الرحمن ابن خلدون تيارت، المجلّد 05، العدد04، ص(269-270)

بالحنين إلى الماضي، فهي أحداث تخرج عن حاضر النّصّ المرتبط بفترة سابقة عن بداية السّرد"[1].

وذلك من خلال استحضار الرّاوي وشخصيات الرّواية لسنوات الماضي المضيئة، فيقارن بين الرّاهن المؤلم في مدينة كابول، فيتحسّر على زمن الذّكريات الجميلة ويظهر ذلك من خلال لغة السّرد في قول الرّاوي:" في السّنوات المضيئة، كانت كابول هادئة وأنت تجول في الشّوارع، رغم عدم عرض المحلّات لأشياء ثمينة، لكن لا أحد يأتي يسوّط وجهك بالكرباج"[2]، ويظهر هذا المقطع الاستذكاري ذكريات الزّمن الجميل، كيف كانت كابول تعيش حالة السّعادة الكاملة، حسب تعبير محسن رمات الذي كان "قبل الغزو السّوفييتي في عامه العاشر، عمر لا نفهم فيه لماذا هجر الناس الحدائق العمومية، ولماذا أصبح النهار أخطر كما الليل، عمر يجهل فيه أن شقاء يمكن أن يحدث فجأة"[3].

فمحسن كشخصيّة رئيسية في الرّواية، لم يتذكّر عن طفولته شيئا، إلّا أنّه يدرك بأنه كان يحسّ بسعادة كبيرة، قبل الغزو السوفييتي، وسنفصل في ذلك لاحقا في الرؤي الأيديولوجية، وليس فقط محسن الذي تحسّر على الزّمن الجميل، حتى الرّاوي الذي هو شخصية من ورق، استرجع ذكريات كابول ليؤكد نفس الرّؤية الأيديولوجية التي توحي بها شخصياته في حواراتها، ويظهر ذلك في قوله: " كان الناس يذهبون إلى انشغالاتهم اليومية بكثير من الحوافز، تجعلهم يخططون في هذيانهم لمشاريع عجيبة، كانت المحلات غاصة إلى حدّ التشقق"[4].

فقبل الغزو السّوفييتي خاصة كانت كابول مدينة هادئة وكان نهارهم مليئا بالنّشاط والحوافز، وكان للزّمن قيمة، لكن ما أبعد ذلك الزّمن، كابول الآن مختلفة تماما، كأنّنا في زمن آخر وبلد آخر، هكذا يرى الرّاوي وشخصيات الرّواية الرّئيسية الأربع الأولى خاصة، فالزّمن لم تعد له قيمة ولا يوجد شيء ذو بال سوى الإعدامات، وفي استرجاع آخر:" قد كانت في ما سبق مكانا تنتج فيه أجمل قصص الحب والغرام، تشقق صفاؤها الأزرق بنثار البارود"[5]، وجاء في استرجاع آخر بلسان نزيح عن كابول:" لقد كانت أسطورتها في عهد ما تنافس عظمة سمرقند أو بغداد، حيث يحلم فيها السّلاطين مباشرة بعد اعتلائهم العرش بأمبراطورية أوسع من السّماء...انقضى ذلك العهد "[6].

إذا هذا هو التّاريخ المضيء لكابول قبل أن تمسّه ندوب الزّمن، ويشوّه الغزو السّوفييتي وحركة الطالبان بعده ذكريات الزّمن الجميل، وتكاد تجمع شخصيات الرّواية على مبدأ رفض هذا الزّمن الجديد الذي فرض على البلاد، وكان سببا في انتشار الفقر والبؤس والإذلال والتهميش، كان

---

[1] - شريط رابح : تمظهرات الزّمن في الرّواية الجزائريّة المعاصرة (قراءة في نماذج)، ص274.
[2] - الرّواية : ص15
[3] - الرّواية: ص(16- 17)
[4] - الرّواية:-ص 16
[5] - الرّواية:-ص 17
[6] ا:الرّواية:-ص -109

سببا في استلاب براءة الأطفال، وزوال عهد اللّعب بالطائرات الورقية ورميهم طعما للحروب أو التّسول والتّسكع في الشّوارع أو شحنهم بأيديولوجيا التّطرف الدّيني، وقد اعتمد ياسمينة خضرا أسلوب المقارنة في خطابه السّردي الاسترجاعي، وهو أسلوب ناجع للتّعبير عن الرّؤى الأيديولوجية المختلفة، وإيصالها للقارئ، ويظهر ذلك في أكثر من مقطع كما رأينا ذلك سابقا، والكلّ يقرّ بأنّ الغزو السّوفييتي وحركة طالبان خاصة، هي من أسباب هذا الدّمار الشّامل والذي انعكس سلبا على أهل كابول، والمرأة خاصة، إذ أصبحت كابول كما يقول نزيح:" مرعوبة من الذّكرى لقد نفّذ الإعدام في تاريخها على السّاحة العمومية، وضحّت بأسماء شوارعها"[1]، فأعداء كابول اليوم هم أبناؤها شوّهوا التّاريخ.

وما نلاحظه أنّ ياسمينة خضرا اعتمد أسلوب الاسترجاع ثم العودة إلى الواقع والرّاهن لتبيين المفارقة، والاختلاف بين الزّمنين، ومن ثم الكشف عن رؤيته الأيديولوجية الخاصة، وهي رؤية ترفض التّعصّب والتّطرّف وحكم طالبان، الذين جعلوا من كابول مدينة الأشباح، "فلم تعد شوارع كابول تسلّي"[2]، من الحروب والاغتيالات العمومية، و"الشّمس تستعد
للانسحاب"[3] "أمّا اللّيل سيكون حارا كما النّهار، تختنق كابول محصورة بداخل حمّام جبالها الصّخرية، كما لو أنّ كومة من الجحيم، انفتحت في السّماء"[4]، وقد تعبت شخصيات الرّواية من هذا الزّمن، فعتيق شوكت "يجرجر قدميه من

الصّباح إلى سقوط اللّيل"[5]، وذلك رغم كون عتيق يعمل حارسا في السّجن، لكن لم يكن راضيا عن هذا الزّمن، "تعب من هذه الأيام الرتيبة "[6].

وكلّ من الشّخصيات يتحسّر بطريقته، فمسرة أيضا حنّت إلى الزّمن الماضي كما جاء في قولها : " تذكرت السّنوات التي تقاسمناها معا غالبا في المحن"[7]، أمّا زنيرة فقد "احتمت بذكرياتها البعيدة في وقت كانت أغاني الأطفال ترتفع من السّاحات المغبرة التي قبّحت المشانق منظرها اليوم، لم تكن الأيام كلّها أعراسا لكن لا شخص غريب يصرخ مندّدا بتدنيس المكان، عندما ترفرف طائرات الورق في الفضاء ويترقّب الأطفال سقوطها. "[8].

وها هي زنيرة تقرّ بأنّ الزّمن تغيّر، "فلا يمكن لأيّ شمس أن تقاوم اللّيل"[9]، وقد سأل السّارد سؤالا هو : لماذا أصبح النّهار أخطر كما اللّيل؟، والرّواية أجابت عن هذا السؤال، وكشفت

[1] - الرّواية:ص109
[2] - الرّواية : ص16
[3] - الرّواية : ص44
[4] - الرّواية:ص44
[5] - الرّواية : ص55
[6]- الرّواية : ص55
[7]- الرّواية : ص61
[8] الرّواية : ص77
[9] الرّواية : ص129

الرّؤى الأيديولوجية المختلفة، التي ترى بأنّ النّهار يحمل الهموم كما اللّيل في الخارج وذلك من جراء الظّروف المزرية للبلاد، لقد " طلع النّهار جارا معه أشجان العالم"[1]، ومحسن "لم يعد يميّز النّهار من اللّيل فمنذ ذلك الشّجار يقضي وقته في زقاق كابول"[2].

لقد مسّ الخراب مدينة كابول و"زادت الأيّام في تمكين مشانقها، ونمّت قطيعها التكفيري"[3]، وقد ورد استرجاع آخر بطريقه غير مباشرة، حين أراد محسن إقناع زنيرة بالخروج معه إلى النزهة فقال لها : "إنّني أردت الخروج معك كما في أيامنا الجميلة"[4]، والأيام الجميلة التي حملها الماضي قبل الغزو السّوفيتي وسيطرة طالبان على البلاد.

أراد محسن إحياء الماضي بهذه الجولة، للتّنزّه في أزقّة كابول حتّى وإن كانا لا يملكان مالا كما الماضي، لقد هدّم بيتهما بفعل الحرب، لكن كان يأمل أن يغيّر ذلك وأن يكسر هاجس الخوف، فيواجه الزّمن المأساوي الجديد لكنه عاد منكسرا، وزوجته، وقد تحقّق **استباق** زنيرة لنهاية النزهة وتشاؤمها، فذلك الزّمن الذي كان لا أحد يحتجّ فيه على ضحكاتك، زال وتلاشى وحلّ محلّه سوط الكرباج والموت، والطّلقات النّارية وسلسلة الحروب التي شتت شمل الأمة، ورغم خروج الاتحاد السّوفييتي وجيشه العرمرم، " إلّا أنّه لا ينبغي أن ننخدع، تبقى الذّهنيات نفسها التي سادت منذ قرون "[5]، فكابول الآن أنهكتها سلسلة الحروب الشّرسة.

وإن تغيّر العدوّ إلاّ أنّ الأسلحة نفسها فالسّماء الأفغانية تلبدت وأصيب الناس بالقلق والذعر، ولياليهم لا تخلو من الرؤى الكابوسية من جراء سلسلة الاغتيالات العمومية، ولم تنجح أي شخصية في تجاوز هذا الزمن و الوقوف في وجهه، ما عدا الغزو السّوفيتي الذي وحدهم، حين كان عتيق ومرزاشاه ورجال المقاومة ومعطوبو الحرب يقاومون ضدّ الغزو السّوفييتي، أمّا زمن سيطرة حركة طالبان لم يجرؤ أحد على تجاوزه، رغم وجود بعض الرّؤى والخطابات السّردية التي ترفض ضمنيا هذا الوضع الجديد، وزمن ما بعد الغزو السّوفييتي ،بل العكس هناك من ساهم في بقائه كمرزاشاه، رغم أنّه هو الآخر تحسّر حين استرجع ذكريات زمن الحرب، حين كان عتيق لا يخفي عن صاحبه شيئا، انقضى ذلك العهد الذي كانت عائلة محسن البرجوازية، تستقبل الجيران، أين كانوا متّحدين، تجمعهم النّوائب، وحتّى زمن حب ارتداء النّساء للشّادور لكن ليس غصبا وإنّما لحمايتهنّ من الحسد.

وهناك استرجاعات أخرى، سنفصّلها لاحقا أثناء الكشف عن الرّؤية الأيديولوجية المختلفة التي يحملها الخطاب الرّوائي، والتي تكشف عن رؤية الكاتب الأيديولوجية التي حاول من خلال المقارنة بين الزّمنيين الماضي والحاضر أن يعبّر عن رفضه لمظاهر العنف أيضا، وما نلمسه من **هذه الاسترجاعات والاستذكارات أنها تتداخل مع الأبعاد الأيديولوجية المختلفة.**

كما تظهر في الرّواية تقنية أخرى هي تقنية **الحذف** "وهي إحدى السّرعات المعيارية، حيث إذا كان لدينا سلسلة من الأحداث، تقع على التّوالي أو تحدث في زمن محدّد، أمكن لنا التّحدث عن

---

[1] - الرّواية :193

[2] الرّواية : ص127

[3] - الرّواية : ص15

[4] الرّواية : ص80

[5] - الرّواية : ص30.

الثغرة، عندما يتم إغفال أو إسقاط أحد هذه الأحداث، كما يمكن للثّغرة أن تكون صريحة، يتم التّشديد عليها من قبل الرّاوي، أو ضمنية يمكن استنباطها من فجوة أو انقطاع في تتابع سلسلة الأحداث المرويّة"[1]، **ولها علاقة كبيرة بالمضمر وبالبعد الأيديولوجي المسكوت عنه.**

وقد ورد في النّصّ التّصريح بالمدّة المحذوفة كقول عتيق عن الحرب : "هل التحقت به العشرون سنة من الحرب، التي خاضها باندفاع عجيب"[2]

وقد ذكرت مدّة الحرب، لكن لم يفصل فيها الرّاوي واكتفى **ببعض المقارنات** وبعض أقوال معطوبي الحرب التي تكشف عن معاناة الشّعب الأفغاني من هذه الحرب، وهو ما حمله تقديم الرّواية كعتبة نصية، **حملت الكثير من الرؤى الأيديولوجية** التي ضمّنها الرّواي لاحقا في الخطاب السّردي، وقد نكتشف من وراء هذا الحذف رؤية أيديولوجية، ترى أن ما عاشته كابول، هو بسبب حركة طالبان الأصولية وتعصبها أكثر من العدو الأجنبي، فأعداء كابول هم أبناؤها ،كما قال نازيح ، كقراءة أوليّة نتعمّق فيها لاحقا، كما يظهر الحذف في قول محسن :"قبل الغزو السوفييتي كان محسن في عام العاشر"[3] .

فلم يتطرّق الرّاوي إلى حياة محسن قبل هذا العام ولا بعده، واكتفى بكون محسن كان يحسّ بسعادة كاملة، ليقارن بين الماضي والحاضر كإسقاط يستدعي به الزّمن الجميل دون أن يذكر ملامحه، فيجعل القارئ يتخيّله ومن الحذف أيضا ما جاء في السّرد :"العدوّ قد استنجد بدعم عارم وكانت مدفعيته المدعمة تمطرنا ليل نهار، لا وقت لنا لأخذ قسط من النّوم"[4]، فلم يتعرّض الرّاوي إلى تفاصيل الحدث، كيف واجه المقاومون هذه المدافع؟ وما حلّ بهم؟.

ويظهر أيضا الحذف في قول نازيح : " بعد أسبوعين أو ثلاثة بعد ذلك، ودون أن أخبر أحدا، ألم أمتعتي وأطير لا من سمع ولا من أرى "[5] ، حيث أخبر نزيح عتيقا برغبته في مغادرة المدينة الأفغانية ولا يخفى علينا الدور الكبير الذي يقوم به هذا الحذف، **كأنّه البياض الذي يكتب فيه القارئ ما تخيّله من رؤى أيديولوجية مشحونة داخل الخطاب** الروائيّ، فجعلنا نتخيل زمن الحرب، ثم بعد ذلك فصّل هذا الزمن من خلال شخصيات أخرى، كما نجد في الرّواية الحذف في قول مرزاشاه : "عاش مع أربع نساء، وتزوّج الأولى منذ خمس وعشرين سنة والأخيرة منذ سبعة أشهر فقط"[6] ، فلم يكشف لنا المدّة التي قضاها مع زوجاته ولا سبب الطّلاق، باستثناء حديثه عن المرأة وكيف يجب أن تكون، وإن لم تتّصف بتلك الصّفات كالسّكوت وخدمة الرجل يجب أن تترك وتستبدل بأخرى.

أما قول الرّاوي :" في السّنوات المضيئة كانت كابول هادئة"[7]، لم يذكر الرّاوي عدد السّنوات عبر هذا الاسترجاع والذي يبيّن من خلالها الرّاوي حالة الماضي المستقر والتي تناقض راهن كابول الجديد في الرّواية، ولم يذكر المدّة بل نعتها بالمضيئة والهادئة والقارئ يتخيّل حجم المدّة ويربطها بزمن ما قبل حدث الغزو السّوفييتي وسيطرة حركة طابان على الحكم، ومثله قوله : "قبل

---

[1] - شريط رابح : تمظهرات الزّمن في الرّواية الجزائريّة المعاصرة (قراءة في نماذج)، ص283.
[2] - الرّواية : ص22.
[3] - الرّواية : ص17
[4] - الرّواية : ص83
[5] - الرّواية : ص72
[6] - الرّواية : ص33
[7] الرّواية : ص15

سنوات مضت لا أحد يأتي يسوّط وجهك بالكرباج"[1]، وفي سياق سرديّ آخر نجد قول السّائق:" لم يفهم لماذا أمّه لفظت أنفاسها بين يديه، لا يزال الأمر يشغل باله، بعد مرور سنوات عديدة، وأربع زيجات"[2] ، فالرّاوي لم يحدّد حجم الزمن الذي كان منشغلا فيه بالتّفكير بسبب وفاة أمه، و وهذا دليل على أن التفكير في سبب الوفاة لم يفارق الوالد والابن معا وهو أيضا دلالة على الأثر النفسي الكبير واستمراره عبر الزمن كرؤية نفسيّة.

كما يظهر الحذف في قوله محسن "بدونك ستكون لياليّ أحلك من الظّلمات وأبرد من القبور"،[3] ولم يذكر الرّاوي عدد اللّيالي، وإنّما جعلها بشكل مطلق، دليل على شدّة تعلّق محسن بزنيرة واستمرار هذا الشّعور عبر اللّيالي، كما نجد في القول نفسه استباقا يتمثّل في خوف محسن من اللّيالي، التي لا تكون فيها زنيرة إلى جانبه، وتظهر الرواية حالته البائسة بعد أن فقد حبّ زنيرة، ووقع ما قاله في قوله فذهب إلى قبره .

كما لجأ الكاتب إلى تقنية التّلخيص أو إعطاء المجمل دون تفصيل، كقول الرّاوي عن زنيرة : "فهي تذرع أرضية البيت من الفجر إلى الغروب ملفوفة بعناد في حجابها المشؤوم، الذي لا تغادره حتى أثناء النوم"[4]، إذ يظهر من خلال هذا السّرد أن الرّاوي اختصر الوصف وجعل حالة زنيرة من الفجر إلى الغروب متشابهة.

لكنّ الذي يهمنا ما علاقة الزّمن في الرّواية بالرّؤية الأيديولوجية للرّواية وراويها؟

للزمّن علاقة وطيدة برؤية الكاتب الأيديولوجية، ويظهر ذلك من خلال المشاهد الحوارية والوقفة الوصفية والتي تحمل في معظمها مقارنة بين الماضي المشرف والمضيء والحاضر الحزين، سواء من الناحية الاجتماعية أو السّياسية أو التّاريخية، فمثلا من النّاحية الاجتماعية يظهر حوار مسرة مع عتيق:

" ما بك مسرّة؟

أجدك ذلقة اللّسان هذا المساء

ربّما لأنّنا لم نتحدّث مع بعضنا منذ فترة وما أطلق العنان للسانك اليوم ؟

المرض...، إن المرض لحظة خطيرة، لحظة حقيقة حاسمة"[5]

فالمشهد الحواري يظهر **رؤية اجتماعية**، تتمثّل في استرجاع مسرّة لذكريات الزّمن الماضي قبل المرض، أين كانت تحاور زوجها كأيّ زوجين، وحتّى وإن لم يجمعهما الحبّ، لكنّ الفترة الزّمنية التي أصيبت بها بالمرض جعلتها تشعر بالذّل، رغم أنّها تمقته وتظهر هذه الرّؤية في قولها : "زوجي لم يعد يكلّمني"[6]، وهذا همّ آخر إلى جانب مرضها، فلا يجب على الزّوج أن يقطع الصّلة بزوجته فقط لمجرد مرضها، هذا ما نفهمه من الطّرح الأيديولوجي للرّواية، ولعلّ ذلك ما يقصده الرّاوي، والدّليل أنّ المرأة التي تكبره بثلاث سنوات والتي كانت بلا حماس ولا جمال، ضحّت في سبيل سعادته.

---

[1] الرّواية : ص16

[2] الرّواية : ص114

[3] - الرّواية : ص42

[4] - الرّواية : ص129

[5] - الرّواية : ص62

[6] الرّواية : ص59

5-أدلجة المكان في رواية سنونوات كابول :

5-1-مفهوم المكان : يعتبر المكان أو الفضاء من أهمّ عناصر البنية الفنّية في الرّواية، وهو الذي يحدّد صفتها الأيديولوجيّة ، ويبيّن من خلاله الكاتب حياة الشّخصيات التي لا تكون في الفراغ، فلابدّ لها من حيّز مكانيّ يحتويها، "إذ لا وجود لرواية بلا مكان معادل للوجود"[1]ويعتبر المكان العمود الفقري الذي تجري فيه الأحداث ولا يمكن أن يستغني أيّ خطاب روائيّ عن المكان، ولا يمكن للشّخصيات أن تقوم بدورها أو توصل أفكارها الأيديولوجية إلاّ بوجود المكان، داخل الخطاب الروائيّ، الذي يعكس الحالة النفسيّة والاجتماعيّة والدّينية والثّقافية للشّخصيات، "ولقد سعت الدّراسات الحديثة والمعاصرة إلى اكتشاف دور المكان في العمل الرّوائي الذي يعدّ الرّابط الأساسيّ بين مكونات النصّ، وهو ما جعل بعض النّقاد يرون أنّ المكان والزّمن وجهان لعملة واحدة لا يمكن بأي شكل من الأشكال الفصل بينها أو الاستغناء عن أحدهما في النصوص الروائية "[2]، فلا يوجد أي نصّ روائيّ يتطرق إلى أحداث بمعزل عن الأمكنة التي تعيش فيها الشّخصيات.

ويعرف المكان بأنّه :"بناء أو تقنية يتمّ إنشاؤها اعتمادا على المميّزات التي تطبع الشّخصيات، والمكان لا يظهر إلاّ من خلال وجهة نظر شخصيّة تعيش فيه، والمنظور الذي تتّخذه هو الذي يحدّد دلالته ويحقق له تماسكه الأيديولوجيّ"[3]

وترى النّاقدة كرستيفا أنّ المكان الجغرافي متصل بالواقع الخارجيّ للنّصّ، انطلاق من إشارته إلى الظّروف السّوسيوتاريخيّة والقيم الثّقافية لبنية النّصّ، إذ تدخل المضمون الثّقافي ضمن تصوّرها للمكان.[4]

فالرّوائي يعمل على خلق المكان الذي تجري فيه الأحداث، فيحرص على أن يكون مكان الحدث منسجما مع طبائع شخصياته وظروفها على أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشّخصية والمكان الذي تعيش به.

5-2-تجليات الأيديولوجيا في مكان الرّواية :

ينقسم المكان في الرّواية إلى قسمين كما هو معروف لدى الكثير من الباحثين منفتح ومغلق....

أ-الأماكن المغلقة :

وهي الأماكن الضّيقة التي تحدّها حدود من جوانبها الثّلاثة على أقلّ تقدير، بشرط أن تكون لها حدود سقفيّة،ولها تأثير في حياة الشّخصيات[5]

---

[1] -د- رفيقة سماحي : دلالة المكان وأبعاده في رواية (القريبة كاف) للرّوائي ياسمينة خضرا، مجلة المدونة ، المجلد 8، العدد 3، سبتمبر 2021م، ص2704.

[2] -د-معروف حبيب :تيمة المكان المغلق في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة في رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد .مجلة نتائج الفكر الصادرة عن معهد الآداب واللغات , المركز الجامعي صالحي أحمد عنابة ,العدد5-6 ,السنة 2000م,ص 209، maroufhabib29@yahoo.fr

[3] - دحو مامة : بناء الزّمن والمكان في الرّواية العربية ، ص17.

[4] -عبد الحق منصور بوناب : معادلات المكان بين المنهج والنّصّ في الرّواية الجزائريّة(تفنست، وشرفات الكلام) أنموذجا، مجلّة دراسات، جامعة20أوت 1955م سكيكدة، ديسمبر2016م، ص158.

[5] - ينظر : رفيقة سماحي : دلالة المكان وأبعاده في رواية (القريبة كاف) للرّوائي ياسمينة خضرا، ص 2707.

يتمثل نمط الأمكنة المغلقة في حصر السّارد شخصيات نصّه بين زوايا هندسيّة محدّدة التّشكيل والهيكل ,ويعدّ نمط الأمكنة المغلقة النّمط المؤطّر بالحدود الهندسيّة والجغرافيّة ,التي قد يكشف عن الألفة والأمان, وقد يكون مصدرا للخوف والذّعر[1]
ومن الأمكنة المغلقة ما يوحي بالرّاحة النّفسية والطّمأنينة ومنها ما يوحي بالضّيق والخوف والتّوتر ومنها ما انحرف عن إيحائه الأصلي في الرواية التي بين أيدينا، ومن الأمكنة ذات الطّابع المنغلق والتي توحي بأبعاد أيديولوجية :

البيت: صورة البيت عادة ما ترتبط بالدّفء العاطفيّ والعائلة والطّمأنينة والحماية، خاصة أنّه المكان الذي يلجأ إليه أيّ إنسان للاستراحة من شقاء العمل، والبيت "يمثّل بالنّسبة للإنسان الذّاكرة الحيّة التي من خلالها يستطيع إعادة شريط ذكرياته أو التّفكير في المجريات التي تساعده على تحقيق أمانيه الشّخصيّة, لأنّه يعدّ المأوى التي تأوي إليه جميع المخلوقات طلبا للرّاحة والاستقرار"[2],إذا صورة البيت مرتبطة بالسّكينة الروحيّة والطّمأنينة التي يحسّ بها عادة الإنسان حين يعود إلى بيته أنى يسترجع ذكرياته .
وسنحاول أن نكشف عن البعد الأيديولوجي للبيت من خلال هذه الرّواية ، والسّؤال المطروح هو : **هل حمل البيت في الرواية هذه الصورة أم حاد عنها؟ ولم؟**

لقد تنوّعت البيوت المذكورة في الرّواية نذكر منها :
بيت عتيق شوكت : وهو البيت الذي يحمل زوجين لم تربطهما علاقة حبّ وهما عتيق ومسرة، هذا البيت الذي يحمل في صورته الكثير من البؤس والمعاناة النّفسيّة والفقر، بيت لا يرغب عتيق في العودة إليه، لكنّه مضطرّ، وقد جاء في قول الرّاوي :"النّاس يلتحقون ببيوتهم، والمتشرّدون أيضا يلتحقون بجحورهم، والحرّاس عادة ما يطلقون الرّصاص على الأشباح المشبوهة بلا تحذير، يجب عليه أن يدخل هو أيضا إلى بيته، أن يعود إلى زوجته، ليجدها في الحالة التي تركها"[3] ، فالعودة إلى البيت حسب عتيق إجبارية، كي لا يصاب برصاصة طائشة، من حراس طالبان، الذين يطلقون الرّصاص بلا تحذير، لذلك فأهل كابول يخشون العقاب، لهذا لابدّ من الاحتماء ببيوتهم، أمّا المتسوّلون فيعودون إلى جحورهم، وقول الرّاوي يحمل رؤية عتيق للمنزل، الذي يفتقد لامرأة حبيبة، تخدمه إذ أنّ صورة المنزل العاديّة والشّائعة بين النّاس، خرّبت وذلك لمجموعة من العوامل أهمّها : مرض زوجته وعجزها عن القيام بالأعمال المنزلية، ويظهر ذلك في قول الراوي : " لا يرغب في العودة إلى بيته ليجد سريره غير المرتّب وأواني المطبخ منسيّة في ماء الحوض الآسن، وزوجته راقدة، منكمشة في زاوية الغرفة"[4].
ويكشف الرّاوي من خلال الوصف عن حالة القلق النّفسيّ، والتي انعكست على الصّورة التي رسمها للبيت، صورة تعبّر حقيقة عن معاناة عتيق وزوجته، سواء من النّاحية النّفسيّة نتيجة غياب العلاقة الحميميّة بينهما، ومن ثمّ عدم وجود حوار بينهما إلّا نادرا، وهذا ما يولّد الفراغ والضّجر

[1] -ينظر : د-معروف حبيب : تيمة المكان المغلق في الرواية الجزائرية المعاصرة ، قراءة في رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد, ص209
[2] -المرجع نفسه : ص213.
[3] - الرّواية : ص54.
[4] - الرّواية : ص25

والرّغبة في الهروب، فمسرة أزعجها كون زوجها لم يعد يكلّمها ، أو من الناحية المادية، فهو بيت يعبّر عن أوضاع مدينة كابول الاجتماعية المزرية، حتّى أنّ الرّاوي عبّر عنه بلفظة الكوخ ، وذلك لشدّة الفقر والبؤس الذي يميّزه ومع ذلك يبدو أنّ هذا البيت ورغم بؤسه، يحمل رؤية ثقافية واجتماعية، نفصّل فيها لاحقا، وذلك من خلال ذكر الرّاوي لبعض الأغراض المنزلية التي لها علاقة بتقاليد المجتمع، كجلد الماعز والحمّالة الخشبيّة، التي وضع عليها المصحف الشّريف والحصير والسّجاد والتي توحي أيضا بالبعد الدّينيّ والإسلاميّ.

بيت والد محسن : وهو منزل كبير وسط المدينة، يستقبل الضّيوف، ويعبّر عن طفولة محسن أيّام السّعادة الكاملة، بتعبير الرّاوي ويظهر ذلك في المقطوعة السّردية التّالية:"العائلة كانت تقطن في منزل كبير، وسط المدينة، وتستقبل بانتظام الأهل والأصدقاء، لا يتذكر محسن الشّيء الكثير عن تلك الفترة، ولكنّه متأكّد أنّ سعادته كانت كاملة"[1]

وهذا ما يعكس الحالة الاجتماعية الميسورة لعائلة محسن البرجوازية، إذ تعيش في ترف مادي لكن مع حفاظها على التّقاليد الجميلة كاستقبال الضّيوف، وقد استحضر الرّوائيّ هذا البيت وربطه بفترة ما قبل الغزو السّوفييتي، أي بالزّمن الجميل المضيء، ليقارنها بحالة محسن في بيته الآن، و الذي أصبح يعيش فيه مع زوجته زنيرة، بعد أن خرّبت الحرب بيته، وفقد ثروته، وليقارن أيضا كيف كان النّاس يزورون بعضهم البعض، وكيف أصبحوا في ظلّ الظّروف الجديدة؟، كرؤية أيديولوجية نكشف عنها لاحقا.

بيت محسن : وهو البيت الذي يعيش فيه محسن مع زوجته، والذي يبدو عليه من خلال وصف الرّاوي وحوار الزّوجين أنّه بيت مختلف تماما عن بيته قبل الغزو السّوفييتي والذي دمّرته القنابل، وبالتّحديد في طفولته لم يبق شيء في الغرفة باستثناء حصير بمثابة سجّادة، ووسادتين مثقوبتين، وحمّالة خشبيّة صغيرة"[2]، وحتّى زجاج النّافذة مكسّر، استبدله بقماش متين، إلى جانب الرّطوبة والنّاموس الذي يعكّر نومهما وخلوّ البيت من الأثاث، "فمحسن باع جميع أثاثه الواحد وراء الثّاني"[3]، وقد جاء في وصف الرّاوي وصف آخر لهذا المنزل، والذي لا يختلف عن الوصف الأوّل، "أظهر لها الغرفة والسّتائر البالية، المغطيّة للنّوافذ والجدران، المنقوشة والرّوافد الآيلة على السّقوط فوق رأسيهما"[4]، وفي مقطع آخر: "وفي الأسبوع المنصرم، انفصلت رقعة من التّراب عن سقف الغرفة، كادت تردم زنيرة."[5]

وهذا ما يعبّر عن الحالة الاجتماعية المزرية والفقر المدقع لهذه العائلة كرؤية أيديولوجيّة للرّاوي، والتي لا تختلف عن عائلة عتيق، من ناحية الصّورة البائسة والأغراض المنزلية المستعملة، فلا يختلف بيت محسن عن بيوت أهل كابول جميعا، و يظهر في قول الرّاوي : "في كابول إنّنا جميعا متسوّلون"[6]، لكنّ الفرق الوحيد هو ورغم الشّقاء وحالة البؤس التي طبعت بيت

[1] - الرّواية : ص67
[2] الرّواية : ص37
[3] - الرّواية : ص37
[4] - الرّواية : ص82
[5] - الرّواية : ص64
[6] - الرّواية : ص74

محسن أيضا إلّا أنّ الحبّ جمعهما، فمحسن كان يبتسم دائما حين يرى زوجته، ما ينسيه شقاء المكان، ورغم قول محسن لزنيرة حين عرض عليها التّنزّه في شوارع كابول : "لسنا في بيتنا، زنيرة، بيتنا الذي بنينا فيه عالمنا، خرّبته قذيفة، ليس هذا المكان إلّا ملجأ ولا أريد أن يتحوّل إلى قبر لنا"[1]، إلاّ أنّ زنيرة ورغم حالة الفقر والبؤس التي ميّزت بيتهما، ترى منزلهما العامر بالحبّ أحسن من شوارع كابول، التي ستعترضك فيها فزّاعة تقلب حياتك، ويظهر في قولها : " ولكنّنا لا نزال معا، يا محسن، هذا هو المهمّ بالنّسبة إلينا، إنّنا معا ليساند بعضنا بعضا، لا نملك إلّا أنفسنا لتغذية الأمل، سيتذكّرنا الله يوما".[2]

لكن رغم الحبّ الذي جمعهما إلاّ أنّ هذا المكان الذي كان يلجأ إليه محسن ليحتمي بشمس زنيرة، اكتسى طابعا أسودا هو الآخر، بعد أن غاب عنه الحبّ وتحوّل إلى كره، وتطرّف طالبان حلّ ببيته، فلم يصمد وأصبح بيته أسوأ من بيت عتيق، وأصبح محسن يهيم في الشّوارع والمقابر هاربا من بيته، فأضيف الى بؤس المكان وفقره بؤس أكبر منه، حين يغيّب الحبّ ويشحن البيت بالصّراعات والتطرّف فلا فرق بين شوارع كابول وبيته وهذا هو البعد الأيديولوجي الذي تجلّى من خلال استحضار ياسمينة خضرا لبيت محسن.

السّجن والزنزانة :

يحمل السّجن عند النّاس بعدا دلاليا يتعلّق بسلب حرّية النّاس وتقييدهم، كما يوحي بالعقاب، وقد ارتبط السّجن والزّنزانة بشخصية عتيق، خاصة لكونه يعمل سجّانا، ورؤية الرّاوي وعتيق للسّجن مختلفة فمرّة يرى الرّاوي، بأنّ السّجن أثقل كاهل عتيق، وأنّه" كلّما يجلس فيه يحسّ بأنّه يدفن نفسه حيّا"[3]، فقد "أجّجت برودة السّجن الصّغير جراحه القديمة، أحيانا تتشنّج ركبته من البرد، ويجد صعوبة في طيّها"[4] ، وحتّى الزّنزانة وهي مكان مغلق صغير بارد في آخر الرّواق تنبعث منها روائح كريهة، وقد جاء في الخطاب السّردي : "أحسّ بأنّ الأماكن المغلقة، أضحت مرعبة، لم يعد يتحمّل الظّلام ولا ضيق المكتب الصّغير، الذي يشتغل فيه، المكدّس بنسيج العنكبوت ،وبجثث حمير القيّان"[5]، وهذا ما يحمل رؤية سلبيّة عن السّجن والزنزانة، خاصة أنّ وظيفة السّجان كما يرى عتيق، هي بلا فضل ولا نبل.

ومرّة أخرى نجد صورة ودلالة مغايرة تماما للصورة الأخرى للسّجن والزّنزانة، إذ أنّ السّجن بالنسبة لعتيق هو مسكن لوساويسه، فكلّما تضيق عليه الدّنيا يتّجه إليه ويفرّ من سجن آخر أكثر بؤسا، وهو بيته، ويظهر ذلك في قول الرّاوي :" السّجن الذي اتّخذه عتيق شوكت مسكنا"[6]، ويظهر كذلك في قول نزيح معتذرا :" كنت هناك في السّجن الفارغ، كي تجد السّكينة، وتفكّر في همومك بذهن صاف"[7]

---

[1] الرّواية : ص82
[2] - الرّواية : ص40
[3] الرّواية : ص22
[4] - الرّواية : ص21
[5] - الرّواية : ص21
[6] الرّواية : ص108
[7] الرّواية : ص88

فحمل بذلك فضاء السّجن دلالة مغايرة إذ أصبح مكانا لإفراغ الغضب ومراجعة النّفس، ويظهر في قول الرّاوي وهو يصف حالة عتيق لمّا خرج من بيته غاضبا إلى السّجن : "كلّما مالت أفكاره باتّجاه مسرّة، يعطي ضربة قدم في الفراغ، كما لو أراد التّخلّص منها"[1]، فالسّجن ببؤسه وبرودته، كان أرحم، ثمّ حين أحضرت السّجينة الأخيرة إلى الزّنزانة ، وهي مكان صغير في آخر الرّواق، متعفّن ارتبط أيضا بشخصيّة أخرى، دخلت حياة عتيق وقلبتها، إنّها شخصية زنيرة التي حوّلت الزّنزانة الباردة النّتنة إلى مكان يشعّ بالحياة، وظلامه الحالك إلى نور بجمال زنيرة، الذي لا مثيل له حسب عتيق،"فقد عاد قلبه إلى الحياة من جديد"[2]

في هذا السّجن الذي دفن ضميره من قبل، ها هي زنيرة تحيي ضميره ومشاعره ،إذ "عاش في السّجن اللّحظات الوحيدة التي تستحقّ أن تعاش"[3]، وقد تحوّل السّجن والزّنزانة إلى مكان الحبّ والمعاملة اللّطيفة، والذي كان من المفروض أن يكون في بيته، وقد لاحظت مسرّة ذلك وسرّها حال زوجها، رغم أنّها افتقدت هذا الحبّ والمعاملة الطّيّبة، ويكشف فضاء الزّنزانة بدخول زنيرة إليه، عن كون الحبّ يصنع المعجزات ويغيّر أفكار الرّجال عن المرأة، فعتيق لأنّه لم يحبّ مسرّة، وكان زواجه بها لمجرّد ردّ الجميل، لم يشعر بالرّاحة في بيته، كفضاء من المفروض هو رمز السّكينة والهدوء، لقد غيّر دخول زنيرة إلى الزّنزانة تصرفاته، لم يعد قاسيا، عنيفا كما كان مع مسرّة، حين قلب الصّحن لأنّها أرادت أن تتحدّث معه فقط، ها هو يغيّر تصرّفاته، ويدافع عن زنيرة، ويعامل المرأة معاملة لطيفة، يأخذ لها الطّعام.

"حطّ عتيق على الأرض صينية، عليها شرائح لحم مشويّ، ورغيف خبز وبعض العنيبات، دفع ثمنها من ماله الخاص"[4]، فلم لم يعامل مسّرة بهذه الطّريقة؟، إنّه الحبّ، حين حلّ في مكان غير مكانه، لقد تحوّلت الزنزانة، إلى فضاء للرّاحة والمشاعر الجميلة، "أروع ما يحدث لكائن بشريّ"[5]، كما تحوّل المكان إلى رمز للتّضحية، للزّوجة المهمّشة التي أعطت درسا في التّضحية، فعدمت مسرّة مكان زنيرة، وآثارت أن تدخل الزّنزانة.

فكلّ ما في الأمر : أنّ شادورا سيحتلّ مكان شادور آخر[6]، وشعرت أخيرا بالسّعادة وهي تخدم زوجها، وتقضي على شعور الإذلال الذي لطالما كرهته، يظهر في قولها : " لا تتصوّر كم أنا سعيد هذا الصّباح، سيكون موتي أكثر فائدة من حياتي"[7].

المستوصف: هو مستشفى صغير، قديم مهجور، تعرّض للنّهب والتّخريب منذ زمن طويل، استعملته حركة طالبان كسجن مناسباتي، وذلك حين يحضّرون لإعدام عمومي، يعني هو نفسه السّجن الذي يعمل فيه عتيق، وهي " بناية واقفة بأعجوبة، وسط الخراب الذي يلفّها من جميع الجهات"[8]، والمستوصف المفروض أنّه يقدّم خدمات لأهل المدينة ويعالج جروحهم وينقذهم لا

---

[1] الرّواية : ص67
[2] -الرّواية : ص107
[3] -الرّواية : ص174
[4] الرّواية : ص153
[5] -الرّواية : ص172
6 -ينظر : الرّواية : ص 178
[7] - الرّواية : ص179
[8] -الرّواية : ص12

مكانا لردمهم وإعدامهم، وهذا هو البعد الأيديولوجي المضمر داخل الخطاب الرّوائيّ الذي كشف من خلاله الكاتب عن حرمان أهل كابول من قاعة علاجهم وتحويلها إلى نقطة انطلاق نحو أجلهم.

المسجد: وهو في الأصل مكان للعبادة، والصّلاة يلجأ إليه النّاس للتّقرّب من الله تعالى، لما فيه من راحة وسكينة وهدوء، فعتيق قصد المسجد : "وقضى دقائق طويلة، ..يرتّل الآيات والأدعية طالبا من المولى ومن الأولياء الصّالحين أن يعينوه في شقائه"[1]، لكنّ صورة المسجد، كما ظهر في الخطاب الروائيّ، أخذت أبعادا أخرى تشبه إلى حدّ بعيد ما حلّ بمئذنته،" المئذنة التي شوّهتها قذيفة صاروخ"[2]، لقد لحق الخراب المدينة المتحلّلة حتّى المسجد والزّوايا إذ استعمل حرّاس طالبان العنف والضّرب لإجبار النّاس على الدّخول إلى المسجد والصّلاة، ولكنّ الخوف أنهى سلام المدينة، ويظهر ذلك في قول الرّاوي : "هناك يطوف رهط من طالبان حول الجامع لإيقاف المتسكّعين المارين وإجبارهم بقوّة السّلاح على الالتحاق بالمصلّين"[3]، مكان يتصرّف النّاس به بالفظاعة، فحين انزعج عتيق من شخص قصير القامة، بهيئة عتروس، كان ينظّم الصّفوف، "فقبض عليه داخل المسجد، ثمّ تراجع وانتبه لتصرّفه، مصعوقا لفكرة أن يتصرّف مؤمن بهذه الفظاعة داخل المسجد"[4].

أضحى المسجد مكانا **للخطابات الأيديولوجية**، لغسل العقول، ثمّ نشر أفكار طالبان المتطرّفة، كما أصبح مكانا للتّعسف الذي طال أهل كابول جميعا، ولم يعد يختلف كثيرا عن السّجن، وهو مكان يشغله طالبان لنشر أفكارهم القمعية، وتبرير ممارساتهم الجائرة، باسم الدّين ويظهر في قول الرّاوي :"يتسارع عند بابه حرّاس آخرون من الطالبان، يوقفون المارين لإرغامهم على حضور خطبة الملاّ بشير"[5] ، وقد ارتبط فضاء المسجد بحادثة النّزهة المشؤومة، التي حوّلت حياة محسن وهناء بيته إلى جحيم لا يختلف عن مدينة كابول بعد أن أرغم حرّاس الطّالبان محسنا للدّخول إلى المسجد لآداء الصّلاة، تاركا زوجته على درج الخراب، ومقابل الشّمس المحرقة، تواجه نظرات الحيرة والازدراء، "ارم أفكارك المسمومة، خارج المسجد، ولا تترك الوسواس الخنّاس يلوّثها برجسه"[6]

المقهى: ورد في الرّواية على أساس أنّه مكان مغلق على غير عادته، هو مكان اجتماعيّ يلتقي فيه عادة النّاس لمواجهة هموم الحياة، "وهو مكان شعبيّ يقصده أهل القرية لتمضية أوقاتهم والتّرويح عن أنفسهم"،[7] وقد ورد ذكره في الرواية مرتبطا بلقاء عتيق مع صديقه القديم مرزاشاه، حين ضاقت الدّنيا بعتيق، فأحسّ بالحزن والتّعب ومن الدّوران بلا هدف، بسبب زوجته المريضة، ولمّا شكا لصاحبه في المقهى لم يلق غير السّخط، كعادة أهل كابول لدرجة أنّ مرزاشاه، لم يخف

[1]-الرّواية : ص66
[2] - الرّواية : ص44.
[3] - الرّواية : ص(44-45)
[4] - الرّواية : ص47
[5] - الرّواية : ص97
[6] - الرّواية : ص46
[7] - رفيقة سماحي : دلالة المكان وأبعاده في رواية (القريبة كاف) للرّوائي ياسمينة خضرا، ص2712

تذمّره من حالة عتيق لأجل امرأة، لذلك طلب منه أن يطلّقها كما رأينا سابقا، فشعر عتيق بالنّدم لأنّه تهوّر ولم يفكّر قبل التّحدث عن شقائه، في بلد لا يرحم، " لام نفسه على عدم مقاومته الرّغبة الجامحة في إفراغ همومه الوسخة على شرفة مقهى حقير"[1]، فلم يعد المقهى مسليا، ينسي أهل كابول هموما بل انقلب الأمر أيضا رأسا على عقب, حين غابت الثقة بين الأصدقاء والتّفاهم كبعد أيديولوجي كلّه بسبب أوضاع البلاد المزريّة.

ب-الأماكن المفتوحة:

لهذه الأماكن أهمية كبيرة في النّصّ الرّوائيّ، و"يقصد بالأمكنة المفتوحة تلك الأماكن المتّسعة الرّحبة، فهي منفتحة على نفسها وعلى الشّخصيات في الرّواية "[2]

ولها أهميّة كبيرة باعتبارها تساهم في عمليّة الإمساك بكلّ ما هو جوهريّ فيها, أي مجموع القيم والدّلالات المتّصلة بها، وذلك من خلال ما تظهره الرّواية من تفاعلات وعلاقات، تنشأ عند تردّد الشّخصيّة على هذه الأماكن التي يزورها الفرد في أيّ وقت يشاء, بمعنى أنهّا بانفتاحها تمنح الفرد كامل الحرّيّة.[3]

السّاحة العمومية (الملعب) : وهو مكان مفتوح، والمفروض أن يكون مكانا لممارسة الأنشطة الرّياضية واللّعب، أين ينسى النّاس همومهم، لكنّه في الرّواية تحوّل إلى مكان للرّجم والإعدام، ويظهر ذلك في قول الرّاوي حين حكم رجال طالبان على الرجل بالموت : " لم يقدّر رجال طالبان جنون الرّجل، الذي يرفع عنه الكلفة والحرج بل قيّدوه في السّاحة العمومية مكموم الفم وجلدوه إلى حدّ الموت"[4]، كما يظهر في قول قاسم عبد الجبار لمحسن : " قرّرت السّلطات تنفيذ حوالي عشرة إعدامات عمومية برغبة إضفاء حماس وابتهاج على الحفل"[5]

فالملعب لم يعد مكانا للتّرفيه عن النّفس كبعد أيديولوجيّ، بل أصبح مكانا تزيّنه المشانق، وأصبح يستخدم للإعدامات العمومية على شكل احتفالات، تتلذّذ بتعذيب ضحيّتها بعد أن نوّمتها خطابات الملّا بشير التي أثّرت حتّى في مثقفها محسن فشاركهم جرمهم.

السّوق: هو مكان لعامة النّاس يقضون فيه حاجياتهم، لكنّه ارتبط في الرّواية بالمتسوّلين والحمّالين من الرّجال والنّساء ، ويظهر في قول الرّاوي:" السّوق الملوّثة بالمتسوّلين والحمّالين"[6]، وما يميّز المكان هو الحرارة الشّديدة، ولم يعد ذلك المكان الذي يجمع النّاس لقضاء حوائجهم، بل يظهر في الرّواية أنّه مكان للتّسول أكثر منه للبيع والشّراء، والبعد الاجتماعيّ الذي يظهره هذا المكان هو كون صورته تغيّرت إذ أصبح يعبّر عن سكّان كابول، كونهم لا يملكون المال، فجميعهم متسوّلون، كما جاء في الرّواية، وحتّى النّزهة البسيطة إلى السّوق، التي كان محسن يأمل من

---

[1] - الرّواية : ص35

[2] - رفيقة سماحي : دلالة المكان وأبعاده في رواية (القريبة كاف) للرّوائي ياسمينة خضرا، 2705.

[3] - صليحة قصابي : صيغ بناء المكان بين الانفتاح والانغلاق في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية, رواية بماذا تحلم الذئاب ؟لياسمينة خضرة –أنموذجا-, حوليات الآداب واللغات .كلية الآداب واللغات ,جامعة محمد بوضياف، المسيلة الجزائر, المجلد 5, العدد 10، فيفري 2018م, ص212
annalettres@gmail com

[4] - الرّواية : ص77

[5] - الرّواية : ص145

[6] - الرّواية : ص23

خلالها أن ترجع دلالة السّوق القديمة قبل سيطرة طالبان تحوّلت إلى خيبة أمل من جرّاء تعسّف طالبان.

البحر : حدث لصورة البحر ما حدث للسّوق، ولأيّ مكان في مدينة كابول، لم يعد وجهة النّاس للتّسلية والتّرفيه عن النّفس، لقد أصبح ملجأ ومكانا للعزلة والهروب من واقع مرّ، وارتبط البحر بشخصية مفتي الدّيار السّابق نزيح في مدينة كابول، الذي كره الحروب التي لم تنته، كره الأسلحة، فقرّر الانسحاب بلا شكر ولا توديع، ويظهر
في قول نازيح : " سأسلك أوّل طريق أصادفه أمامي، وأمشي إلى غاية البحر"[1]، وقال أيضا : "سأمشي إلى أن يغمى عليّ، متّجها نحو البحر" [2].

الشّوارع : "يعدّ الشّارع من العلامات المكانية الدّالة على المدينة وهو جزء لا يتجزّأ منها, حيث تتحرك من خلاله الشّخصيات وتنفتح الأبواب عليه، وهو الخيط الفاصل بين عالمين : عالم السّر وعالم الجهر ....إذ عند البيوت والمنازل ينتهي عالم النّاس السّري, ويبدأ عالمهم العلنيّ حيث يبدأ الشّارع وحين تنكشف الأسرار وتعلن الأعماق عن خفاياها ....إنّه الشّارع النّابض بالحياة "[3]

وتحمل صورة الشّوارع في الرّواية رؤى أيديولوجيّة مختلفة فمن جهة؛ كان النّاس قبل الغزو يتجوّلون في الشّوارع والحدائق العمومية، ويظهر في قول الرّاوي :"كان يحبّ التّجول مساء، عبر شوارع كابول"[4]، وذلك قبل الغزو السّوفييتي، لكن من جهة أخرى فالشّارع حمل رؤية أخرى في ظلّ راهن جديد، يسوده العنف والاضطراب، إذ لم تعد شوارع كابول تسلّي"[5]، ويظهر من خلال حادثة خروج محسن و زنيرة للتّنزّه في شوارع كابول، التي لم يجد منها إلّا التّعسّف ولم يحصد إلّا الضرب والخيبة، كما أنّها مكان للتّسكع حين ضاقت الدّنيا بمحسن وعتيق وهي صورة قاتمة، مختلفة تماما عن الصورة الأولى التي ارتبطت بالماضي المضيء.

المدينة : مكان مفتوح، لقد تغيّرت، "إنّها مدينة في تحلّل متقدّم"[6]، لقد كشفت الرّواية عن تغيّر فضاء المدينة، وارتبط ذلك بالواقع الاجتماعيّ والتاريخيّ والسياسيّ، الذي غيّر المدينة، وقد اعتمد ياسمينة خضرا على أسلوب المقارنة كما فعل في الزّمن (المقاطع الاسترجاعيّة)، ليصف المكان عبر لغة السّرد، ويفضح حقيقة ما حدث محمّلا طالبان جزء كبيرا من المسؤولية إلى جانب إشارات إلى الغزو السّوفييتي، وجاء في الخطاب الرّوائي أنّ فضاء المدينة في السّنوات المضيئة قبل الغزو، لم يكن أحد يسّوط وجهك بالكرباج كان الأطفال يلعبون بالطائرات الورقية، لقد تغيّرت المدينة وأصبحت مدينة الأشباح"[7]، ولم تختلف الشّخصيات ولا الرّاوي في كشفهم عن هذه الصورة الفظيعة" لعالم هجره الأولياء الصّالحون"[8]، وقد أصبحت كابول حسب نازيح "عجوز مستحضرة للموتى، محصورة بإصرار داخل همومها"[9].

---

[1] - الرّواية : ص17
[2] - الرّواية : ص72
[3] -- صليحة قصابي : صيغ بناء المكان بين الانفتاح والانغلاق في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، رواية بماذا تحلم الذئاب ؟ لياسمينة خضرة -أنموذجا-, ص214
[4] - الرّواية : ص16
[5] - الرّواية : ص 16
[6] - الرّواية : ص8
[7] - الرّواية : ص55
[8] - الرّواية : ص37
[9] - الرّواية : ص109

صنفت فيها الأفراح ضمن المحرّمات الكبرى، إنّها المدينة المليئة بالفظاعة واللّامعقول، نزفتها سلسلة من الحروب"[1] ، فاختنقت المدينة التي غابت عنها مظاهر الحياة، "واختفى الرّعاة الذين تعوّدوا على دفع قطعانهم الهزيلة إلى غاية سفح التّلال" [2]تعفّنت المدينة شيئا فشيئا، و"لا أحد أصبح يؤمن بمعجزه الأمطار وعجائب الرّبيع".[3]

نعم غاب الرّبيع ، وتشتّت السنونوات، ولم تعد تشير إلى قدوم فصل الرّبيع فلم تعد المدينة مسلّية، هذه المدينة التي يموت فيها الكثير من النّاس وتعجّ شوارعها بالأرامل واليتامى، مدينة تتنافس فيها المقابر مع الأراضي الشّاغرة حول التوتّر"[4]، فمدينة كابول في الرّواية أضحت خرابا شارك فيه العدوّ والقريب كبعد أيديولوجيّ .

وما نلاحظه من خلال هذا الفصل ارتباط الرّؤية الأيديولوجيّة للأديب بالبنية السّردية وعناصرها الفنيّة، وهذا يتوافق مع تعريف محمود أمين للرّواية من المنظور الأيديولوجيّ والواقعيّ الذي يقول فيه : "الخطاب الرّوائي بشكل عام هو بنية لغوية دالة، أو تشكيل لغويّ سرديّ دال، يصوغ عالما موحّدا خاصا، تتنوّع وتتعدّد وتختلف في داخله اللّغات والأساليب والأحداث والأشخاص والعلاقات والأزمنة والأمكنة دون أن يقضي على التّنوع والتّعدد والاختلاف على خصوصية هذا العالم ووحدته، بل هو يؤسّسها"[5]، فالرّوائي يسعى من خلال الخطاب الرّوائي إلى تبيين مواقفه من القضايا الرّاهنة باختلاف أبعادها وذلك عبر لغة السّرد والشخصيات والبيئة الزّمكانيّة.

وعلى العموم فإنّ الرّواية أظهرت عبر بنيتها السّردية أيديولوجية الكاتب، الرّافضة للعنف والتّطرّف والتّهميش كما تظهر أيديولوجيا الرّواية في حدّ ذاتها بداية بالعنوان ثمّ من خلال شخصياتها والأحداث المرتبطة بها كشخصية الملّا بشير مثلا وخطاباته الأيديولوجية التي تستعمل كقناع للسّيطرة والتحكم في أهل كابول إلى جانب الشّخصيات الأخرى وأكيد أنّ هذه الشّخصيات تعيش فيه بيئة زمكانية تؤثر وتتأثر بها فينعكس ذلك على توجهاتها الأيديولوجيّة.

---

[1] - الرّواية : ص37

[2] الرّواية: ص 7

[3] - الرّواية: ص 8

[4] - الرّواية : ص92

[5] - دحو مامة : بناء الزّمن والمكان في الرّواية العربية، ص11.

الفصل الثالث

الرؤية الأيديولوجية في رواية سنونوات كابول لياسمينة خضرا

الفصل الثّالث : الرّؤية الأيديولوجيّة في رواية سنونوات كابول

1-الرّؤية التّاريخيّة
2-الرّؤية الدّينيّة
3-الرّؤية السّياسيّة
4-الرّؤية الاجتماعيّة والثّقافيّة

تمهيد :

إنّ الخطاب الروائي جنس أدبي يعبّر من خلاله الأديب عن رؤيته الأيديولوجية الخاصة, والتي تضمّن ضمن الخطاب السّردي, عبر العتبات النصّية كالعنوان وتقديم النّص والغلاف، إلى جانب لغة السّرد والشّخصيات والأحداث والزّمان والمكان، والنّصّ الرّوائي النّاجح هو الذي يثير القارئ فيبحث عن تلك الرّؤى عبر تعدّد أصوات الشّخصيات وصراعاتها، ومميّزاتها السياسيّة والدّينية والثقافيّة والاجتماعية، وعبر مراحلها التّاريخية لتجمع كلّ هذه الرّؤى الأيديولوجية ضمن نصّ الرّواية وبشكل مضمر غير مباشر، يفتح المجال للقارئ للتّأويل، مع التّسليم بمنطلق القراءات المتعددة باعتماد المناهج المختلفة السّياقية والنّسقية في آن واحد، وقد نجح ياسمينة خضرا كما رأينا في الفصل الثاني في تحميل شخصياته بالأبعاد الأيديولوجية والتي عبّرت عن رؤى الكاتب

أيضا كرفض العنف والتطرّف والتّهميش....وفي نفس الوقت للرّواية في حدّ ذاتها، فهي شحنة أيديولوجية تعبّر عن رؤية المجتمع الأفغاني للوضع الذي عاشته كابول باختلاف طبقاته الاجتماعية، ورؤيته للمرأة خاصة، ونظرا لأهميّة الرّؤية الأيديولوجيّة في الرّواية حاولنا من خلال الفصل الثالث كشف الأبعاد الأيديولوجية للرواية، مع العلم أنّها رؤى وأبعاد متداخلة يشكّلها الزّمان والمكان والشّخصيات وكل ما ذكرناه سابقا، لكنّنا نحاول أن نجمع بين كشفنها لرؤية الرّاوي الأيديولوجيّة وفي نفس الوقت نكشف عن رؤية القارئ من منطلق مواجهة أيديولوجيا بأيديولوجيا، وتبقى مجرّد قراءة، ليأتي قارئ آخر فيؤولها بطريقة مختلفة، وهذا هو تعدّد القراءات التي تحدّث عنها الناقد الألماني إيزر وغيره.

الرّؤية الأيديولوجية في الرّواية الجزائريّة :

لقد عبّر الأدباء عن رؤيتهم الأيديولوجيّة إزاء القضيّة الأفغانية، وضمّنوا مواقفهم ضمن إبداعاتهم الرّوائية فحاولوا تعرية هذا الواقع المؤلم ليفضحوا المعاملات اللّاإنسانية التي عانى منها الشّعب الأفغانيّ سواء من الاستعمار الغربيّ أو من حركة طالبان، ومن الرّوائيين الذين عالجوا هذه القضيّة خالد حسيني وعتيق رحيمي إلى جانب الرّوائي الجزائريّ ياسمينة خضرا وغيرهم, وسنحاول من خلال هذا الفصل أن نكشف عن مختلف هذه الرؤى.

1- الرؤية التاريخية:

تعتبر الرّواية أقرب الأجناس الأدبية إلى النّص التاّريخي فهي الأقدر على استيعاب الأحداث التّاريخية، نظرا للنّفس الطّويل الذي يعتبر من أهمّ سماتها "ولا يمكن لأيّ خطاب مهما كان قريبا او بعيدا عن عالمي الأدب أن ينفلت من أسر وأثر الذات والتاريخ والأيديولوجيا وتأخذ الرواية شرعيتها من قدرتها على صهر كل ذلك في رؤية ثقافية، بثوب جمالي"[1]

على الرّوائي أن يؤرخ للوجود عبر خطابه الروائي وقد عالج ياسمينة خضرا في روايته سنونوات كابول أحداثا تاريخية مرّ بها المجتمع الأفغاني، بداية من الغزو السّوفييتي، الذي دام أكثر من تسع سنوات، والذي كان من أسباب دماره وشتاته، فكابول تلك المدينة الهادئة التي كانت

[1] [1] - شعيب حليفي : ثقافة النّصّ الرّوائيّ، ص91.

تنسج فيها أجمل قصص الحبّ والغرام "قد نزفته سلسلة الحروب الشرسة، عالم هاجره الأولياء الصالحون "[1]

لقد تغيرت كابول عبر التّاريخ، ولم تعد شوارعها تسلّي، كما كانت، تشقّق صفاؤها الأزرق، "وسط شلال الصّواريخ المتدفقة بلا انقطاع، إن الحرب هنا، ها هي تعثر على وطن"[2]، فقبل الغزو السّوفييتي للبلاد الأفغانية و كابول خاصة،كان محسن رمات في عامه العاشر ينعم بالسّعادة مع عائلته البرجوازية وفجأة، حلّ الشّقاء والبؤس على البلاد، فبعد" حدث التّدفق الرّوسي بجيشه العرمرم وعملقته الغازية التي توحي بنهاية العالم فجأة، تلبدت السماء الأفغانية، بالكواسر المدرعة"[3]، فدمّرت سعادة محسن، وخرّب بيته، وقد رسم لنا ياسمينة خضرا في روايته "لوحة متكاملة التّضاريس ,تعبّر عن قسوة فترة تاريخيّة، كان ميدانها الفسيح كابول, رمز الحضارة الأفغانية, المدينة المدمّرة "[4]

لقد أثار المستعمر السّوفيتي العدوات بين المقاومة الأفغانية، فانبثقت من رحم المجتمع الأفغاني حركة إسلامية ، واجهت المدّ السّوفيتي في البداية، والتي لقّبت نفسها لاحقا بحركة طالبان، والتي كانت تخفي من وراء مقاومتها أهدافا استبدادية واستغلالية، وأفكارا تريد نشرها باسم الدّين، إذ استغلّت محنة الشعب الأفغاني للسّيطرة عليه والتّحكم في مصيره، فلم تختلف في هذه الناحية عن العدوّ في استغلالها، واستبدادها، وحتّى عن الذين سبقوا، "فذهب الملك وعوّضته معبودات أخرى صحيح أن الشّعارات تغيرت ولكنّها تطالب بالتّعسّفات نفسها لا ينبغي أن ننخدع، تبقى الذّهنيات هي نفسها، التي سادت منذ قرون"[5].

ويظهر البعد التّاريخي في الرّواية من خلال حديث معطوبي الحرب، الذين كانوا يتبادلون الأحاديث حول بطولاتهم وتضحياتهم، و كان" لكلّ واحد منهم ساق أو ذراع مبتورة"[6]، ولم تمنعهم قساوة الطّبيعة ولا بشاعة الاستعمار وقوّته من المقاومة ومواصلة التّضحية .

وقد كان الجيش السّوفيتي يحاصرهم من كلّ جهة، و مدفعيته تمطرهم ليل نهار، ومع ذلك لم يستسلموا، فالمصائب تجمعهم كجسد واحد، وقد التحق عتيق ومرزا شاه بالجبهة، فربطت بينهما علاقة صداقة متينة، لم يخفيا شيئا عن بعضهما، وقد خاض عتيق الحرب باندفاع عجيب، وبعد المقاومة الشّرسة من المقاومة الأفغانية والتي قادتها الحركة الإسلامية، انسحبت القوات السّوفيتية.

و ساهم عناصر حركة طالبان بشكل فعّال في إخراج العدو السّوفيتي وفرض سيطرتها على البلاد باعتراف العدوّ، وقد حقّق المقاتلون الأفغان، الذين كان معظمهم من الحركة الإسلامية، انتصارات حاسمة على القوّات السّوفيتيّة، وهذا ما أجبرهم على الانسحاب جارين أذيال الهزيمة الشّنعاء، و استولى المقاتلون على كابول وأعلنوا أفغانستان كدولة إسلامية عام 1992 م.

---

[1] - الرّواية : ص73
[2] - الرّواية : ص17
[3] - الرّواية : ص17
[4] -د-كواري مبروك : القمع والسرد, غرابة السرد وسخرية الواقع في رواية سنونوات كابول, ص56
[5] - الرّواية : ص30
[6] - الرّواية : ص47

ورغم نهاية الحرب إلّا أنّ العهد الصّافي الذي انقضى لم يرجع إلى ساحة التّاريخ، فعلى حدّ قول نازيح عن كابول: " لقد كانت أسطورتها في عهد ما تنافس عظمة سمرقند أو بغداد، حيث يحلم السّلاطين مباشرة بعد اعتلائهم العرش بإمبراطورية أوسع من السّماء "[1]

زالت الحرب لتحلّ محلّها أخرى، ورغم فضل رجال الحركة الإسلامية في إخراج المستعمر السّوفيتي ومواجهة الغرب، والتفاف الشّعب حول هذه الحركة، لمواجهة العدوّ باسم الدّين وتقديس الشّهادة والجهاد في سبيل الله، إلّا أنّ "اليوم أعداء كابول هم أبناؤها، تنكّروا لأسلافهم، وشوّهوا نفوسهم كي لا يشبهوا نفوسهم، كي لا يشبهوا أحدا"[2] على حدّ قول نازيح .

فكابول تعفّنت شيئا فشيئا أصبحت مختلفة، لم تعد مسلّية، "مدينة منقطعة تماما، مزيّنة بمنصات المشانق، وغاصة بخرق سقيمة، تقسو عليه وتفسده بلا رحمة، يوما بعد يوم، ليلا بعد ليل" [3].

وقد تدهورت من السّيئ إلى الأسوأ، الكلّ يريد السّيطرة والاستبداد، فما الفرق بين العدوّ السّوفيتي والأمريكي وحركة طالبان والسّلطة؟، جميعهم قتلوا طمعا في الوصول إلى الحكم والسّيطرة والنّفوذ، والشّعب الأفغانيّ كان ضحيّتهم وإن اختلفت الشّعارات والطّرق، لكنّ النّوايا الخفية متشابهة، فبعد خروج العدوّ اشتدّ صراع حركة طالبان مع السّلطة الحاكمة، إذ تواجهت مع قوات مسعود الحكوميّة فاشتعلت حرب أهليّة، في بلد لم تجف بعد تربته من دماء الشّهداء، وهذا من سياسة المستعمر، الذي يعمل بمبدأ "فرّق تسد"، وحين تمكّن طالبان من فرض سيطرتهم على كابول خاصة، فرض قوانين جديدة متطرّفة ومتعصّبة، باسم الدّين الإسلاميّ، ففرضوا الصّلاة بالسّوط في المساجد وحرموا المرأة من حقوقها ، وحوّلوا مستوصفها لسجن، وساحات اللّعب العموميّة لمجازر دموية في حقّ كلّ من يرتكب جريمة أو يخالفهم، ودون حتّى دراسة للدّلائل والوقائع، فالآن كما قال نزيح :"كابول مرعوبة من الذّكرى، لقد نفّذ الإعدام في تاريخها على السّاحة العموميّة"[4].

وقد قامت حركة طالبان بتدمير النّصب التّذكارية بالمتفجّرات، وقطعت صلتها بتاريخها، لكن مع ذلك كما قال نازيح : "كابول ضحّت بأسماء شوارعها، وسحقت نصبها التّذكارية بالمتفجرات" [5]، فقد تعرضت كابول لأكبر حرب دموية، لم ترحم الصّغير ولا الكبير، حرب مدمّرة بداية من الغزو السّوفيتي، ثمّ التّدخّل الأمريكيّ ومقاومة الشّعب الأفغانيّ، ثم الحرب الأهليّة التي جرّت البلاد إلى ما لا تحمد عقباه، سواء من النّاحية المادية أو البشرية أو النفسية، فبعد أن كانوا، كيد واحدة لمواجهة نوائب الدّهر وويلات الاستعمار، تشتّتوا بعد خروجه .

---

[1] - الرّواية : ص109
[2] - الرّواية : ص(109-110)
[3]- الرّواية : ص55
[4] - الرّواية : ص109
[5] - الرّواية : ص109

و اشتدّ الصّراع بين فرق الرّائد مسعود وهو شخصيّة تاريخية حقيقية ورجال طالبان فقد "وقعت فرق الرائد مسعود في كمين وترسل قوات دعم للقضاء عليها"[1]، فمات عدد كبير من الطّرفين المتقاتلين و"لكنّ المارق مسعود محاصر كالجرذ، سوف لن يرى بانشيره المشؤوم ثانية".[2]

والرّواية حافلة بالأحداث التّاريخية الواقعيّة، والتي صيغت بمسحة جماليّة، ورغم كون الرّواية لامست الرّاهن الأفغانيّ بأبعاده المختلفة، كالبعد التّاريخي إلّا أنّ الكاتب له رؤية أيديولوجية خاصة، هذه الرؤية التي لم تهتم كثيرا بدور حركة طالبان التاريخي والبطولي والحافل بالنّضال والتّضحية في سبيل الوطن الأفغاني وباعتراف الغرب، فلولا قوة الحركة الإسلامية، واتّحادها والتفاف الشّعب حولها لتعبئة الجماهير الشّعبية، لما تمكّنوا من إخراج المحتل السّوفيتي أو مواجهة الولايات المتّحدة الأمريكيّة أيضا، التي تدخّلت كمساعدة للحركة، وهي تضمر نوايا غدر خفيّة استغلالية، استعمارية.

فالرّاوي عبر لغته ووصفه وشخصياته، وصف حركة طالبان بأبشع الصّور، وتنكّر لفضلها التّاريخي "يا محسن لسنا شيئا يذكر لم نتمكّن من الحفاظ على مكتسباتنا، لذلك صادرها الصبيان الطالبان"[3]، فهذه المكتسبات أيضا ساهمت في أخذها العناصر الإسلاميّة، التي أسّست لاحقا حركة الطالبان، والتي أخرجت المستعمر من البلاد.

فالرّاوي ركّز على الجانب السّلبي ورسم صورة وحشيّة عن الحركة، حتى أنّه في بعض الأقوال لم يفرّق بينها وبين الاستعمار الغربي من النّاحية التاريخية والسياسية في قوله: "إنّها الأسلحة نفسها التي تنتقل بين الأشخاص، والوجوه نفسها التي تعرض، والكلاب نفسها التي تنبح، والقوافل نفسها التي تمرّ."[4]

فرغم تحدّث الكاتب عن آثار الحرب من تدمير وقتل وخراب مسّ الأرواح، ودمّر البساتين، ونزع صفاء المدينة، فتلبدت السّماء بالغيوم، وهجر النّاس الحدائق العمومية إلّا أنّه لم يشر إلى دور الاستعمار السّوفيتي في إحداث الانشقاق والتصدّع، بين أبناء الأمّة الواحدة كعادة أيّ استعمار، يطمع في تشتيت الأمّة، ومحاربة مقدساتها للسّيطرة عليها وهكذا فعل إذ بعد خروج الاتحاد السّوفيتي تبدّلت الأهداف، وغُيّرت النّوايا، كأنّنا في العصر الأموي، تصارعوا وتقاتلوا للوصول إلى الحكم والسّلطة، وهنا بدأت سلسلة مجازر دمويّة أخرى، كان للاستعمار دور كبير فيها، فلولا الغزو السّوفيتي لما تدخلت أمريكا، بنيّة تقديم المساعدة للبلاد الأفغانيّة، ولما أصبحت هي الأخرى استعمارا آخر غير مباشر تستغلّ ثروات البلاد، ولا ما حدث الصّراع الدّاخلي، ثمّ

[1] - الرّواية : ص139
[2] - الرّواية : ص140
[3] - الرّواية : ص181
[4] - الرّواية : ص30

إنّ حركة طالبان معظم منتسبيها من الطّلبة من مناطق البشتون في شرق وجنوب أفغانستان، والذين حاربوا المستعمر السّوفيتي.[1]

ومع ذلك نلاحظ أن الرّاوية ركّزت على الجانب المظلم فقط لحركة طالبان، التي جعلت كابول مدينة ممزّقة مملوءة بالأشباح، وذلك من جرّاء سيطرة حركة طالبان، التي وإن كان لمؤسّسيها دور كبير في شحذ الهمم ضدّ العدوّ المشترك، قبل تأسيسها رسميّا وحتّى بعد ذلك، ضدّ العدوّ السّوفييتي ثم الأمريكيّ، هذا الأخير الذي لبس قناع الدّعم والمساندة، وأخفى الأيديولوجية الاستعمارية، إلا أنّ الرّاوي ركّز على الجانب السّلبيّ، لأنّ حركة طالبان، حادت عن أهدافها السّامية، والتّاريخ فعلا أثبت الكثير ممّا جاء في الرّواية، من خلال سلسلة الاغتيالات باسم الدّين، وفرض قوانين صارمة، وإن خالفها أحد سينفّذ في حقّه الرّجم، حتّى لو كان مجنونا، وحرمت المرأة من أبسط حقوقها، فتغيّرت الشّعارات فعلا، لكنّها مارست التّعسّفات نفسها، ولم تسترح كابول من سلسلة الحروب الشّرسة إلى يومنا هذا، وهذا ما رصدته الرّواية من النّاحية التّاريخية.

2-الرؤية الدّينية:

يشغل الخطاب الدّيني مساحة واسعة في الرّواية، وقد ارتبط بالظّروف التاريخية، التي مرّت بها البلاد الأفغانيّة، بداية بالغزو السّوفيتي، ويبدو البعد الدّيني من خلال تكفير العدوّ في أكثر من تعبير، من خلال حوار معطوبي الحرب، فصاحب اللّحية الكثيفة، يرى أنّ الرّوائح الكريهة، "تنبعث من الرّوس الكفرة، هؤلاء الخنازير نتنون، حتّى وهم يخرجون من الحمام"[2]، ثمّ في الصّفحة الموالية أيضا قال "لكنّ الرّوس الكفرة."[3]

وللتكرار دور كبير في تبيين رؤية الرّواية الأيديولوجيّة، ووصفهم بالكفرة، كمصطلح دينيّ يستلزم بعدهم عن الدّين الإسلاميّ وخروجهم عن تعاليمه، فشتّان بين القتلى الأفغانيين وقتلاهم، "فالمجاهدون كلّهم أولياء الله الصالحون"[4] وجثتهم لا تتعفّن، ولا تطلق روائح كريهة. .

وقد تحدّث الملّا بشير في خطبته، عن مكانة المجاهدين في سبيل الله- حين تحدّث عن الغرب- فقال : "ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربّهم يرزقون"[5]، وقد أخذه حرفيا من قوله تعالى : **" و لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ".** [6]

---

[1] -ينظر : مروة حامد البدري وآخرون : نشأة وتطور الجماعات الجهاديّة في أفغانستان(حركة طالبان وتنظيم القاعدة وتنظيم الدّولة الإسلاميّة في العراق والشام نموذجا)، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، كلية التجارة وإدارة الأعمال، جامعة حلوان، المجلد34، العدد 1، مارس 2020م، ص12

[2] - الرّواية : ص50

[3] - الرّواية : ص51

[4] - الرّواية : ص 49

[5] - الرّواية : ص101

[6] - سورة آل عمران : (الآية 169)

فأعطى الملّا بشير للجهاد بعدا دينيا، ساهم في شحذ هممهم وتعبئتهم، خاصة أنّ حركة طالبان، كانت تسعى إلى فرض تعاليم الدّين الإسلاميّ، ولو بالغصب، فهي بحاجة إلى مثل هذه الخطابات الأيديولوجية، للإقناع والوصول إلى مبتغاها، وقد استعمل الملا لفظ الغرب في خطاباته الدّينية، لأنّه لفظ الغرب يحمل دلالات كره تجمع بينه وبين ما جربّه وعاناه المجتمع الأفغانيّ من قبل، جرّاء الغزو السّوفيتي وما يعانيه الآن من الولايات المتّحدة الأمريكيّة، التي تدخّلت بعد أحداث 11 سبتمبر، " فالغرب لا يخيف أبدا أولئك الذين اختاروا الموت، من أجل إعلاء كلمة الله".[1]

ومن مخططات حركة طالبان الأيديولوجيّة؛ إقناع النّاس بقداسة الجّهاد، ثمّ تشجيعهم على الانتحارات التّفجيرية وذلك بالاعتماد على الدّلائل النقليّة من القرآن الكريم والتي تحدّثت عن الجهاد في سبيل الله.

وقد اعتمد الخطاب الدّينيّ للملّا بشير على أسلوب المقارنة، وهو أسلوب ناجع للإقناع عادة، في قوله: " قتلاهم فلا يغادرون قسوة الحياة الدّنيا إلاّ ليرموا في قاع جهنّم خالدين فيها، وستتعفّن جثثهم"[2]، هذا عن قتلى الغرب الكفرة بينما قتلى طالبان، " في نعمة الله يتنعمون بحور العين"[3]، فهم جنود الله.

وما يلاحظ أن هذه الخطابات الدّينية، مرتبطة بالحدث السّياسيّ والتّاريخي، فبعد فرض الولايات المتّحدة الأمريكيّة لسيطرتها على أفغانستان، سعت حركة طالبان لإخراجها وإضعاف قوتها، ولن يكون لها ذلك إلّا بتنمية روح الكراهية للآخر الغربيّ من أجل مواجهته، وفي نفس الوقت قد يكون غطاء للاغتيالات الجماعيّة ولتبرير العنف وسلسلة الجرائم المرتكبة، إذ حدث لهم ما حدث كما قال الملّا بشير: "لأنّهم لم ينتهزوا الفرصة التي منحناها لهم على أطباق من فضّة.. خط الالتحاق بصفوفنا والاحتماء نهائيا تحت أجنحة المولى"[4].

وكلّ من يخالف القوانين ينفّذ في حقّه الإعدام أمام الملأ، ففسّروا الدّين على هواهم، وبالغوا في تنفيذ أحكامهم، حتّى دون تحقق من الوقائع المنسوبة للمجرم، "وقد تفتت الصّلوات في غضبة شظايا الرّصاص "[5]، ودخول المسجد أصبح باستعمال القوّة من طرف طالبان، "فهناك يطوف رهط من الطالبان حول الجامع لإيقاف المتسكّعين المارين، وإجبارهم بقوة السّلاح على الالتحاق بالمصلّين"[6]

فاذا ما تسلّط الخوف والرّعب على الإنسان، كيف يشعر بالخشوع والطمأنينة أثناء صلاته أو عند سماعه للخطب الدينية الرنانة ؟، فطلب الشّيء بالغصب قد يقوم به الإنسان خوفا من العقاب، لكنّ الأمر يولّد في نفسه ازدراء مضمرا لهذه الحركة المتطرّفة، التي لم تفهم الدّين على

---

[1] - الرّواية : ص101
[2] - الرّواية : ص101
[3] - الرّواية : ص101
[4] - الرّواية : ص99
[5] - الرّواية : ص7
[6] - الرّواية : ص(44-45)

حقيقته، فكان عليها أن تهتمّ بنظافة المسجد وتصلح المئذنة المحطّمة، وتستبدل الزّرابي البالية، وأن تدعو النّاس للإسلام بالحسنى لا بالقسوة والعنف، فكلّ مرفوض مرغوب نفسيا،

والدّين الإسلاميّ ليس باللّحية الكثيفة، والكحل الذي يملأ العينين، وبالاحتفال والفرح على جثث القتلى ولو أجرموا كرؤية أيديولوجيّة، ولنا في تاريخنا الإسلاميّ المجيد وفي شخصيّة نبي البشرية جمعاء سيّدنا محمد-صلى الله عليه وسلم -مثال للتّسامح الإنّسانيّ، حين عفا عن أهل مكة يوم الفتح العظيم، رغم أنهم عذبوه، وقتلوا خيرة صحابته إلّا أن عفوه كان له الأثر الكبير في نفوسهم، فالدّين الإسلامي وسيلة لهداية النّاس إلى الطّريق المستقيم لا لتضليل النّاس ونشر الظّلم والعنف والقمع لدرجة " أنّهم يوقفون المارين لإرغامهم على حضور خطبة الملا بشير"[1]

فمتى كان في عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- إدخال النّاس إلى المسجد مرغمين، وبالجلد والسّوط أحيانا ؟، فهم يوقفون المارين لإرغامهم على حضور خطبة الملّا بشير.

تتجلى رؤية الكاتب الأيديولوجيّة من خلال نبذ كل أشكال العنف، وربما هذا من بين أسباب التّركيز على هذه الحركة الإسلاميّة والتي لم ترحم حتّى مجنونها، الذي لم يكلّفه الشّرع، إذ يفتقد لنعمة العقل ولا يعي الحقائق الدّينية والشّرعية ، فقلم التّشريع مرفوع عنه من الله تعالى، وجاء في الحديث النّبويّ الشريف؛ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى القُطَعِيُّ البَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ المَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ."[2]

فالمجنون لا عقل له ولا نيّة ولا خطاب للشّارع بدونهما فكيف تحاسبه حركة طالبان على أقوال لا يعيها، والله رفع عنه القلم، إذ " لم يقدّر الطالبان جنون الرّجل، الذي يرفع عنه الكلفة والحرج، بل قيّدوه في السّاحة العموميّة، معصوب العينين، مكموم الفم، وجلدوه إلى حدّ الموت "[3]

فاختلط الحابل بالنابّل، ثم أنّها بالغت كثيرا، في تنفيذها للشّرع حتّى دون تأكّد من الوقائع المنسوبة للمجرم وأمام الملأ ، يفتخرون بأعمالهم أمام شخصيات مرموقة في المجتمع، فهم الضّيوف الذين "يتلذّذون بتنفيذ الإعدامات العموميّة، وهم يحبون تطبيق أحكام الشّريعة، باليد نفسها التي تهش الذّبابة"[4]

ولعلّ حادثة زنيرة وقتلها لزوجها غير المتعمّد، دليل على عدم مصداقية أحكامهم، فقد أخذوا الحكم من خلال شهادة من لم يحضر الوقائع مباشرة، ولم يعطوا لزنيرة حقّ الدفاع عن نفسها، فكيف تعاقب المسكينة على حدّ قول عتيق شوكت، وهي لم تتعمّد قتل زوجها؟

وقد ورد في الشّريعة الإسلاميّة التي يدّعي طالبان الحكم على أساسها هو "أنّ الأصل هو العقاب على العمد والاستثناء على الخطأ، وفي مسألة قتل الإنسان بالطريقة الخطأ، لم تقرّر الشّريعة

---

[1] - الرّواية : ص97

[2] - صهيب عبد الجبّار : المسند الموضوعيّ للكتب العشرة، كتاب إلكتروني، ج8، ص165، https://al-maktaba.org/book/32866/13630

[3] - الرّواية : ص77

[4] - الرّواية : ص164

الإسلامية قتله وإعدامه[1]، بدليل قوله تعالى :" مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" [2]

فكيف يحكم القضاة على زنيرة بالقتل رميا بالرصاص؟ لمجرّد شهادات أشخاص لم يحضروا وقائع الجريمة؟، فحكمت" بقتلها رميا بالرّصاص وفورا"[3]، ودون رحمة ورغم توسّلات عتيق شوكت لقاسم عبد الجبار الذي أخبره بالوقائع لكن "قاسما ليس إلّا شخصا حلفا، لا يملك قلبا أكثر من هراوة ولا شفقة"[4]

فقد اقتنع الرّاجمون أنّهم ينفّذون حكم الله وإرادته وذلك بتأثير خطب الملّا بشير المحمّسة، والتي تزيد من رغبتهم في تنفيذ أحكام الإعدام، كأنها مارست عليهم طقوسا سحرت عقولهم، فاقتنعوا أنهم وأثناء الرّجم؛ "يطهّرون أنفسهم من رجس الشّيطان عبر ذنوب الفاجرة"[5]، ففسّروا الدّين على هواهم بما يوافق مصالحهم السّياسية، من خلال فرض نفوذهم وسيطرتهم، وزرع الرّعب في قلوب كلّ من يتجرّأ على خالفاتهم، باستغلال الدّين.

فكلّ شيء أصبح بائسا في مدينة كابول، لا أثر للحياة حتّى الأفراح" صُنّفت ضمن المحرّمات الكبرى"[6]، وحلّت محلّها كوابيس الرّعب المؤرّقة من جرّاء المبالغة في الإعدامات العمومية، " فالقتل من التّصرّف البدائيّ، تتنافس فيه المقابر مع الأراضي الشّاغرة حول التوسّع"[7]، بلد أنكر دور المرأة، وهمشها ومنع تعليمها، وجعلها مجرد خادمة، تنجب الأطفال وتجيد السّكوت، كما وصفها مرزاشاه لعتيق، حين نصحه بتطليق زوجته، لأنّها مريضة، ولم ينصحه بالتّعدّد دون تضحية بالمسكينة، التي وقفت إلى جانبه، تلك الممرّضة التي أنقذته أثناء الحرب، وقدّمت نفسها بدلا من زنيرة، طمعا في راحة زوجها النّفسيّة، **فهل هناك أكبر من هذه التّضحيّة؟**

كما أنّ حركة طالبان منعت تعليم المرأة، فزنيرة امرأة مثقّفة ومتعلّمة، أقعدت في المنزل، وهي لم تكن فاجرة حتّى عندما لم تقتنع بارتداء الشّادور، لأنّه فرض عليها، لكنّها "نشأت على أحسن تربية، لا إفراط ولا تفريط"[8]، إذ لم يعجبها الموقف المتطرّف والمتشدّد المنفّر للدّين، فلو دعيت له بالحسنى، ممكن أنّها لم ترفضه لما فيه من سترة لها، ثمّ هي أصلا كانت ترتدي الحجاب وإن اختلف شكله، والرّاوي تحدّث عن الشّادور، وعن نساء كابول في البداية وأورد حكاية، وان

---

[1] دليلة براف: مجلة البحوث والدراسات القانونية والسياسية، العدد الخامس، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سعد دحلب، البليدة، ص107

[2] - سورة النساء الآية 92

[3] - الرّواية : ص145

[4] - الرّواية : ص163

[5] - الرّواية : ص20

[6] - الرّواية : ص37

[7] - الرّواية : ص92

[8] - الرّواية : ص82

كان لا يعلم مدى صحتها، وهي قصة نساء كابول مع النّقاب المشبّك والشّادور، وكونهنّ ارتدينه بإرادتهنّ، ليحفظهنّ من الحسد، وليسترهنّ من أعين الرجال،" فأمّا النّساء وبرغم النّقاب المشبّك، فكنّا يستدرن داخل عطرهنّ، كما نفحات الحرارة، لقد كان قادة القوافل القديمة يقرّون بأنّهم لم يشاهدوا في أيّ مكان آخر من العالم، خلال ارتحالهم الدّائم حوريات أكثر إبهارا، عذارا غامضة، ضحكاتهنّ نشيد، تغنّجهنّ استيهام، لهذا السّبب أضحى ارتداء الشّادور ضرورة يعمل على حفظهنّ من الحسد، كما يجنّب الرّجال من الوقوع في تعاويذ مفرطة."[1]

فممكن لو دعي إلى ارتداء الشّادور بطريقة ليّنة، مرغّبة فيه، وترك الأمر للاقتناع لكان محبّبا، حسب ما يظهر بين ثنايا النّصّ، وفي القول الذي ذكرناه سابقا كرؤية أيديولوجيّة، خاصة أنّ شكل الحجاب المفروض في الشّريعة الإسلاميّة لم يحدّد بالضّبط بل المهم أن يكون ساترا للجسد، وهو ليس سجنا لها بل هو الحصن المنيع الذي يحفظها من كلّ سوء، والمهم أن يكون فضفاضا واسعا لا يبرز مفاتنها وأن لا يكون شفافا وان تستر شعرها، ولا تتشبّه بالرّجال، ولا تثير بزينتها، فهو لباس للتّقوى، قال تعالى في سورة الأعراف : " يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ "[2]، وربّما لكون حركة طالبان، اشتهرت بالعنف والتّطرّف والتّشدّد في كلّ مواقفها وممارسة القانون بالرّجم، والإعدام فبالغت لدرجة أنّ النّاس كرهوا مواقفها، وشوّهت بتطرّفها وتشدّدها صورة الدّين الإسلاميّ الذي هو دين يسر لا عسر، كما جاء في قوله تعالى : "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدّة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون"[3]

فالدّين الإسلامي دين يسر لا عسر، وينبغي للدّاعي إلى الله أن يلتزم في دعوته بالتّيسير على النّاس ويجتنب التّعسير وما فيه من مشقة عليهم، ولا يتحقق ذلك إلّا بأن يكون الدّاعي ممّن رزقه الله الفقه في الدِّين، وتحلّى بالصبر والحلم، واستعمل الرفق، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال أن النبي- صلى الله عليه وسلم-بعثه ومعاذا إلى اليمن فقال :"يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا وتطاوعا ولا تختلفا[4] (رواه مسلم في صحيحه).

فاليسر في الإسلام إرادة إلهية، وما تمتّع به هذا الدّين الحنيف من يسر وسماحة ومرونة في أحكامه وشرائعه، هو ما جعل النّاس يدخلون طواعية، دون إكراه بل عن قناعة وإيمان راسخ، **فما تطمع حركة طالبان من المرأة التي همّشتها وازدرتها ورفضت تعليمها وضربتها بالسّوط لمجرد حديثها في الشّارع مع زوجها؟**، ويظهر ذلك في حادثة النّزهة البسيطة، التي أراد محسن من خلالها إسعاد زوجته زنيرة، وإصلاح ما تبقى من زمن النّسيان، والتي تحوّلت إلى فاجعة مأساوية حوّلت حياتهما لجحيم، فزنيرة "سحبت نفسها من عالمه، وأنكرته كلية"[5]، وذلك منذ يوم الجولة،

---

[1]- الرّواية : ص16

[2] - سورة الأعراف : الآية 26

[3] -سورة البقرة : الآية 185

[4] -ينظر : د-أمين بن عبد الله الشقّاوي : شرح حديث : يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا، تاريخ النشر 16-12-2017م،تاريخ المشاهدة 12-04-2022م، https://www.alukah.net/sharia

[5] - الرّواية : ص129.

أين قرّرت أن تجعل "الشّادور قلعتها وملجأ هروبها"[1] ، فأصبح الحاجز الحقيقي الذي ينتصب بينه وبينها، وما أزعج زنيرة يوم النزهة أولّا هو أنّ الشّرطي سوّطها على الخصر وصرخ لا تلمسيه أنت، الزمي مكانك، ولا تتكلّمي بحضور أجنبيّ، فهل صوت المرأة عورة؟، حتى تمنع من الحديث، **أين ورد ذلك؟**

إنّ التّاريخ الإسلامي يثبت دور المرأة، حتى في عهد النّبي صلى الله عليه وسلم، فلا يوجد في القرآن الكريم أو السّنة النبويّة ما يحرّم حديث المرأة أمام رجل أجنبي وإنما خطاب الله تعالى لنساء النبي- صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: " فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلنا قولا معروف"[2]، فالقصد منه ألّا يكون كلامهنّ بحضرة الرّجال غير المحارم والزّوج رقيقا، تظهر فيه أنوثة المرأة، فيسلب القلوب.

ورؤية الكاتب الدّينية تظهر من خلال إبراز بعض القوانين والأوامر التي تبدو في سياقها العام أنّها أحكام تشريعية إسلامية، لكنّها في معظمها لا تستند إلى مرجعيّة دينيّة سليمة، فمتى كان التّشدد والتّعصّب وسيلة للوعظ والإرشاد؟، كما أنّ حراس طالبان من جهة منعوها من الحديث، ومن الضّحك مع زوجها، ومن جهة أخرى، أدخلوا زوجها إلى المسجد بالغصب، رغم توسلاته كي لا يترك زوجته لوحدها، تصارع الشّمس المحرقة على درج الخراب، ونظرات المارين تحوم حولها إما حيرة أو ازدراء، وهذا ما اشعرها بالخجل، وزاد من قلقها، ويظهر في قولها لمحسن، بعد أن حاول أن يخرجها من القوقعة التي حجزت فيها نفسها : " اذهب واقبض على اللّقيط النّتن الذي تجرّأ ووضع يده على زوجتك واقطع يده "[3]، **فهل الاستماع للخطبة أولى من حماية الزّوجة من نظرات النّاس؟**

أراد الرّاوي أن يبين التناقض الموجود عند رجال طالبان بين أقوالهم وأفعالهم، ولو أنّ تصرّف زنيرة مع زوجها كان الآخر قاسيا، فقد "هدّ محسن هذا الموقف المتطرّف"[4]، إذ أنّها أنكرت وجوده وحرّمت نفسها عنه، والشّريعة تدعو إلى طاعة الزوج ورعايته، فهي القمر الوحيد الذي كان يضيء لياليه وينسيه ألمه وحزنه من بيته الذي خرّب ووضعه المزري، كلّ ذلك كان بسبب حراس طالبان، في مدينة كل شيء فيها ممنوع، في مدينة حرّمت فيها حتى الأفراح، وقد أدركت زنيرة حجم الخطأ في حقّ زوجها، لكن بعد فوات الأوان حين سألها عتيق شوكت : إن كان يضربها أو يعنّفها، اعترفت بأنّ زوجها كان رائعا ولم تدرك النّعمة، التي كانت فيها مع زوجها المحب.

لقد كشف لنا ياسمينة خضرا في روايته عن أيديولوجيا العنف، و مدى التعسف الذي وصلت إليه حركة طالبان في حق الشّعب الأفغاني والمرأة خاصة، في مدينة كابول بالتحديد شخصياتها الأربع الرئيسية، فقد كانت سببا في دمار عائلتين وفي استلاب براءة الأطفال الذين أصبحوا من تأثرهم بالاغتيالات وعمليات الرجم، يرمون بالحجر على الكلاب، وعلى عتيق في آخر الرّواية،

---

[1] -لرّواية : ص129

[2] - سورة الأحزاب : الآية 32

[3] - الرّواية : ص 137

[4] الرّواية : ص 129

وكانت سببا في فتور الحبّ بين الزوجين وتهميش المرأة التي ولدتهم، ورفض تعليمها أو عملها باسم الدّين وهذا في الحقيقة تشويه لصورة الإسلام لا غير، ولا يمكن أن تكون هذه الحركة حركة إسلامية كما تدّعي ، لأنّ الدّين الإسلامي الذي أرسل لكافة البشرية لا يرغم أحدا- كما فعل حراس طالبان- على حضور خطبة، فالله تعالى لم يأمر بإرغام الكفار على دخول الدّين الإسلامي قوله تعالى:" لكم دينكم ولي دين"[1]، فان مرضت زوجته وأمه وبناته لمن يأخذهن؟،أيتركهنّ كما فعل والد سائق عبد الجبّار؟

إنّه التناقض بعينه، إضافة إلى أنّه كيف حرمت هذه الحركة حديث المرأة؟ وفرضت النقاب و الشّادور ومنعتها من التعلم؟، وفي نفس الوقت أشار الرّاوي إلى أن النّساء حضرن الاحتفال المقام بالملعب، والذي حضرته شخصيات مرموقة فحتّى قاسم عبد الجبار أخذ زوجته إلى هذا الحفل الذي اختلط فيه الحشد من الرّجال والنساء، وتعالى فيه الصّراخ،فحتّى لو كنّا متحجبات، لكن الأولى لو نفذ الشّرع، فالاختلاط بذلك الشّكل الأولى منعه، مادامت حركة طالبان تدّعي أنّها تدعو إلى تعاليم الشّرع وتحقّق إرادة الله تعالى "فلا شيء يخفى عن عيون الله"[2]، في قول الملّا بشير، وفي قوله أيضا من" سيجرؤ على غضب الله؟ "[3]، وهذه الألفاظ والمعاني مقتبسة من النصّ القرآني، قال تعالى : " أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء فالله هو السّميع البصير"[4]، والله هو السّميع البصير، وليس العبد.

إذا رؤية الكاتب الدينيّة التي بدت لنا داخل الخطاب السّردي هي أنّ زنيرة لم ترفض تعاليم الدّين الإسلامي فقد نشأت على أحسن تربية، لكنّها رفضت التطرّف والتّعصب والإرغام على الشّيء بالعنف، ويظهر ذلك في قول زنيرة لمحسن قبل حادثة النزهة المشؤومة :"سيتذكرنا الله يوما وسيدرك لا محالة أنّ الشّقاء المرعب الذي نعيشه يوميا, لم ينل من عزيمة إيماننا، وأنّنا لم نتخل عن ديننا وأنّنا جديران فعلا برحمته"[5]

فثقة زنيرة برحمة الله تعالى كبيرة، إذ لم تتخل يوما عن إيمانها، وأن الله سوف يتبع العسر يسرا، لكن مع ذلك نلاحظ ومن كثرة تكرار وصف الشّادور أو الحجاب كما جاء في الرّواية بأوصاف تنفّر منه، حتى لو كنا مع الراوي من أن المنطلق الذي هو الإرغام والغصب في ارتدائه هو الذي سبّب الانزعاج منه، كما رأيناه سابقا، لكن مع ذلك نلمس بعدا أيديولوجيا آخر أساء إلى حجاب المرأة، حتى لو كان الشّادور نفسه، والنّقاب فهو سترة للمرأة، لا خيمة وبردعة، كما وصفتها زنيرة في الرواية، و الله تعالى لم يشترط ارتداء الشّادور بعينه، لكن حتّى هذا الحجاب تتوفّر فيه تلك الصّفات الشّرعية، تقول زنيرة : " أرفض ارتداء الشّادور، إنّها البردعة التي تذلني أكثر من غيرها هذا الغطاء الجنائزي الغريب"[6]

---

[1] -سورة الكافرون : الآية 6.
[2] - الرّواية : ص101
[3] - الرّواية : ص101
[4] -سورة آل عمران : الآية 5
[5] -- الرّواية : ص40
[6] - الرّواية : ص83

فمتى كانت سترة المرأة إذلالا لها؟، إن الله عز وجل حين أمرها بالسّترة، فليبعد عنها السّوء والضّرر، وأصحاب القلوب المريضة وليحميها من الوقوع في المنكرات والاستسلام للشّهوات، وازدراء الشّادور والتركيز على هذا البعد الدّيني، تكرّر في العديد من المرّات عبر لغة السرد : " تختنق زنيرة المحنّطة بشادورها"[1]، أو في قوله: " بداخل قميصها الجبريّ"[2]، و"كيف قبلت زنيرة ارتداء الغطاء البشع الذي يجهز عليها، هذه الخيمة المتنقّلة، التي تمثل خلعها وزنزانتها معا"[3] ، وفي تعبير آخر جاء في النّصّ : "حجابها المشؤوم الذي لا تغادره، حتّى أثناء النّوم"[4]، وفي قوله : "أمّا النّساء المحنّطات بأكفان بلون الرّعب والحمّى، غرقت في غفلة مطلقة"[5]

فالحجاب ليس غطاء بشعا، وإنمّا البشاعة والفظاعة تكمن في طريقة فرضه، وحتّى تحديد شكله ولونه وهو ما شوّه صورة الإسلام، حتّى وإن نادت حركة طالبان ببعض المبادئ التي توافق الشّريعة الإسلامية كالسترة للمرأة، إلا أنّ الطريق الخطأ وأسلوب التّهديد لم يحصد إلّا التذمر والازدراء، وشوّه صورة الإسلام أمام أنظار الآخر، ولعلّ الغرب أدرك ذلك فأراد تشويه صورة الإسلام من خلال الحديث عن حركة طالبان ووصفها بأنّها حركة إسلامية إرهابية، فشتّان بين الإسلام وإرهاب طالبان، كما أنّ الرّواية تحدّثت كثيرا عن جرائم طالبان، "عن أولئك المعمّمين الذين حوّلوا الأزقة إلى حلبات صراع والأيّام إلى احتضار" [6]، زرعوا الخوف بتنفيذهم للإعدامات بأيديهم وتشجيع الناس على ذلك بخطابات الملّا بشير .

لكن المشكلة ليس في تنفيذ حكم الرجم على المرأة الزانية، لكن الذي يدعو للشكّ هو مدى صحة الوقائع المنسوبة، وهل هي متزوجة أم لا ؟ فالحكم مختلف، وما يدعو للشّكّ في أحكامهم، ما وقع لزنيرة والشّهادات الباطلة، فلم تقتل زوجها عمدا، حسب وصف الراوي للحادثة.

وقد ورد في تاريخنا الإسلامي: ما فعله عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- في محاولته لجمع من زنيا ببعضهما، وفي ذلك ستر وإعانة على التوبة، والتزام بالطريق الصحيح، وهو يقصد من لم تتوفر فيهم شروط إقامة الحدّ, أو بعد تطبيق شرع الله وعقوبة الزّنا فالزّنا هي أحد الحدود المقدّرة شرعا، وهي من الكبائر، قال تعالى: "ولا تقربوا الزّنا إنّه كان فاحشة وساء سبيلا"[7]

وقد استغلّ طالبان وجود دليل نقلي من القرآن الكريم لتنفيذ الشّرع، لكن لم يأخذوا بشروط التّنفيذ ولا كيف تنفذ ؟، وفي المجتمع الحديث الذي يختلف تماما عن فترة صدر الإسلام، إذ زادت مغريات الحياة بفعل الاختلاط مع الغرب، وفكرة التّحرّر،" وقد ذهب المالكية والشّافعية

---

[1] - الرّواية : ص102
[2] -الرّواية : ص102
[3] - الرّواية : ص103
[4] - الرّواية : ص129
[5] - الرّواية : ص17
[6] - الرّواية : ص217
[7] - سورة الإسراء : الآية 32

والحنابلة إلا أن الزّاني البكر يجلد ويغرب سنة، إن كان رجلا والمرأة تغرب سنة مع زوج أو ذي محرم عند الشافعية والحنابلة وقال المالكية: أن المرأة لا تغرب، والأمر مختلف فيه"[1]

وفي الرّواية لم نجد أنّهم سمحوا للمرأة بالحديث والدفاع عن نفسها، وهل هي بكر أم متزوجة؟، فالحكم في الشّريعة مختلف، لكنهم أخلطوا الأمور ببعضها، وقلبوها رأسا على عقب، لأنّهم يتلذّذون فقط لمجرّد تنفيذهم لعملية الرّجم، واستغلالها في خطبهم الدّينية التي لها أبعاد سياسية أكثر منها دينية، " ففي بلد الأخطاء التي لا ندم وراءها، ليس العفو أو تنفيذ حكم إعدام نتيجة مداولة القضاة، إنّما تعبير عن تغيّر مفاجئ للمزاج"[2]

فصحيح ما تراه حركة طالبان والتي اقتبسته من القرآن والسّنة النبوية أنه " لو ترك الجسد لهواه لعاش البشر ألف سنة "[3] ، كما يظهر في قوله تعالى :" ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون "[4] .

لكن شتّان بين أفعال حركة طالبان وأقوالها، فقد بيّنت بعض المراجع التّاريخية؛ " أنّ مقاتلي طالبان قد قتلوا، واغتصبوا النّساء أقارب قادة الشّرطة، والجنود المحكومين واغتصبوا أيضا القابلات اللّواتي اتّهمن بتوفير خدمات الصّحة الإنجابية المحظورة، للنّساء في المدينة مرجع الموسوعة الانترنت الاغتصاب في طالبان".[5]

وقد عوملت قضية الاغتصاب في أفغانستان معاملة الزّنا وتلقب المرأة المغتصبة بامرأة، ليس لديها شرف، وقد وصفت إحدى النّاشطات في مجال حقوق الإنسان الوضع بقولها : "زعمت حركة طالبان عندما سيطرت على قندز، أنهّا جلبت القانون والنظام والشّريعة للمدينة، ولكن كلّ ما فعلوه كان انتهاكا للقانون والشّريعة، لا أعرف من يستطيع إنقاذنا من هذا الوضع"[6]

فما الفرق بين ما فعلت حركة طالبان وما تدعو إليه باسم الدين؟، إنّ بشاعة طالبان ضدّ المجتمع الأفغانيّ وضدّ المرأة على الخصوص، يشهد لها التّاريخ، فقضايا الاغتصاب الجماعية انتشرت في كثير من مناطقها، ويحسبون أنّهم يأخذون نساء الشّرطة كسبايا، ليبرّروا رغباتهم الجنسية الوحشية، رغم أنّهم يدعون إلى تطبيق الشّرع على امرأة فاجرة، يظهر ذلك في قول الملّا بشير : " من العباد من فضّل التّمرغ في الوحل كما الخنازير، مع أنّهم على دراية بالرّسالة الرّبانية، وعرفوا مساوئ المغريات، ولكنهّم لا يملكون الإيمان الذي يجعلهم يقاومون الرّذيلة....، أغلقوا آذانهم لنداء الرحّمن، وأنصتوا وساوس الشّيطان، عوض الامتناع عن ارتكاب المحرّمات، والفوز برضى الله"[7]، فحتّى ما مارسوه ضدّ المرأة الأفغانية لا يخرج عن هذا الإطار، وقد أدرك

---

[1] - الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك : حدّ الزّنا في الفقه الإسلامي، تاريخ النّشر:26-09-2017م، د س، تاريخ المشاهدة : 20-04-2022م، السّاعة : 13:00، https://www.alukah.net/sharia

[2] - الرّواية : ص178

[3] - الرّواية : ص214

[4] - سورة البقرة : الآية 96

[5] - https://ar.wikipedia.org/wiki الاغتصاب في أفغانستان.

[6] -https://ar.wikipedia.org/wiki، الاغتصاب في أفغانستان

[7] - الرّواية : ص18

عتيق شوكت ظلم هذه الحركة، حين عوقبت زنيرة دون أن تتعمّد قتل زوجها، رغم كونه كان دائما ينفّذ أوامرهم دون مناقشة، حتّى لو بين الرّاوي ازدراء الكاتب لتلك الأعمال الشّنيعة **كرؤية أيديولوجيّة**، ويظهر ذلك حين غضب من قاسم عبد الجبّار حين طلب منه التّوسط لإخراج زنيرة، " فليس قاسم إلا شخصا حلفا لا يملك قلبا أكثر من هراوة، ولا شفقة أكثر من حيّة، سيرمون جميعهم في قاع جهنّم"[1]، باعتراف شخصية داخل الرّواية نفسها، لأنّ جهنّم التي يدّعي الملّا بشير في قوله : " إنّها ستكون مصير كلّ من يخطئ، وأنّ الله هو الذي يدير لها ظهره، لا حقّ لها في رحمته، ولا في شفقة المؤمنين، عاشت الخزي، وستموت في الخزي"[2]، هي نفسها التي رأى عتيق شوكت أنّها ستكون مصير هذه الحركة، رغم أنّه في الرواية بدا أنّه من حرّاسها ورجاله.

وممكن أنّ للكاتب **رؤية أيديولوجية دينية** خاصة من وراء حديثه عن حركة طالبان في الأراضي الأفغانية، وعن طريقة تنفيذها للشّريعة الإسلامية أو دعوتها لها، وهي إنكار ورفض هذه الأعمال والتّنديد بها، وهذه الرّؤية يمكن إسقاطها على الجزائر عهد العشرية السّوداء، سنوات الجمر، فكلّ الأوصاف التي جاءت في الخطاب الرّوائيّ، من خلال الحديث عن حركة طالبان وأعمالها الإجرامية، باسم الدين الإسلاميّ، تشبه إلى حدّ بعيد ما حدث في الجزائر وما فعلته حركة الإنقاذ الإسلامية في الشّعب الجزائريّ، فقد تكون القضية الأفغانية هي قناع لأفكار الكاتب للتّعبير عن أوضاع المجتمع الجزائريّ خلال العشرية السّوداء بجرأة أكبر، ودون خوف من هذه الحركة، وتبقى هذه مجرّد قراءة.

إنّ حركة طالبان وقضاتها حكموا بشكل مطلق؛ بأن الله لن يغفر للمخطئ، وأنّ مصيره جهنّم ونسوا أنّ الله واسع المغفرة، يغفر لعباده أيّ ذنب مهما عظم، إذا استغفروه وتابوا إليه، قال الله تعالى :"نبئ عبادي أنّي أنا الغفور الرحيم"[3]، وقال تعالى أيضا : "قل يا عبادي الذين أسرفوا أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذّنوب جميعا إنّه هو الغفور الرّحيم "[4]

فزنيرة لم تتخلّ عن إيمانها بربّها، وكانت ترى دائما بأنها جديرة برحمته، وحتى حين ضعفت وأخطأت في حقّ زوجها، تابت وتضرّعت لله في صلواتها، ثم نجت من العقوبة المجحفة برحمة من الله.

و لم تكن مشكلة زنيرة الشّادور رغم أنّ الرّاوي بالغ في لغة الوصف وأنقص من قيمة الحجاب، لكن المشكلة تكمن في الغصب -كما رأينا من قبل- على فعل شيء دون دعوة إليه بالحسنى، وهذا ما يؤدّي إلى التّنفير منه كرؤية دينيّة، و دعاة المسلمين حقّا أدركوا ذلك فراحوا ينوّعون في طرق دعواهم، ويحبّبون في الإسلام كوسيلة لنشر الدّعوة الإسلامية في عصر مملوء بالفواحش والفواسق ومغريات الحياة الدّنيا، والله تعالى حين حرّم الخمر حرّمه بالتّدريج....، وليست المشكلة أيضا في تعليم القرآن، وفي وجود الزّوايا وكثرتها ولكن المشكلة في توظيفها في الطّريق الخطأ، وتعبئة رؤوس الأطفال والشّباب بالأفكار الخاطئة، وتنشئة جيل متوحّش، لم يرحم

[1] - الرّواية : ص163
[2] - الرّواية : ص19
[3] - سورة الحجر : الآية 49.
[4] - سورة : الزمر الآية 53.

حتّى الكلاب، فرجمها هي الأخرى بالحجارة، "فلم تكن المدارس القرآنية العديدة التي تنبت مثل الفطريات، عند زاوية كل زقاق، تستوعب عددهم الهائل الذي يتكاثر يوميا، وهكذا يكون خطرهم، ولا أحد يبالي في كابول "[1]

فالمفروض أنّ الزّوايا القرآنية تهدف إلى حفظ القرآن الكريم، ونشر تعاليمه السّمحة، لا لاستغلاله لأمور أيديولوجيّة، سياسية أو شخصيّة، كما فعل قاسم الذي جعل من تنفيذ حكم الاغتيال الجماعي الأخير في الرّواية وسيلة للترقية، والتباهي للوصول إلى مراتب عليا في البلاد والسّلطة .

3- الرّؤية السّياسية :

عاش المجتمع الأفغاني اضطرابا رهيبا على كافة الأصعدة، كغيره من المجتمعات المضطهدة في العالم، وقد كان وراء دماره أسباب خارجية : كالحرب والاستعمار بداية بالغزو السّوفيتي ثم التّدخل الأمريكي إلى جانب الأسباب الدّاخلية المتمثلة في تصدع السّلطة وعنف حركة طالبان، والصّراع حول السّلطة واستغلال الدّين للتّحكم في مصير الشّعوب، وفرض السّيطرة ، وهذا ما خلق فوضى لم تنته إلى يومنا هذا، فمدينة كابول تعرّضت إلى أكبر حرب مأساوية على الإطلاق منذ أن "تلبّدت السّماء الأفغانية بالكواسر المدرعة"[2]، إذ أزهقت الكثير من الأرواح وقد "ساعدت الولايات المتّحدة الأمريكية على إطالة أمد الصّراع السّوفييتي الأفغاني، للقضاء على قوّة الاتحاد السّوفييتي الدولية، بدعم من فصائل المقاومة الأفغانية، ماديا ومعنويا وعسكريا بتقديم أحدث الأسلحة التّكنولوجية الحديثة إليهم"[3]

ففي الحقيقة هذا الصّراع السّياسي استمرّ بتدعيم من الولايات المتّحدة الأمريكية، وكان غير مباشر بين الاتحاد السّوفييتي والولايات المتّحدة الأمريكية، ضمن ما يسمى بالحرب الباردة، وضحيته هو الشّعب الأفغاني والمرأة خاصة.

والروائي ياسمينة خضرا تحدّث عن هذه الحرب، وآثارها المختلفة، ويظهر في الرّواية من خلال حديث محسن رمات، الذي يحمّل الغزو السّوفياتي، ما آلت إليه مدينة كابول من اضطراب سياسيّ؛ فرّق بين أبناء الأمّة الواحدة، وتسبّب في زيادة اشتعال الحرب القائمة بين السّلطة الحاكمة، التي كانت صديقة الاتحاد السّوفيتي، حتّى قبل حادثة الغزو، وبين المقاومة المعارضة للسّلطة التي كان أغلبها من العناصر الإسلامية، فمنذ التّدفق الرّوسي بجيشه العرمرم، لم تعرف كابول الرّاحة، حتّى بعد خروجه إذ تولّى العهد الذي مضى، أين كانت كابول تنافس سمرقند وبغداد، على حدّ قول نزيح، ولا فرق بين الاتحاد السّوفيتي والسّلطة العميلة له، وبين المقاومة التي أغلب عناصرها من الحركة الإسلامية، والتي أصبحت تسمّى فيما بعد بحركة طالبان والتي

[1] - الرّواية : ص87

[2] - الرّواية : ص 17

[3] - ميادة عبد الله محمد عبد الله الحلو: الاحتلال السوفييتي لأفغانستان(1979م-1989م)، ص 213.

وقعت في فخّ الولايات المتحدة الأمريكية، التي دعمتها بالأسلحة لمجموعة من الأسباب والتي من بينها مواجهة الاتحاد السوفياتي من جهة، ومن ثمّ مواجهة السلّطة الأفغانية أي أبناء الوطن، وافتعال حرب أهلية، ثم تشويه صورة الإسلام بعدها، بعد أن دعّمت هذه الحركة الإسلامية المتطرفة لتصل إلى الحكم، لكن حين انقلب السّحر على ساحره بعد أحداث 11 سبتمبر، تدخّلت الولايات المتحدة الأمريكية، وجميعهم استعملوا العنف سواء أبناؤها أو أعداؤها من الغرب، " فالأسلحة نفسها التي تنتقل بين الأشخاص، لقد عشنا دائما بهذه الطريقة"[1]

وفي الرواية ارتبط حديث الرّاوي عن الآخر الغربي بداية بشخصية محسن رمات، الذي وإن كان عمره عشر سنوات أيام الغزو السّوفيتي، ولم يكن يعي الكثير، لكنّه فهم أنّ سعادته أيامها كانت كاملة، "ففي السّنوات المضيئة، كانت كابول هادئة وأنت تجول في الشّوارع، رغم عدم عرض المحلاّت لأشياء ثمينة، لكن لا أحد يأتي ليسوّط وجهك بالكرباج"[2]، ففي الحقيقة أصبح كل من يحكم يسوّط لا فرق بينهم، وقد أصبحت" الحرب فظاعة فائقة ومنها، يستمدّ أطفالها القساوة التي تلف قلوبهم"[3]، ومنذ الغزو السّوفييتي" كابول لم تعد تنجح في شيء، لا في الأفراح ولا في الأتراح"[4]، وبهذا كان الغزو نقطة انعطاف في المسار التّاريخي والسّياسيّ والاجتماعيّ لمدينة كابول، حسب رؤية الكاتب في الرّواية.

إنّها قضية معقّدة جدّا فمن جهة الاتحاد السّوفييتي الذي يدعو في شعاراته إلى العدالة الاجتماعية ويواجه البرجوازية المادية حسب مبادئ الاشتراكية، ومن جهة أخرى تدخّله في أفغانستان سبّب الكثير من الآثار السّلبية على كافه الأصعدة، حتى أنّ غزوه كان "يوحي بنهاية العالم"[5]، ورغم قوّته إلّا أنّ مقاومة الشّعب الأفغانيّ والجماعات الإسلامية، كمقاومة شعبيّة، إلى جانب الطّبيعة القاسية وعوامل أخرى، ساهمت في إنهاء هذا الغزو.

" فلا أحد من الروس القذرة سيغامرون خارج معسكره، تحت تلك الشمس اللاهبة"[6]

وما بقي من هذه الحكايات بعض أقوال النّاجين من الحرب و التي" تكاد تتحوّل إلى خرافات حقيقية من كثرة التّكرار والتّغيير حسب الظّروف والأمزجة"[7]، وتمثّلها شخصيات "معطوبي الحرب "الذين عانوا كثيرا من الطّائرات المروحية التي كانت تتربّص بهم في الجبال الصخرية، وقد قال رجل من معطوبي الحرب:" كانت مدفعيته المدعمة تمطرنا ليل نهار، لا وقت لنا لأخذ قسط من النوم، حيث كنا في حالة يرثى لها"[8]، وقد كانوا يتبادلون الحكايات حول أفعالهم البطوليّة، ويتعاطون أفاويق الأنباء، " فلكلّ واحد منهم ساق أو ذراع مبتورة"[9]

---

[1] - الرّواية : ص30
[2] - الرّواية : ص15
[3] - الرّواية : ص176
[4]- الرّواية : ص172
[5] - الرّواية: ص17
[6] - الرّواية : ص51
[7] - الرّواية : ص53
[8] - الرّواية : ص83
[9] - الرّواية : ص47

هذه هي الحرب حين تعثر على وطن، ورغم أضرارها الجسيمة إلّا أنّها جعلتهم يتضامنون بينهم، فعند احتلال الرّوس للبلاد، التحق عتيق ومرزا شاه بالجبهة، و"لم يخفيا شيئا عن بعضها البعض...لأنّ المغامرين لا ذاكرة لهم"[1]

لكن بعد انسحاب القوّات السّوفييتية " لم يعد الأمر ممكنا اليوم"[2]، لقد غيّرت الأهداف السّياسية للمقاومة التي قادتها الحركات الإسلامية في أفغانستان والتي أرادت أن تسيطر على البلاد لتصل إلى الحكم، وتبعد السّلطة الحاكمة وتواجه الغرب في نفس الوقت خاصة بعد التّدخل الأمريكيّ.

فالرواية تبين ملامح العنف السّياسي والاجتماعيّ على وجه الخصوص، "والملاحظ في المجتمعات الحديثة، أنّ العنف أصبح ظاهرة لصيقة بالحركات والتّنظيمات ذات الأيديولوجيات والأفكار المتطرّفة، والتي تستمدّ مصادرها ومرجعياتها وسلوكياتها ونزاعاتها من مصادر ثقافية وسياسية"[3]، وكلّ هذا انعكس على استقرار البلاد وحتّى على العلاقات الاجتماعية، والرّواية صوّرت لنا هذه الأبعاد من خلال شخصياتها، إذ غابت الثّقة بينهم، لم يعد باستطاعة أيّ أحد أن يعبّر عما يدور في ذهنه بثقة، وهذا ما يظهر استبداد حركة طالبان، والخوف الشّديد منها، فعتيق شوكت لم يعد باستطاعته حتّى أن يعبّر عن أفكاره بحرّية، لصديقه المقرّب، فحين رأى مرزا شاه صديقه عتيق مهموما، شارد البال، قال له : " قلت مع نفسي أن عتيق إما أنّه بدأ يفقد عقله أم أنّه يخطط لانقلاب عسكري خطير "[4].

فقد ذكر مرزا احتمالين قد يكونان سببا لحالة صديقه المقرّب، إمّا الجنون وإمّا كرهه من حكم طالبان وتعسّفاته، ممّا يفضي إلى الانقلاب العسكريّ، وسياسة الرّفض ومن ثمّ الدّعوة إلى التّغيير، أي أنّ مرزا يدرك ضمنيا بأنّ الوضع المزري الذي تعيشه كابول لابدّ أن يتغيّر، قد يؤدّي إلى الجنون أو الانقلاب، وقد قلّل وصول طالبان إلى السّلطة من حماسه الفيّاض، وذلك لخوفه منهم، لكن مع ذلك وللحفاظ على امتيازاته، كان يقدّم الهدايا لهم، ويتطوّع في بعض الأحيان بالحافلات، ووصل به الأمر إلى " الوقوف ضدّ رفاقه القدامى في السّلاح، ونجح في الحفاظ على امتيازاته "[5]

فمن جهة حزّ في نفسه أنّ رفيقه في الجهاد، تغيّر وغابت الثّقة بينهما، ومن جهة أخرى لبس قناع الخضوع لحكم طالبان، وساهم في وصولهم إلى السّلطة خوفا منهم، ومن افتضاح أعماله واستثماراته الموازية، كالتّهريب والمخدّرات، وكلام مرزا عن الانقلاب العسكريّ، قوبل برفض كبير من طرف عتيق، في بلد حتّى الضّحك فيه ممنوع، فقال له عتيق : " احذر ممّا تقول، يمكن أن يؤخذ كلامك مأخذ الجدّ ....أنت تعرف أنّ هذا النوّع من المزاح لا مجال له من الإعراب في كابول"[6].

---

[1] - الرّواية : ص30

[2] - الرّواية : ص30

[3] - سمية بادود : أيديولوجيات العنف عند الحركات الإسلامية(حركة طالبان- باكستان أنموذجا)، دفاتر السّياسة والقانون، المجلّد14،ا لعدد 01، سنة 2022م، كلية العلوم السّياسية، المجلّد والعلاقات الدّولية، جامعة الجزائر3، ص433 .

[4] -- الرّواية : ص 29

[5] - الرّواية : ص28

[6] - الرّواية : ص29

وهذا ما يوحي بأيديولوجيا العنف السّياسية وسياسة التّرهيب التي اعتمدتها حركة طالبان على الشّعب الأفغانيّ، فلا أحد يستطيع أن يجرؤ فيعبّر عن رفضه أو اعتراضه، " ستوجد فزّاعة برائحتها النّتنة، مدجّجة، بالسّلاح لكي تعيدنا إلى الأمر الواقع، وتمنعنا من الجهر بالحديث إلى بعضنا البعض في الهواء الطّلق"[1].

فمن تكون الفزاعة في الرواية من خلال الخطاب الروائي؟

صورة طالبان في الرّواية تتجلّى في شكل الفزّاعة المخيفة، برائحتها الكريهة، وهذا دلالة على الرّفض النفسيّ، الذي لم ترافقه محاولات لتغييره، ووضع الحدّ له، فزنيرة وإن لم يعجبها موقف منعها من الضّحك أو الحديث مع زوجها في الشّارع لم تستطع أن تقول شيئا لحراس طالبان، رغم أنّ شرطيا سوّطها ومنعها من الحديث، لكنّها أخفت غضبها وسخطها خوفا من غضب حراس طالبان.

هذه صورة أخرى لحجم العنف المسلّط على الشّعب الأفغاني من طرف هذه الحركة، والتي تظهر أيضا في قول محسن رمات : " استغلّ الطالبان لحظة ضبابية كي يعطوا ضربة مرعبة للمغلوبين، ولكنّها ليست الضّربة القاضية، ومن واجبنا أن نقنع أنفسنا بهذه الحقيقة، بعدم الاكتراث باستبدادهم"[2] ، فمحسن أدرك استبداد طالبان، لكنّه أيضا لم يجرؤ على أن يدافع عن زوجته.

لقد كان يأمل في نفسه أن يعود زمن السّعادة الكاملة، ولذلك اقترح على زنيرة تلك النّزهة المشؤومة، والتي راح ضحيّتها، إذ لم يستطع الوقوف في وجه حرّاس طالبان، " لأنهم أسياد المدينة ويفرضون قانونهم، يملكون حقّ الحياة والموت على الجميع "[3]

فكلّ من يخرج عن هذه الحركة يقتل، فهل يوجد استبداد أكثر من هذا ؟

إنّ الحياة والموت بيد الله تعالى وإن حكموا البلاد فليس من حقّهم ممارسة العنف والقتل، حسب المزاج، والله وحده من بيده الموت والحياة كبعد دينيّ، قال الله تعالى:" هو يحيي ويميت وإليه ترجعون "[4]، ومن نتائج هذا الاستبداد أيضا حسب ما يظهر في بنية الخطاب الرّوائي لرواية سنونوات كابول؛ هي سلسلة الاغتيالات العمومية، في بلد الأخطاء التي لا ندم وراءها، ليس العفو أو تنفيذ حكم إعدام نتيجة مداولة القضاة، إنمّا تعبير عن تغيير مفاجئ للمزاج "[5]، كما أصبح الحكم بالإعدام بطرق مختلفة كالذّبح والشّنق والرّمي بالرّصاص وغيرها من الطّرق البدائية، على حدّ تعبير زنيرة، وذلك لأهداف أيديولوجية غير التي تبدو في شعاراتهم وخطبهم الدّينية الرنانة، فقاسم عبد الجبار كان يهدف من خلال الاغتيالات الجماعية التي حضرها مسؤولون كبار إلى التقرب منهم، ليترقى على رأس أكبر سجن في البلد، **فهل اغتيال إنسان ولو كان مجرما، والاحتفال بذلك كأنه نصر لدين الله وتنفيذ لإرادته هو فعلا ما تدعو له الشّريعة الإسلامية؟**

---

[1] - الرّواية : ص81

[2] - الرّواية : ص82

[3] - الرّواية : ص132

[4] – سورة يونس : الآية 56

[5] -- الرّواية : ص178

أراد الراوي من خلال شخصياته وأقوالها وأوصافها، أن يبيّن من خلال رؤيته الأيديولوجية الخاصة التناقض بين الظاهر والمضمر، فيما تدعو إليه هذه الحركة من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية فزنيرة كما وصفها والتي حكم عليها القضاة رميا بالرصاص لم تدافع عن نفسها ولم يسمح لها بذلك، أليس هذا من باب التّعسّف والاستبداد في حق المرأة؟، "إنه العبث بعينه"[1]

لقد أدرك هنا عتيق شوكت حجم استبدادهم وحقيقتهم في قوله:" كيف يمكن للمرء أن يقبل الموت فقط لأن القضاة قرّروا ذلك؟"[2]، فليست زنيرة ساحرة، يا قاسم عبد الجبّار، وإنمّا تظهر الرّواية رؤية خاصة، كيف استولت حركة طالبان على عقول أهل كابول من صغيرهم إلى كبيرهم بخطاباتها الأيديولوجية الدّينية.

فمحسن رمات ذلك المثقف، والذي اختارته زنيرة من كلّ الرّجال كزوج لها، تغيّر لم يعد كما كان، حتى هو الآخر، لم يعرف نفسه، ففي البداية أصيب محسن بالقرف في أوّل حضور لتنفيذ إعدام عمومي، "ذبح القاتل من قبل قريب للضحية"[3]، ثمّ حضر إعدام رجلين بعدها، وقد كان محسن " يكره الإعدامات العمومية "[4]، ولم تفارقه الرّؤى الكابوسية من جرّاء تلك الإعدامات، ولكن من كثرتها وسماعه للخطب الدّينية المحمّسة، لم يعد محسن يشعر، غاب ضميره، فقد " توقف محسن عن الحلم، انطفأ ضميره "[5]، وأصبح رأسه فارغا كما الجرّة، فالموت أصبح شيئا عاديا في كابول، والغريب في الأمر أنّ "النّاس في كابول، يشعرون بالقلق لفكرة تأجيل تنفيذ إعدام"[6]، وقد تعوّدوا على الأمر،" فلا يوجد شيء له أهميّة عندهم سوى الإعدامات والاغتقالات، كأن حركة طالبان قامت بتنويمهم تنويما مغناطيسيا، فنفّذوا أوامرها بدون اعتراض، بل العكس يحتفلون ويشاركون في عمليات الرّجم، فمحسن وإن تقزّزت نفسه من أعمال العنف، وأرّقته سابقا إلّا أنّها جعلته يدرك هشاشته وضعفه، ولا شيء يمكن له أن يصالحه مع قناعته السّابقة.

لقد لبس محسن جلدا آخر غير جلده حين شارك في عملية رجم امرأة فاجرة، ورغم تردده في البداية، إلا أنه بعد سماعه خطاب الملا بشير، والذي كان يهدف من ورائه الى إقناع الناس والتأثير عليهم، شارك هو الآخر ودون أن يشعر في عملية الرّجم، جمع محسن ثلاثة أحجار، ورماها باتّجاه الهدف، وقد أصاب الضّحية في الرّأس عند الضّربة الثالثة، ورأى انفجار لطخة حمراء في المكان الذي مسّها فيه، وهو يشعر بابتهاج غامض، ومنذ ذلك اليوم أحس محسن بالنّدم وبعذاب الضّمير، إذ يقول : " مشيت في الشّوارع كي أتملّص من ظلّي، كي أبتعد عن فعلي الشّنيع"[7]، أيقظت الحادثة ضميره، زعزعت ثقة زنيرة به، فتغيرّت حالتهما، منذ ذلك اليوم، إذ نامت زنيرة

---

[1] - الرّواية : ص172
[2] - الرّواية : ص172
[3] - الرّواية : ص5
[4] - الرّواية : ص14
[5] - الرّواية : ص15
[6]- الرّواية : ص15
[7] - الرّواية : ص42

على الحصير خارج غرفتهما، وخرج محسن نحو الزّقاق وأصبح "حاله كحال محكومين عليهم بالأشغال الشّاقة، يحسّ بالتعّب النّفسيّ واليأس، أنهكه التّسكع، عبر أزقّة المدينة وأسواقها"[1].

لم يفهم محسن كيف تجرّأ على هذا الفعل الشّنيع، ماذا فعلت له خطب الملّا بشير؟، كيف أقنعه خطابه الدّيني؟

وقد شكّ حتّى في نفسه، وهل هو الرّجل الذي أحبّته؟، ماذا فعلت به خطب الملّالي؟ " ليصرخ مع الغوغاء فقط لأنّهم صرخوا؟"[2]، وكيف" أصبح النّاس في كابول يشعرون بالقلق لفكرة تأجيل تنفيذ إعدام"[3]، لقد أضحى الموت عندهم أمرا عاديا، فلا يوجد شيء لديه أهمية عندهم سوى الإعدامات، أين يبتهجون ويصرخون ويحتفلون، **هل لأنّهم فعلا يؤمنون بما يدعو إليه الملاّلي؟ أم أنّ احتفالهم نوع من التّنفيس عن النّفس والصّراخ من الأعماق والفرح والابتهاج، والذي أصبح ممنوعا في عهد حكم طالبان؟**، فكلّ من خرج عن لوائهم مصيره الموت، لأنهم أسياد المدينة.

يبدو أنّه بدأ يملّ و ينزعج عند رؤيته لمنظر الرّجم، **فهل معناه لم يكن راض عنهم؟، فلم شارك فيه؟، أكان مضطرا ليعمل سجّانا؟**، وهو الذي يرى أنّ هذه المهمة "بلا أفضال و نبل"، فكلّما يجلس في السّجن ليحرس المحكومين عليهم بالإعدام، لسلّمهم للجلّادين في النّهار، يشعر "بأنه يدفن نفسه حيّا "[4].

لقد بدأ عتيق يشكّ في وعود الملّالي، ولم يعد لحياته معنى بعد مرض زوجته خاصة، لم يظهر ما يجول في ذهنه وما أزعجه كاستبداد طالبان رغم انزعاجه لمنظر الرّجم، لكنّه أحيانا هو الآخر يتصرّف مثلهم وقد تأثّر بعنفهم فحين تأخّر عن عمله استعمل الكرباج، " يمشي ويضرب النّاس كي يفرّق الأمواج البشرية"[5]، ليصل إلى عمله، فمرّة "أزعجه الصّراخ والهرج والمرج، فالتقط حجارة ورماها على أقرب طفل"[6]، فأيديولوجيا العنف سيطرت على عقول أهل كابول هكذا تظهر رؤية الكاتب من خلال عرضه للشخصيات.

فأعداء كابول أيضا أبناؤها اليوم كما قال نزيح، ولم يكن عتيق شوكت قاسيا، مستبدّا من قبل، لقد تعب من الدّوران بلا هدف، " لم يفهم كيف صمد مدّة عشرين سنة متتالية للكمائن والتّفجيرات والقضائف النازلة من السّماء التي تسحق عشرات الأجساد حوله لا ينجو منها الأطفال ولا النساء"[7]

ولم يجد ما يفعل حتّى اهتزّت به الدّنيا، حين رجع نبض قلبه، الذي كان يحسّ أنه تجمّد وتشنّج مع ركبتيه الباردتين وسط ركام الزّمن، هذا الشّعور الذي جعله "يعود للحياة من جديد"[8]ليدرك حقيقة الأمور بشكل جيّد.

---

[1] - الرّواية : ص37
[2] - الرّواية : ص42
[3] - الرّواية : ص15
[4] - الرّواية : ص22
[5] - الرّواية : ص22
[6] - الرّواية : ص22
[7] - الرّواية : ص55
[8] -ينظر : الرّواية : ص171

إنه شعور الحبّ الممنوع في كابول "ولا أحد يملك حقّ إفساد أروع ما يحدث لكائن بشري"[1]، حسب تعبير مسرة، لكن هذه الحرب فظيعة جدّا وأيّ تصرّف أحمق ستكون نهايته مأساوية ،كما فعلوا بسجنائهم، حتى مسرة، رغم تفهمها لمشاعر زوجها وتشجيعها له، لكنّها مع ذلك أبدت خوفها عليه من حرّاس طالبان، وأمّا عتيق، فقد فهم خطرهم هذه المرّة بشكل واضح، فهم استبدادهم، وممكن أن **رؤية الروائي** من حدث تعلّق عتيق السجان بزنيرة المحكوم عليها ليبين مبدأ **"ما يحس بالجمرة غير لي كواتو"** فحين مسّه الضرّ، أصيب بالخبل، وكفر بكلّ شيء ولم يعد هناك فرق بينه وبين نزيح، ذلك المفتي الذي تدهورت صحته العقلية، لكنّه كان يأمل دائما "أن يغادر المدينة دون شكر ولا توديع، وأن يسلك أوّل طريق يصادفه أمامه، ويمشي إلى غايه البحر"[2]

وذلك لأنّه أيضا أدرك بشاعة عنفهم، وملّ خطاباتهم وشعاراتهم **الأيديولوجية**، والتي تحمل نوايا خفية، تحمل الشرّ لأهل كابول، وتجلب المزيد من الجروح الدّامية، فنزيح " لم يعد يرغب في سماع حديث عن المعركة والحصار والسّيف أو البندقية، لقد قرّر أن يدير ظهره للغط الأسلحة، ويختلي بنفسه في الشّواطئ الموحشة، ورؤية البحر عن قرب"[3]، فما يفعل له البحر؟، **أليشكو له هموم المدينة النّائمة والسنونوات المشتّتة؟**

لكم يحتاج الإنسان إلى لحظة هدوء، تستقرّ فيها نفسه، يحيي فيها ضميره الذي انطفأ واستسلم لأيديولوجيا العنف السّياسية والاجتماعية، إلى لحظة يجهر فيها بأحاسيسه بحرية، يتخلّص من تعاويذ الملّا بشير، وخطاباته الأيديولوجية.

لقد نجح ياسمينة خضرا في التعبير عن **رؤيته السياسية** إزاء القضية الأفغانية بمراحلها التّاريخية المختلفة، من خلال لغه سردية موحية بدلالات عميقة، وخطابات بيّنت رفض الكاتب لأيديولوجيا العنف، الممارسة ضدّ شعب حالته تدعو إلى الشّفقة من خلال فضح أفعاله الإجرامية، والتي أثبتها التّاريخ، لكنّ الكاتب لم يركّز كثيرا على جرائم الاتحاد السّوفييتي أو الولايات المتّحدة الأمريكية، خاصة أنّ الرّواية كتبت بعد التّدخل الأمريكيّ، وهذا كحلقة مهمة جدا، تشكل سببا رئيسيا في كل ما حدث في كابول، باستثناء إشارات مقارنة، **كيف كانت كابول قبل الغزو؟، وكيف أصبحت بعده؟**، وقد أشرنا إلى ذلك سابقا، أو بعض حوارات معطوبي الحرب التي لمسنا من خلالها تذمّر عتيق شوكت من أحاديثهم، وجاء في الرّواية أنّهم" يشهرون عاهاتهم كما تشهر غنائم الحرب"[4]، وأنّهم من كثرة أحاديثهم أصبحوا يبالغون في أقوالهم، فشكّك الرّاوي بطريقة غير مباشرة في مدى صدق أحاديثهم، مع العلم أنّ ظاهرة الحديث عن الثّورة موجودة في كل بلد تعرّض للاستعمار الأجنبيّ، والجزائر-وطن الكاتب- من البلدان التي تعرّضت إلى وحشية الاستعمار الفرنسيّ، وقد نقل لنا آباؤنا وأجدادنا حكايات المجاهدين، وكلّ مرّة تعاد لنا الحكايات لا نملّ ولا نتذمّر، نحسّ بنبض جديد وفيض من الحماس، تترسّخ الرّوح الوطنية فينا، **فلم شعر عتيق**

[1] - الرّواية : ص172
[2] - الرّواية : ص17
[3] - الرّواية : ص110
[4]- الرّواية : ص66

شوكت بالضّجر من حكاياتهم؟، حتّى لو بالغوا، خاصة أنّه أيضا جرّب ويلات الحرب، لكن عتيق شوكت أصلا يشعر بالضّجر من كلّ الهموم التي تحاصره، من عمله، ومرض زوجته.

فكلّ شيء في كابول غابت عنه الحياة، أي أنّ لذّة النّصر لم يشعر بها لأنّ الحرب لم تنته بعد، وإن تغيّرت الأشخاص فالأسلحة نفسها، وصورة الآخر الغربيّ سواء الاتّحاد السّوفييتي، أو الغرب بصفة عامة، يظهرها الرّاوي على لسان شخصياته وأحاسيسها وأفكارها، وداخل الوصف والسّرد، والكلّ يتّفق أن الغزو السّوفييتي سبّب الخراب للبلاد، لعتيق، محسن، مسرّة وزنيرة ومعطوبي الحرب، وقد خصّص الملّا بشير خطبته للحديث عن الغرب، فقال" :انهار الغرب ولم يعد موجودا، فشل نموذجه الذي اقترحه للسّذّج"[1]، وقد يقصد بالسّذّج، السّلطة العميلة للسّوفييت خاصة الذين آمنوا بأفكار الاشتراكية ، كما قد يقصد بهم من آمنوا بأفكار الرأسمالية بعدها، كما ورد في خطبة الملا بشير، فمضى عهد الاتحاد السوفييتي بعد الحرب الباردة ولم تعد شعاراته تؤثر في أهل كابول، وليس الاتحاد السّوفييتي فقط، بل حتّى الولايات المتحدة الأمريكية التي هي أيضا يشملها خطاب الملّالي، بمصطلح الغرب دون أن يذكر تسميتها خاصة أنّ الرواية كتبت بعد أحداث 11 سبتمبر، والتدخّل الأمريكيّ.

فمصطلح الغرب يشمل الآخر الذي يختلف عن حركة طالبان في الدّيانة، وقد صوّر الملا بشير المجتمعات الغربية، بأنها مجتمعات غير أخلاقية تدعو إلى التّحرر، والحداثة، "يسود فيها الرّبا، واختفت فيها قيم تأنيب الضّمير والورع والصّدق، قيمها الوحيدة هي القيم المالية، حيث يتحول الأغنياء إلى طغاة والعمال إلى عبيد، استبدلت العائلة بالمؤسسة كي تعزل الأفراد، ليسهل ترويضهم، ثم طردهم، بلا أدنى محاكمة ولا حق "[2]

نعم، الدّراسات أثبتت غلبة الجانب المادي على الجانب الرّوحي، والقيم الأخلاقية في المجتمعات الغربية، لكن ألم تتحول حركة طالبان أيضا إلى طاغية هي الأخرى؟، ألم يكن حكمها مستبدّا يعلو فيه صوت الكرباج؟، ألم تثر السّخط والاشمئزاز؟، وحوّلت حياة كابول إلى حياة بدائية قوامها التّهميش والعنف ...

وقد كان الملّا بشير، وهو يتحدّث عن الغرب ينفي عن أسياد البلاد هذه الأمور في قوله: " لا أيّها المؤمنون، لا نشيد القصور على الأخاسيف"[3]، والملا بشير يعلم حجم معاناة الشعب من الغزو، فأراد أن يستغل ذلك فيظهر أنّه يشاركهم الألم وكره الغرب ، ليزيد من حماسهم ومن تقربهم إليه، والتفافهم حوله، خاصة أنّ التّاريخ هو الآخر يشهد بدور حركة طالبان ورجالها، سواء قبل تأسيسها رسميا أو بعدها، في مواجهة التّدفق السّوفييتي أو الولايات المتّحدة الأمريكية، وهذا قبل أن تظهر نواياها الحقيقية وتسيطر على كابول وتفرض قوانينها.

وصعب أن نخرج هنا رؤية الكاتب الأيديولوجية، حول صورة الآخر الغربيّ، فمن جهة كلّ شخصياته تكره الغزو السّوفيتي، والغرب وتحمله أوزار ما حلّ بالبلاد، وهذا ما يوحي بموقف

---

[1] - الرّواية : ص100

[2] - الرّواية : ص100

[3] - الرّواية : ص100

الكاتب الرّافض للاستعمار، ومن جهة أخرى صورة الغرب التي أبرزها من خلال شخصية الملّا بشير المتطرفة تبدو أنهّا غير مؤهلة في الرّواية لتحمل خطابا أيديولوجيا عن الآخر أو توصل رسالة للغرب، وهي أصلا تنهى عن خلق تفعله، في حياة قوامها التّهميش والإفقار والبؤس والإذلال، كما قال الملّا بشير -حين تحدث عن الغرب- **فما الفرق بينهما؟ ألا يحمل هذا بعدا أيديولوجيا آخر للكاتب، ينقص من حجم صورة الغرب وبشاعته؟**، والتي صوّرها الغول كما وصفته الرّواية.

وتبقى مجرد قراءة فلو أراد الرّاوي تشويه صورة الغرب وفضحها لما كانت هذه الصّورة بتعبير من يحمل الصّورة نفسها أيضا، بكل أبعادها وأحيانا نحسّ أنّه جعلها أكثر بشاعة، **أليس هذا من باب التناقض؟**، حتّى وإن احتملنا أنّ الرّاوي كسر أفق انتظار القارئ، الذي اعتاد أن تكون صورة الآخر الغربي السّيّئة بلسان أبناء الوطن النّزهاء، الذين لا يضمرون شرّا للبلاد أو يهدفون إلى السّيطرة عليها أو أذية شعبها.

مع ذلك لم نفهم كيف **تشكر السّفارة الأمريكية الكاتب الجزائري محمد ملسهول المعروف باسمه المستعار ياسمينة خضرا؟، وكيف تحول روايته الاعتداء إلى فيلم أمريكي من قبل شركة الترفيه الأمريكية؟**، كما صنفت رواية سنونوات كابول كأفضل الكتب، وحولت هي الأخرى إلى فيلم كرتوني فرنسي، فكيف يقدّر الغرب من وصف المجتمعات الغربية بالمجتمعات اللّاأخلاقية، هل لكونه تحدّث عن الغزو السّوفييتي بالسّوء من منطلق " **عدو عدوي صديقي**" أم أنّ أقوال زنيرة عن الشّادور والحجاب ووصفها حركة طالبان الإسلامية بأبشع الصّور التي أساءت إلى الإسلام أعجبت الغرب الكفّار، واعتبروها ردّا على أحداث 11 سبتمبر وتشويها لصورة الإسلام، والتي نعلم يقينا أنّ هذه الحركة لا تمدّ للإسلام بصلة، رغم أنّه خلال الغزو السّوفييتي كانت الولايات المتّحدة الأمريكية نفسها تدعّمها ضدّ الاتحاد السّوفييتي ضمن ما يسمّى بالحرب الباردة، لكن حين انقلب السّحر على ساحره تغيرت النظرة وأرادت أن تشوّهها.

وتبقى مجرّد رؤى تعبّر هي الأخرى عن أيديولوجيتها الخاصة، والتي لا تثق في الغرب، ولا في شعاراته ولا في مكافآته، فما دام الغرب ونخصّ بالذّكر أمريكا وفرنسا تقبّل العمل بصدر رحب، وكافأ منتجه فالأمر مشكوك فيه، فلم لم يكافئ الغرب مفدي زكريا، حين فضح فرنسا وأعمالها الإجرامية؟، أو سميح القاسم...؟ وقس على ذلك، ثم إنّ حديث الكاتب عن الاتحاد السّوفييتي وتبيين بعض جرائمه وتناقضاته قد نفهم منه **رؤية سياسية مضمرة مرتبطة بالنّظام الاشتراكيّ والتّطرف الدّيني** المرتبط بالجماعات الإسلامية في العشرية السّوداء الذي ساد في **الجزائر**.....

وتبقى القراءة مفتوحة فكلّ جملة بل كلّ كلمة في الخطاب الرّوائي مشحونة بأيديلوجيات مختلفة منها المتعلقة بالنصّ ذاته وبنيته الفنّيّة الدّاخلية أو سياقها الخارجيّ ومنها المتعلق بالكاتب وحياته وأكثر من ذلك فللقارئ أيضا زاوية نظر يلملم فيها **الرؤى السياسية** المختلفة فيظهر رؤاه هو الآخر، ويأتي قارئ آخر فيكشف زاوية نظر أخرى بين ثنايا النّصّ.

4-الرؤية الاجتماعية والثقافية :

يعتبر" النصّ الأدبي بنية إبداعية تفرزها بيئة اجتماعية, لأن كلّ الأجناس الإبداعية هي محصّلة لرؤية عالم متولدّة عن واقع سوسيوثقافي مهيمن على مفاصل مقومات المجتمع "[1]، فالكتابة الأدبية والعمل الرّوائي خاصة لا يمكن قراءتها بمعزل عن التطورات الاجتماعية والاقتصادية، "والعمل الأدبي أيّا كان نوعه، فلا بدّ له من فكرة، أفكار جوهرية ينطلق منها، فينتمي إلى الفلسفي أو الاجتماعي أو العقائدي أو السّياسي أو الإنساني عموما "[2]

وهذه الأفكار تمثل **أيديولوجية الكاتب والرّواية معا** المختلفة التي يحتويها العمل الرّوائي ضمنيا داخل الخطاب السّردي، سواء في لغة الحوار أو وصف الشّخصيات وعبر الأحداث المختلفة، وصعب أن نفصل بينها، **فرؤية الكاتب الاجتماعية متداخلة مع الرؤية السياسية أو الدينية أو الثقافية** ، ومع ذلك فالرّوائي ياسمينة خضرا.في روايته سنونوات كابول أظهر بعض الظّواهر الاجتماعية في المجتمع الأفغاني ومدينة كابول خاصة وأهمّها معاناة المرأة الأفغانية والمجسدة في شخصيتي زنيرة ومسرة خاصة وتظهر رؤية المجتمع الأفغاني للمرأة في بعض أقوال مرزا شاه لصديقه عتيق شوكت في قوله : " هل يوجد سخاء أكبر بالنسبة لامرأة تمنح لها سقفا حماية شرفا واسما. "[3]

فهل هذا ما تحتاجه المرأة من الرجل فعلا؟، نعتقد أنّ الكاتب طرح هذه الرؤية الاجتماعية ليبيّن مدى التعسّف المفروض على المرأة في مجتمع ينسى فضل المرأة، التي ولدته لحدّ أن مرزاشاه لا يرى من المرأة" سوى مرؤوسة، زيادة على أنّه لا ينبغي لرجل أن يكون مدينا لامرأة في أيّ شيء"[4] و هو موقف متحامل ومتجاهل لدور المرأة مهمّش لها يرى فيها شرّا مطلقا على حدّ قول ميرزا، " كلّما اعتقدت أنّك روّضتها قلّت حظوظك في تجاوز شرورها، لن تحصن نفسك ضدّ سمومهنّ حتّى وإن ربّيت عقربا في حضنك ."[5]

فالمرأة في المجتمع الأفغاني لا دور لها ولا عمل لها سوى إنجاب الأولاد كأنّها شيء مملوك أو آلة منتجة، وبدون صوت وإن لم تقم بدورها لأيّ سبب من الأسباب، طلّقت واستبدلت بأخرى قويّة البنية بكرا، تجيد السّكوت هكذا يفكّر المجتمع الأفغاني، وقد سلّط الرّوائي الضّوء على التّعسف الذي سلّط على المرأة ليس فقط من حركة طالبان، ولكن من تفكير أهلها أيضا، فسائق قاسم عبد الجبّار اعترف أنّه تزوّج "زواجه الثالث في أقلّ من سنة في قوله : "كانت زوجتاي الأوليان غير خاضعتين، لم تكونا حبوبتين، وتطرحان أسئلة كثيرة"[6]، وهذا دليل على قمع المرأة واضطهادها ومنعها حتّى من طرح الأسئلة، ورغبة الرّجل في تملكها، كأنّها لعبة بين يديه،

---

[1]- د-كواري مبروك : القمع والسرد, غرابة السرد وسخرية الواقع في رواية سنونوات كابول, ص55

[2] - محمد الضبع : الرواية الجديدة قراءة في المشهد العربي المعاصر، ص19.

[3] - الرّواية : ص32

[4] الرواية :- ص33

[5] - الرّواية : ص43

[6] - الرّواية : ص115

تخضع لإرادته يروّضها كما يريد، وأحيانا يتلذّذ برجمها، ويسعد لألمها وقد روي عن" المقدام بن معد يكرب الكندي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله يوصيكم بالنساء خيرا، إن الله يوصيكم بالنساء خيرا، فآنهن أمهاتكم وبناتكم وخالاتكم"[1]

فيجب أن نفهم الدّين بشكل جيّد، هكذا أراد أن يخبرنا الرّوائي ياسمينة خضرا، فالدّين الإسلامي الذي تسعى حركة طالبان في الظّاهر إلى إقامته، حفظ المرأة وكرّمها وأنكر العادات الجاهلية التي تضطهد المرأة، وأعطاها حقوقها، كاختيار الزّوج حيث لها الحقّ في القبول أو الرّفض، وحين تتزوّج لا ينبغي أن تقبّل أصابع قدمي الرّجل كلّما نزع نعليه، كما قال ميرزا شاه، هذه الشّخصية التي وصفت المرأة بأبشع الصّور ماذا لو كانت ابنته؟

ورغم كون عتيق شوكت لم يستمع لنصيحة صديقه ميرزا إذ لم يطلق زوجته المريضة، إلّا أنّ في نفسه أيضا غضبا شديدا اتجاه المرأة، يتّضح من خلال الخطاب السّردي وتدخلات الرّاوي لفضح ما يدور في نفسه، ويعجز عن التّصريح به فعتيق، "كلّما مالت أفكاره باتّجاه مسرّة يعطي ضربة قدم في الفراغ، كما لو أراد التّخلص منها "[2]، وهذا دلالة أيضا على إيمانه بأفكاره في مجتمعه الذّكوري الذي يرى أنّ المرأة مجرّد آلة أو شيء، لا يهتم مطلقا بمشاعرها فقد "لام نفسه على عدم فقص الجرح بصفة نهائية، ومصارحة زوجته بالحقائق الدّامغة، تلك الزّوجة التي ينبغي أن تحمد ربّها بكرة وأصيلا، لوضعها المفضّل مقارنة مع تلك الإناث المشوّهة التي تتيه في أزقّة كابول"[3]، أي أنّه أيضا يرى أنّه يعمل مع زوجته معروفا كبيرا، لأنّه تزوّجها وأسكنها بيته، فهي أفضل حالا من المتسوّلات" المثقلات بذريّة يقيم الذّباب وليمة حول مناخرها"[4] ، أي على مسرة أن تحمد الله حسب عتيق وميرزا وعبد الجبّار والسّائق، وغيرهم وأن تسكت ولا تزعج الرّجل ولا تناقشه، وإلّا طردت من المنزل، وطلّقت وأصبحت من المتسوّلات في مجتمع ساد فيه الفقر والجوع، بعد سلسلة الحروب التي أنزفته، **هل لكون عتيق لم يعرف الحب وطعمه، أصبح قاسيا لا يفهم المرأة ولا يقدّرها أيضا مثل كابول أم لأنّ الحرب علّمته أن لا يرتبط بالأشخاص كثيرا؟.**

أراد ياسمينة خضرا أن يكشف عن هذه الرّؤية الاجتماعية من خلال إحضاره لشخصية أحيت مشاعره وجعلت منه إنسانا آخر، ليقول لنا: بأن الحب يصنع المعجزات بعد أن انفصل منذ زمن بعيد، عن مثل هذا الواقع، الذي تصور أنه ألغي تماما".[5]

لقد أيقظت زنيرة في السّجان عتيق أحاسيس رائعة في ليلة واحدة، " إنّها قدّيسة بلا شك أو جنية"[6]، فماذا حلّ بالسّجّان الذي كان يحرس سجيناته بقلب بارد، كبرودة سجنه، فكيف دخل فجأة

---

[1] - أحمد يخلف : حديث نادر جدا في حقوق النساء، أرشيف ملتقى أهل الحديث، 17-06-2017م، ساعة : 15:36م، المشاهدة : 15-04-2022م، ساعة 20:00م، https://al-maktaba.org/book/31615/8270

[2] - الرّواية : ص67

[3] - الرّواية : ص67

[4] - الرّواية : ص11

[5] - الرّواية : ص149

[6] - الرّواية : ص151

عالم الجرأة اللّذيذ، حيث تحجب الأحلام ملامحها، " لقد أصبح كأنّه طفل عاد لتوّه من فرحة لعرائس الأراجوز، تتلألأ عيناه بلمعان داخليّ."[1]

هذا الحبّ نفسه الذي شعر به والذي جعل قلبه المتحجّر السّاخط، يعود إلى الحياة من جديد، هو الممنوع في كابول. فمجرّد الشّعور به ذنب لا يغتفر، وتحمل المرأة وزره، لأنّهم يرونها ساحرة وكلبة مسعورة إن لم تروّض، فأضحت النّساء في كابول، "كالأشباح بلا صوت ولا جاذبية، تعبر الشّوارع دون أن تثير النّفوس، أسراب من السنونوات الآيلة إلى الهلاك، زرقاء أو صفراء، حائلة في الغالب، متأخّرة بمواسم عديدة، والتي تطلق صوتا كئيبا عندما تمرّ بقرب الرّجال."[2]

فلا فرق بين شادور وشادور، فعتيق الدّائم العبوس، الذي يمرّ بقرب غرفة زوجته دون أن يراها، أصبح يعبّر عن مشاعر نبيلة وكلمات سخيّة، لم تسمعها منذ عشرين سنة من زواجهم، ورغم ألم مسرّة لأنّه حرمها من ذلك الشّعور لكنّها رأت أنّه يستحق أن يحب "فعتيق الرّجل الوحيد الذي يحب "[3]، على حدّ تعبير مسرة.

هذا الشّعور الذي "يحسده عليه السّلاطين والأولياء الصّالحون "[4]، والمرفوض في بلد لا يرى المرأة إلّا حاضنة للأولاد أو مرؤوسة خادمة مطيعة، "ولا أحد يملك حقّ إفساد أروع ما يحدث لكائن بشريّ"[5]، **فهل تغفر له طالبان مشاعره وتتفهمها؟، ماذا كان يطمع عتيق؟ أن يفهمه قاسم عبد الجابر والقضاة؟، أم أنه أيضا توقع رفضهم لهذا الشعور؟**

يظهر في الرّواية أنّ عتيق شوكت وإن حاول أن يدافع عن المرأة التي هام بها عشقا لقاسم عبد الجبّار، لكنّه حين اقترحت عليه مسرة أن يهربا ويعيشا حبّهما، كان متيقنا أنّ عقاب حرّاس طالبان سيطالهما أينما ذهبا، وهذا إقرار من عتيق بأنّ المجتمع الأفغاني لا يعترف بالحبّ ولا يمنح للمرأة حرّية التّعبير عن رأيها أو الدفاع عن نفسها، كما فعلت طالبان مع زنيرة التي صدر الحكم في حقّها دون حتّى دلائل بينة، وقد استسلم عتيق لحكم طالبان كما استسلمت واعتبرته قدرها ولم تدافع عن نفسها، لكنّ المرأة التي اعتبرها مرزاشاه؛ " أنّ تفكيرها يدور في الاتجاه المعاكس لعقارب السّاعة"[6]، تلك المرأة التي اعتبرتها طالبان مجرّد مرؤوسة، خادمة وقال عنها عتيق منزعجا، بأنّها العجوز الشّمطاء، هي التي أعطت درسا في الحبّ الخالص الطّاهر، وتفهمت شعور زوجها، واعتبرت نفسها من أسباب تعاسته، وضحّت بنفسها لإحياء مبدأ الحبّ فأنقذت زنيرة وكانت آخر نظراتها هي تلك التي رمقت بها زوجها لحظة الوداع الأخير.

ومسرّة التي لم تكن تستطيع حتى السّير في منزلها، **كيف تمكنت من الذّهاب إلى عمل زوجها ؟ وكيف امتلكت تلك الجرأة ؟**

---

[1] _الرواية : ص151
[2] - الرّواية : ص(148-149)
[3] - الرّواية : ص173
[4] - الرّواية : ص171
[5] - الرّواية : ص172
[6] -الرّواية : ص33

فعلا الحبّ يصنع المعجزات، لكن في بلد لا يعترف به ولو لم يحس به عتيق شوكت، لظلّ على حاله، لا يشعر بأنّ المرأة لها شعور، وأنّها بإمكانها أن تحاوره أو تناقشه في مسائل مختلفة، والذي كان يرفضه من زوجته، وقد أورد لنا الكاتب نموذجا من زوجين تزوجا عن حب وهما محسن رمات وزنيرة، وهما من الطبقة المثقفة، ولم يتمكن حبهما من الصّمود أيضا في بلد لا يعترف به، ينبذ المرأة ولا يقدّرها لدرجة أنّ مرزاشاه "بقي حائرا من عتيق حين تحدّث عن زوجته في الشّارع".[1]

إنّ المجتمع الأفغاني قهر المرأة رفض تعليمها وعملها، وإن كان محسن رمات قد أحبّ زنيرة، التي لم تكن من أهل طالبان، وقد كانت الشّمس التي بقيت له، قال محسن لزنيرة : "بدونك ستكون ليالي أحلك من الظّلمات، وأبرد من القبور"[2]، لقد كانت زنيرة تراعي زوجها وتهتمّ به، وتخفّف عنه الوجع، رغم أنّها صدمت حين أخبرها محسن بمشاركته في عملية رجم امرأة، وخاب ظنّها لكنّها حاولت أن تقف معه، واعتبرت تصرّفه البدائي يكتسي معناه ضمن الوضع الأفغاني فقالت زنيرة له": ولكنّنا لا نزال معا يا محسن، هذا هو المهم بالنسبة إلينا، إنّنا معا ليساند بعضنا بعضا، لا نملك إلّا أنفسنا لتغذية الأمل، سيتذكرنا الله يوما".[3]

كانت ترى أن الشّيء الوحيد الجميل الذي بقي هو حبّهما لبعضهما، لكن حتّى هذا الحب وهذه العائلة المثقّفة والمهمّشة لم تصمد في وجه طالبان، حين أراد محسن أن يحيي حبهما ويعود بالزّمان للوراء ولو لحظة، تمنّى أن يمسك يد زوجته ليتجوّلا معا في شوارع كابول، ورغم تشاؤم زنيرة وعدم رغبتها في ارتداء الشّادور، لكنّها ارتدته و خرجت معه فقط لترضيه وتحوّلت نزهتهما إلى مأساة، وذلك البيت الذي زيّنه الحب إلى مكان لا يطاق، وشمس محسن غربت، كل ذلك بسبب تعسّف طالبان، وتعرّض زنيرة لل ضّرب بالسّوط، ما جعلها تعاقب-من الغضب- الشّخص الخطأ، وهو زوجها محسن فأنهيت قصّة حبهما بنهاية حزينة، فمحسن لم يستحمل ردّة فعل زنيرة وارتدائها للشّادور في المنزل، والذي أصبح يمثّل رمز القطيعة بينهما.

وهو ما جعل محسن يغضب، وهو الذي لم يجرؤ يوما على أذيتها أو حرمانها من أيّ شيء، ويظهر ذلك في قوله لزنيرة : " أحرم نفسي من المساس بك ولو من غير قصد "[4]، **فكيف تحول محسن إلى رجل آخر؟**، لدرجة أنّه تلفّظ بألفاظ مجتمعه، فقال لها : "أنا الزّوج والحاكم هنا"[5]، وهذا ما أجّج غضب زنيرة، خاصة بعد رغبته في نزع شادورها غصبا، ومسكها من الرقبة وتعنيفها، الفعل الذي جعل زنيرة لا تفرّق بينه وبين حرّاس طالبان والشّيء الذي لم تستطع أن تفعله للشرطيّ الذي سوّطها وأذلّها، أفرغته في زوجها وخرج الأمر عن السّيطرة، إذ دفعته فمات محسن، وهناك شعرت بالنّدم لكن بعد فوات الأوان.

---

[1] - ينظر الرّواية : ص31
[2] - الرّواية : ص40
[3] - الرّواية : ص40
[4] -الرّواية : ص44
[5] -الرّواية : ص136

إذا حتّى العائلة التي بنيت على الحبّ في الرّواية، لم تصمد أمام وحشية طالبان، ومن الظّواهر الاجتماعية التي رصدتها الرّواية أيضا هي : حالة الفقر المدقع والجوع الذي تعانيه كابول من جرّاء الخراب، الذي طالها من سلسلة الحروب الشرسة التي لم تنته إلى يومنا هذا، حتّى وإن تغيّر الأشخاص، فالأسلحة نفسها وقد ورد في الرّواية عبارة "في كابول إنّنا جميعا متسولون"[1]، ولم يقتصر فعل التّسول عند الرّجال، بل حتّى النساء، إذ " تشبثت بعض النّساء بالمتسوقين بمظهرهن الشّبحي، محجورات خلف الشّادور المتّسخ، بأيديهن الممدودة"[2]، وذلك لتجمعن بعض القطع النّقدية، وأحيانا حتّى المتسولات تتعرضن إلى ضربات السّوط، وهنّ "مثقالات بذرية، يقيم الذباب وليمة حول مناخرها"، وهذا ما يبيّن حجم الشّقاء والبؤس الذي طال مدينة كابول، نساءها ورجالها وأطفالها الذين يتضورون جوعا، دون أن يبالي أحد بهم مع كثرتهم وشغبهم، " فلا يتحرّكون حتّى لدفع الأطفال المتضوّرين جوعا، والذين تهيجهم رائحة الشّواء"[3]، ولعلّ هذا ما جعل عتيق شوكت، يحمد الله أنّه لم يرزق بذريّة رغم أنّه كان في السّابق يشكو من ذلك، لكنّه بعد الخراب الذي حلّ بكابول طرح عتيق تساؤلا": ما الفائدة من إثقال الكاهل بذريّة لتراها تموت جوعا أو ينتهي بها الأمر طعمة للمدافع، وسط ساحة قتال"[4]، فرؤية الرّوائي الاجتماعية تتّضح من خلال لغة الخطاب السّردي، فلا فائدة من أطفال ألغت ظروف البلاد براءتهم ألغي عهد اللّعب، فتحول الملعب إلى ساحة للإعدام تزيّنها المشانق المعلّقة.

ولّى عهد الطّائرات الورقية واللّعب بها، وانتهى بالأطفال في الشّوارع، إمّا للتسول أو وسط ساحات القتال، ومنهم من أدخلوا إلى الزّوايا، ليمسحوا براءتهم، ولتكتب حركة طالبان ما تشاء من أفكارها المسمومة، تحت ذريعة الدّين الإسلام، لقد استطاع الرّوائي أن يحلّل حالة المجتمع الأفغاني المتحلّلة من الدّاخل فكشف من خلالها تناقضات أفعال الشّخصيات وأقوالها عن حقيقة حركة طالبان المنافية لتعاليم الدّين الإسلامي، ولو أنّنا لمسنا مبالغتها-كما قلنا سابقا- في وصف الشّادور بأوصاف قبيحة، مكرّرة، لكن مع ذلك فزنيرة لم تكن تبحث عن البهرجة، وقد تربت تربية حسنة، ورغم تعلّمها إلّا أنّها لتخفف عن زوجها، قامت بمسد قدميه، لكن بإرادتها التي مصدرها الحبّ والإيمان والثقة بالله وبرحمته.

أمّا الغصب فما ولّد إلّا الانفجار وتناقض طالبان لمسناه في جميع الرّؤى الأيديولوجية، التي حاولنا أن نخرجها ونحلّلها استنادا إلى الخطاب السّردي للرّواية، فمن جهة تدعو حركة طالبان إلى القيم الإسلامية والسترة، ومن جهة أخرى لا يبالي بالمرأة، جعلها متسوّلة أو خرّب هناء بيتها.....

وشخصيات الرّواية الأربع الرّئيسية، تدرك وضع كابول الاجتماعي المزري، قال عتيق لمسرة": لقد شغلتني هذه الحرب التي لا تريد أن تنتهي، والبؤس الذي يفسد كلّ شيء من حولنا "[5]،

---

[1] - الرّواية : ص74
[2] - الرّواية : ص10
[3] - الرّواية : ص108
[4] - الرّواية : ص87
[5] الرّواية : ص 59

فكلّ شيء بائس: عمل عتيق في السّجن الذي كان مستوصفا في السّابق حيث البرد القاسي، وبيته الأشبه بكوخ، كلّ شيء فيه بال، والذي لا يختلف عن وضع محسن إلّا في مسألة طريقة الزّواج، فعتيق زواجه كان بدافع ردّ الفضل والتّقدير، دون حب، أما محسن فتعرّف على زنيرة، أحبّها لكنّ الأسرتين لم تصمدا ولم تقدّرا على مواجهة الواقع الاجتماعي المرّ، حتى" أصحاب المحلّات أخفوا ابتساماتهم في الخزائن"[1]، كلّ شيء في كابول يقوم على العنف، وحّتى لتفريق الأطفال يستعمل السّوط، فلا حقّ لهم في اللّعب، "ممّا أجبر حراس الملشيات على توزيع الضّربات القوية،كي يفرضوا نوعا من الهدوء "[2]، وعتيق نفسه ليصل إلى عمله بسرعة بعد تأخره، استعمل كرباجه للمرور بين الأطفال...، مجتمع تعوّد على العنف رغم كرهه له إلّا أنه أصيب بهستيريا جماعية.

وقد أبرزت الرّواية تمزّق العلاقات الاجتماعية وفتورها في ظلّ تلك الظّروف، فصعب إقامة علاقة صداقة من جرّاء انعدام الثقة بين الناس،" لقد أضحى الخوف، اليقظة الأكثر فعالية، ولا يغفر الطالبان للألسن المتهورة "[3]، وهذا دلالة على سياسة التّرهيب المفروضة من حركة طالبان فكلّ من يخالفها مصيره الموت بين يدي أسياد المدينة، " وأضحى كلّ فرد يفضّل احتضان نوائبه في زاوية، كي لا يثقل كاهله بنوائب الغير"[4]، ولا أحد منهم يسلم من هذا البؤس والشّقاء في مدينة انزوت في كفن اللّيل، ولم تجد غير الأشباح تزيد من رعبها رعبا، وقد جاء في الرّواية أن لا أحد يستند على أحد ويخفّف عنه، فحتى جارات مسرة لم تتضامن معها، قال عتيق : " إنّ جاراتك على علم بمرضك، ولكن لم تأت إحداهنّ ولو مرّة للنّظر في كيفية مساعدتك"[5]، رغم أنّ زيارة الجار حثنا إليها الرّسول صلى الله عليه وسلم وديننا الحنيف ودعانا إلى الاهتمام بالجار وحفظه وصونه وزيارته وعيادته، **فهل منعتهم حركة طالبان من زيارة الجيران؟**، لم يرد ذلك صريحا في الرّواية.

إذا هل أهل كابول اعتادوا وتعوّدوا على الأمر؟، فكانوا أيضا أعداء لها كما قال نازيح؟، فساعدوا رجال طالبان في نشر مخطّطاتهم، وإحكام سيطرتهم، ومع ذلك هذه العزلة الاجتماعية مصدرها عدم الثّقة والخوف من الألسن المتهوّرة، وممكن لكون زوجها يعمل سجّانا أيضا، فالكل خائف حتّى الرّجال، فعتيق لم يعد يبالي بالاجتماع عند الحاج بلوان والثّرثرة، كان أشبه بميّت لولا الحبّ الذي أحياه ثم قتله في الأخير.

كما كشفت الرّواية عن تهميش طالبان للمثقف والمرأة خاصة، فالكلّ خاضع لسيطرتها، فقد محسن ثروته وتقبّل الأمر،

كما منعت زنيرة المثقّفة من ممارسة عملها كمحامية، وحتّى عاداتهما الجميلة فقداها.

---

[1]- الرّواية : ص17

[2] -الرّواية : ص18

[3] - الرّواية : ص36

[4] - الرّواية : ص36

[5] - الرّواية : ص57

وجاء في الخطاب الرّوائي أنّه " كان هناك في جلالباد عالم كبير، عالم يملك أجوبة لكلّ شيء، لا يوجد كتاب لا يعرفه، يحفظ عن ظهر قلب الأحاديث النبوية الشّريفة الصّحيحة، يعرف الأحداث التّاريخية الكبرى، التي طبعت التّاريخ الإسلامي، من أقصى الشّرق إلى أقصى الغرب، لقد كان الرّجل مذهلا، فلو أطال الله عمره إلى يومنا هذا لانتهى به المطاف في أعلى المشنقة أو تحت المقصلة، ذلك أنّ علمه يتجاوز كلّ اتفاق"[1].

وإحضار الرّاوي لهذه الشّخصية داخل الرّواية دليل على الرّؤية التّهميشية التّعسفية لطالبان اتجاه المثقف، وكأنّه يحمد الله أنّ العالم الكبير الذي يفوق طالبان في ثقافتهم الدّينية، مات ولم يكن ضحيّة مشنقتهم، ليس بسبب كونه فاجرا بل ستلفّق له تهمة كي لا يتعرّض لمصالحها، ولأنّه يفقه الدّين الإسلامي جيّدا وتاريخه، فتخشى أن يزيل الغشاوة عن أعين النّاس، الذين نومتهم طالبان خلف أقنعتها.

كما تحدّث نازيح عن الموسيقى مع عتيق وتمنّى أن تعود الأفراح إلى المدينة الغارقة في الأحزان، والتي منعت فيها الموسيقى، وقد أصبحت النّساء بلا صوت ولا لون ولا جاذبية كأسراب سنونوات لا فرق بينها، وقد تحسّر نازيح على غياب الموسيقى، فقال :" الموسيقى هي النّفث الحقيقي للحياة، نأكل كي لا نموت جوعا، نغنّي ليدبّ نفس الحياة في أجسادنا، هل تفهم يا عتيق؟"[2]، فرجال طالبان حرموا أهلها من الأفراح، وحتّى الضّحك وهذا ما جعل نازيح ينفذ وعده أخيرا، إذ غادر مدينة الأشباح بلا وداع ولا شكر، كما قال، ولم تفرح المدينة ولم تطرب، .

ورغم كلّ هذا الشّقاء والبؤس، الروائي ياسمينة خضرا تحدّث عن بعض العادات والتّقاليد والوسائل التّقليدية كرؤية ثقافية ، والتي مازالت قائمة في المجتمع الأفغاني رغم ندوب الزّمن، تظهر من خلال ما أحضر نازيح لعتيق حين زاره في السّجن "قليل من اللّحم المجفّف وبعض العنيبات"[3]، والجلوس على جلد الغنم الممدّد على الأرض، وفي بيت عتيق جاء في الرّواية :"أنّه رتّب قنديله الزّيتي إلى جانب قربة جلد الماعز وصندوقه المغطّى بالقطيفة الذي يحوي نسخة كبيرة من القرآن، ثم لفّ حصير الصلاة "[4].

فالرّواية كشفت بعض عادات أهل كابول، التي مازالت محافظة عليها كالعمائم للرّجال، والاعتماد على الحصير في الغرفة والسّجاد، والحمالّة الخشبية الصغيرة، و كهوف الدّراويش بحثا عن الدّواء والتمائم.

هذا البعد الوحيد الذي بقي من عادات الماضي الجميل، أمّا راهنه فقد كشف الرّاوي عن أبعاده المختلفة والمتشابكة في نفس الوقت، فالجانب السّياسي أثّر على الجانب الدّيني والاجتماعي والتّاريخي، وكلّ رؤية تؤثر في رؤية أخرى لتكوّن الرؤية الأيديولوجية للروائي والرواية والتي تبدو ضمنيا داخل الخطاب الروائي وهي رؤية تنبذ العنف، وترفض إذلال المرأة ، واغتصاب حقوقها بذريعة حمايتها، رؤية ترفض العنف باسم الدّين الإسلامي من طرف حركة طالبان،

[1] - الرّواية : ص122
[2] - الرّواية : ص90
[3] - الرّواية : ص68
[4] - الرّواية : ص21

وتفضح تناقضاتها من خلال شخصياتها وأحداثها، رؤية الكاتب متشبّعة بالثّقافة الاسلامية، بدليل كثرة الاقتباسات المعتمدة في لغة الخطاب الرّوائي، ليس بلسان الملّا بشير، زعيم طالبان الروحي فقط بل حتى بلسان زنيرة الواثقة بالعدالة الإلهية رغم رفضها للشّادور المفروض عليها، كغيرها من نساء كابول وليس لأنها ترغب في البهرجة لكن فرضه بتلك الطريقة بلونه وشكله لم تتقبّله.

و رؤية الكاتب تظهر من خلال رفض حالة التّعفن السّياسية والاجتماعيّة والاقتصادية في مدينة كابول، وتكشف عن علاقتها بالغزو السّوفييتي أوّلا من النّاحية التّاريخية والسّياسية والذي تسبّب في إحداث النّعارات وتشتيت شمل الأمّة ، وفي نشوب حروب أهليّة أغرقت البلاد، وأغرقت أهل كابول وشخصيات الرّواية في عالم هجره الأولياء الصّالحون، عالم يريد السّلطة والحكم يرفض المثقف ويهمشه، يفسّر الدّين بما يخدم مصالحه، يستغلّ الدّين فيغتصب الحقوق ويذلّ المرأة التي كرّمها الله، وجعل الجنّة تحت أقدامها، عالم طالبان، الذي لم يرحم حتّى المجنون الذي رفع عنه القلم، ورغم أنّ رؤية الرّوائي الأيديولوجية تتّضح من خلال لغة السّرد وتدخّلات الرّاوي إلّا أنّنا تحدثنا عن رؤى أخرى، وذلك أثناء كشفنا عن الرّؤى المكوّنة لرؤيته الأيدبولوجية ولأفكاره المشحونة في الخطاب الرّوائي والتي جعلت الغرب يهتم اهتماما بالغا بالرّواية وراويها، خاصة الدّول الرّأسمالية كأمريكا وفرنسا...

وممكن لأنّ الرّواية حملت أيديولوجية معارضة للاشتراكية السّوفييتية، وهذا ما يرضي الولايات المتّحدة الأمريكية ضمن ما يسمّى بالحرب الباردة، كما أنّ أيديولوجية رفض حكم التيار الإسلامي الأصولي لحركة طالبان وفضح أعمالها الإجرامية التي ادّعت أنّها تقيمها، باسم الشّريعة الإسلامية من شأنه تشويه صورة الإسلام عند الغرب، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر، وهذا كرؤية أيديولوجية حتى لمترجم الرّواية، وتبقى كلّها مجرّد رؤى لم يكشف عنها الكاتب صراحة وإنما قالتها شخصيات من ورق بطريقة مضمرة، وبعضها فهمناه من المرجعية السوسيوتاريخية للرّواية والواقع ومن رؤيتنا الأيديولوجية للغرب أيضا.

خاتمـــــــة

الخاتمـــــــــــة

وفي ختام بحثنا نخلص إلى أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها من خلال رصدنا للرّؤية الأيديولوجية في نماذج من الرّواية الجزائرية بصفة عامة وفي رواية سنونوات كابول لياسمينة خضرا بصفة خاصة والتي تتمثّل في :

إنّ العلاقة بين الأيديولوجيا والرّواية هي علاقة متينة، والرّواية الجزائرية سواء المكتوبة باللغة الفرنسية أو اللغة العربية لا تخلو من الشّحنات الأيديولوجيّة المرتبطة بأفكار الكاتب وتوجّهاته المضمرة داخل البنية السّرديّة للخطاب الرّوائيّ، وقد تمكّن الرّوائي الجزائري من التّعبير عن القضايا الوطنيّة والقومية الرّاهنة عبر المراحل التّاريخية المختلفة فكان لسان أمته وابن بيئته وزمانه، وقد نجح في التّعبير عن رؤيته الاجتماعيّة والسياسية والثقافية، فواجه المستعمر وعبّر عن رفضه لأعماله الوحشية من خلال شخوص ورقيّة، فكان موضوع الثّورة أحد المواضيع التي لازمت الرّواية الجزائرية لمدة زمنية طويلة وقد رافقتها عدّة نزعات منها الاندماجية والنضالية ...

والمرحلة التي عرفت فيها نقطة التّحول في تاريخ الرّواية الجزائرية هي مرحلة التّسعينيات خاصة بعد أحداث أكتوبر1988م وهي مرحلة الأزمة التي ظهرت فيها أيديولوجيات مختلفة، وكان على الأديب أن يبدي موقفه من الوضع الرّاهن الذي طرأ على الأمة الجزائرية وأهمها ظاهرة العنف و التّعصب الدّيني الذي جرّ الجزائر إلى مجازر بقيت آثارها النّفسية إلى يومنا هذا، والأديب الجزائريّ الذي عانى من تهميش السّلطة وتهديد الجماعة الإسلامية لم يجد إلّا أدبه ليضمر مواقفه الأيديولوجية من خلال البنية السّردية للنصّ الرّوائي، وقد نجح الرّوائيون الجزائريون في ذلك كما رأينا في الفصل الأوّل.

أمّا الرّواية التي اخترناها كأنموذج فهي رواية بلسان فرنسي وبقلم جزائريّ، سنونوات كابول، والتي لم تختلف كثيرا عن روايات التّسعينيات التي حملت رؤى كتابها الذين رفضوا أيديولوجيا العنف خلف قناع الدّين.

وباعتبار الرّواية عمل قابل للتكيف مع المجتمعات الإنسانية، فإننا نرى أن الرّوائي ياسمينة خضرا تمكن في روايته من رصد مختلف الظواهر الاجتماعية والسياسية التي عاشها المجتمع الأفغاني، والتي كانت سببا في خراب مدينة كابول فاتخذ الكاتب الرّواية كوسيلة للتّعبير عن رفضه لأيديولوجيا العنف تحت ذريعة الدّين الإسلاميّ.

وقد نجح الرّوائي عبر لغته الموحية بالأبعاد الأيديولوجيّة المختلفة في كشف معاناة المرأة الأفغانية وسط المجتمع الذكوري الذي لا يراها إلّا خادمة مرؤوسة مهمّشة، تجيد السّكوت ولا يحقّ لها التّحدّث أمام رجل أجنبّي أو الدّفاع عن نفسها، وهذا دلالة على رفض الضّيم الذي لحق المرأة كرؤية أيديولوجيّة خاصة.

كما أنّ رؤية الرّوائي الأيديولوجية تتّضح من خلال لغة السّرد وتدخّلات الرّاوي، وعند كشفنا عن الرّؤى المكوّنة لرؤيته الأيدبولوجية ولأفكاره المشحونة في الخطاب الرّوائي كشفنا

عن بعض الأسباب التي جعلت الغرب يهتم اهتماما بالغا بالرّواية وراويها، خاصة الدّول الرّأسمالية كأمريكا وفرنسا, والتي من بينها كون الرّواية حملت أيديولوجية معارضة للاشتراكية السّوفييتية، وهذا ما يرضي الولايات المتّحدة الأمريكية ضمن ما يسمّى بالحرب الباردة، كما أنّ أيديولوجية رفض حكم التيار الإسلامي الأصولي لحركة طالبان وفضح أعمالها الإجرامية التي ادّعت أنّها تقيمها، باسم الشّريعة الإسلامية من شأنها تشويه صورة الإسلام في العالم.

كما كشفت الرّواية واقع المجازر والاغتيالات التي ترتكب ضدّ أهل كابول، من طرف حركة طالبان والتي قلبت حياتهم رأسا على عقب، وما جاء في الرّواية أثبته التّاريخ ومازال لصيقا بالمجتمع الأفغاني إلى يومنا هذا، وهو ما خلّف آثارا نفسيّة وخيمة على شخصيات الرّواية والتي عبّرت هي الأخرى بطريقتها عن أيديولوجيتها.

وقد سعى الكاتب إلى كشف حقيقة حركة وطالبان وما تضمره خطاباتها الأيديولوجية بلسان الملاّ بشير والتي سحرت العقول وغسلت الأدمغة بنشر أفكارها المسمومة المتطرّفة، واستغلّت الدّين والزوايا ليرضع الأطفال فكرها االأصولي، كما كشفت الرّواية عن الحالة الاجتماعية المزرية لأهل كابول من جراء سلسلة الحروب بداية من الغزو السّوفييتي إلى سيطرة طالبان وأعمالها الإجرامية ضد الإنسانيّة والتي لم ترحم حتّى مجنونها.

وقد غاصت الرّواية في أعماق المجتمع الأفغانيّ، فسبرت أغواره وعرّت الواقع الأفغاني الأليم، فأرّخت بذلك لكل أشكال العنف والممارسات اللّاأخلاقية ضدّ الإنسانيّة بدافع ظاهر وهو الإسلام وأبعاد أيديولوجيّة مضمرة وأهمّها الرّغبة في السّيطرة على البلاد.

وقد مثّلت الرّواية الرّؤية الأيديولوجيّة للكاتب عبر بنيتها السّردية، فاستحضرت التّاريخ ومختلف المظاهر الاجتماعية والثّقافية والسّياسية والدّينية، التي تميّز مجتمعا من المجتمعات الإنسانيّة في بيئة زمكانيّة معيّنة وعرّت الواقع بتناقضاتها ساعية إلى إزالة الغشاوة، بفضح حقيقة ما حدث هناك ولم لا ما يحدث في الجزائر خلال العشرية السوداء، كاستعارة أخرى إلى جانب اسمه المستعار.

وقد أدى أسلوب المقارنة بين زمنين مختلفين باعتماد تقنية الاسترجاع، دورا فعّالا في كشف رؤية الكاتب الأيديولوجية ورؤية الشّخصيات الرّئيسيّة في حدّ ذاتها الرّافضة لكلّ مظاهر العنف.

.

الملحق

الملحق :

ياسمينة خضراء : باللاتينية Yasmina Khadra :

هو الاسم المستعار للكاتب الجزائري محمد مولسهول. وهو كاتب جزائري يعيش في فرنسا، ويُعد من أشهر الروائيين الجزائريين في العالم، حيث كتب حوالي 40 رواية، ونشر مؤلفاته في أكثر من 50 دولة.

سيرته :

ولد بتاريخ 10 يناير/كانون الأول 1955 بالقنادسة في ولاية بشار الجزائرية، كانت والدته ذات الأصول البدوية «الراوية الرئيسية» لقبيلتها، وكان والده ضابطا ممرضا، وانضمّ إلى جيش التحرير الوطني الجزائري مع بداية الكفاح الجزائري ضد فرنسا، في عمر التاسعة التحق مع أخويه الأصغر سنًا منه بمدرسة أشبال الثورة في قصر المشوار بتلمسان بالغرب الجزائري، وهي مدرسة تديرها وزارة الدفاع الوطني، وتتكفل وزارة التربية بالدراسة، والحياة فيها شبه عسكرية، يصف محمد بداية شغفه بالكتابة في سيرته الذاتية بعنوان «الكاتب»، حيث أراد أن يكون شاعراً في اللغة العربية، لكنه التقى بأستاذ من أصل فرنسي.

أنهى مجلده الأول من القصص القصيرة في سن الثامنة عشر أثناء وجوده في المدرسة العسكرية، والذي سيظهر بعد أحد عشر عامًا باسم «حورية» في 198

مسيرة عسكرية :

تخرج من المدرسة العسكرية متحصلا على الباكالوريا سنة 1974، والتحق بأكاديمية شرشال العسكرية حتى تخرج منها برتبة ملازم عام 1976، ثم التحق بالقوات المحمولة جوا، وخلال فترة عمله في الجيش أصدر نشر ثلاث مجموعات قصصية وثلاث روايات موقعة باسمه الحقيقي بين 1984-1989.

في أوائل التسعينيات كان متمركزًا على الحدود الجزائرية المغربية وفي ولاية وهران كقائد في القوات الخاصة، أثناء الانتشار العسكري ضد الأصوليين الإسلاميين والجيش الإسلامي للإنقاذ والجماعة الإسلامية المسلحة، وأصيب بثلاث انهيارات عصبية ونجا من كمينين وأجبر ثلاث مرات على الهبوط بطائرة هليكوبتر .

اعتزل الحياة العسكرية في عام 2000 بعد 36 عاماً من الخدمة وقرر التفرغ للكتابة واستقر لاحقاً مع أسرته في فرنسا.

في العام التالي 2001 نشر روايته «الكاتب» التي أفصح فيها عن هويته الحقيقية وتليها «دجال الكلمات» كتاب يبرر فيه مسيرته المهنية، وتبلغ شهرته حد العالمية حيث تترجم وتباع كتبه في 25 بلد حول العالم. تتطرق أفكار ياسمينة خضراء إلى مواضيع تهز أفكار الغربيين عن العالم العربي، حيث ينتقد الحماقات البشرية وثقافة العنف، ويتحدث عن جمال وسحر وطنه الأم الجزائر، ولكن أيضاً عن الجنون الذي يكتسح كل مكان بفضل الخوف وبيع الضمائر متذرعاً بالدين ومخلفاً وراءه حماماتٍ من الدم.

أعماله :

باسم محمد مولسهول :

بالفرنسية(Amen! : - آمين»، 1984.

بالفرنسية(Houria : nouvelles) : - الحرية: قصص»، 1984.
بالفرنسية(La fille du pont) : - الفتاة على الجسر»، 1985.
بالفرنسية(El-Kahira, cellule de la mort) : - القاهرة: خلية الموت»، 1986.
بالفرنسية(De l'autre coté de la ville) : - الجانب الآخر من المدينة»، 1988.
بالفرنسية(Le privilège du phénix) : - امتياز طائر الفينيق، الجزائر»، 1989.

باسم ياسمينة خضرة :

كل كتابات ياسمينة خضرة باللغة الفرنسية وهي:

بالفرنسية(Le Dingue au bistouri) : - الجنون بالمبضع»، 1990.
بالفرنسية(La Foire des enfoirés: les enquêtes du Commissaire Llob) : - معرض الأوباش: تحقيقات المفوض لوب»، 1993.
بالفرنسية(Morituri) : - موريتوري»، نشر توبي برس، 1997.
بالفرنسية(Double blanc) : - أبيض مزدوج»، 1998.
بالفرنسية(L'Automne des Chimères) : - الربيع الوهم»، 1998.
بالفرنسية(Les Agneaux du Seigneur) : - بسم الله»، 1998.
بالفرنسية(À quoi rêvent les loups) : - بماذا تحلم الذئاب»، 1999.
بالفرنسية(L'Écrivain) : - الكاتب»، 2001.
بالفرنسية(L'Imposture des mots) : - دجال الكلمات»، 2002.
بالفرنسية(Les Hirondelles de Kaboul) : - سنونو كابل»، 2002.
بالفرنسية(Cousine K) : - ابن عم كاف»، 2003.
بالفرنسية(La part du mort) : - قسمة الميت»، 2004.
بالفرنسية(L'Attentat) : - الهجوم»، 2005.
بالفرنسية(Les Sirènes de Bagdad) : - صافرات بغداد»، 2006.
بالفرنسية(Ce que le jour doit à la nuit) : - هذا هو الحال في الواقع»، رواية، 2008.
بالفرنسية(L'Équation africaine) : - المعادلة الأفريقية»، 2011.
بالفرنسية(Les anges meurent de nos blessures) : - الملائكة تموت من جراحنا»، 2013.
بالفرنسية(Qu'attendent les singes) : - ماذا تنتظر القردة»، 2014.
بالفرنسية(La derniere nuit du rais) : - ليلة الدكتاتور الأخيرة»، 2015.
بالفرنسية(Dieu n'habite pas La Havane) : - ليس لهافانا ربّ يحميها»، 2016.
بالفرنسية(Ce que le mirage doit à l'oasis) :»، 2017.
بالفرنسية(Khalil) : - خليل»، 2018.
آلهة الشدائد»، 2010.
زهرة البليدة»، 2005."[392]

[392] - https://ar.wikipedia.org/wiki ، ياسمينة خضرا.

Une pépite
À voir d'urgence
LES
HIRONDELLES
DE KABOUL
Yasmina
Khadra
Les hirondelles
de Kaboul

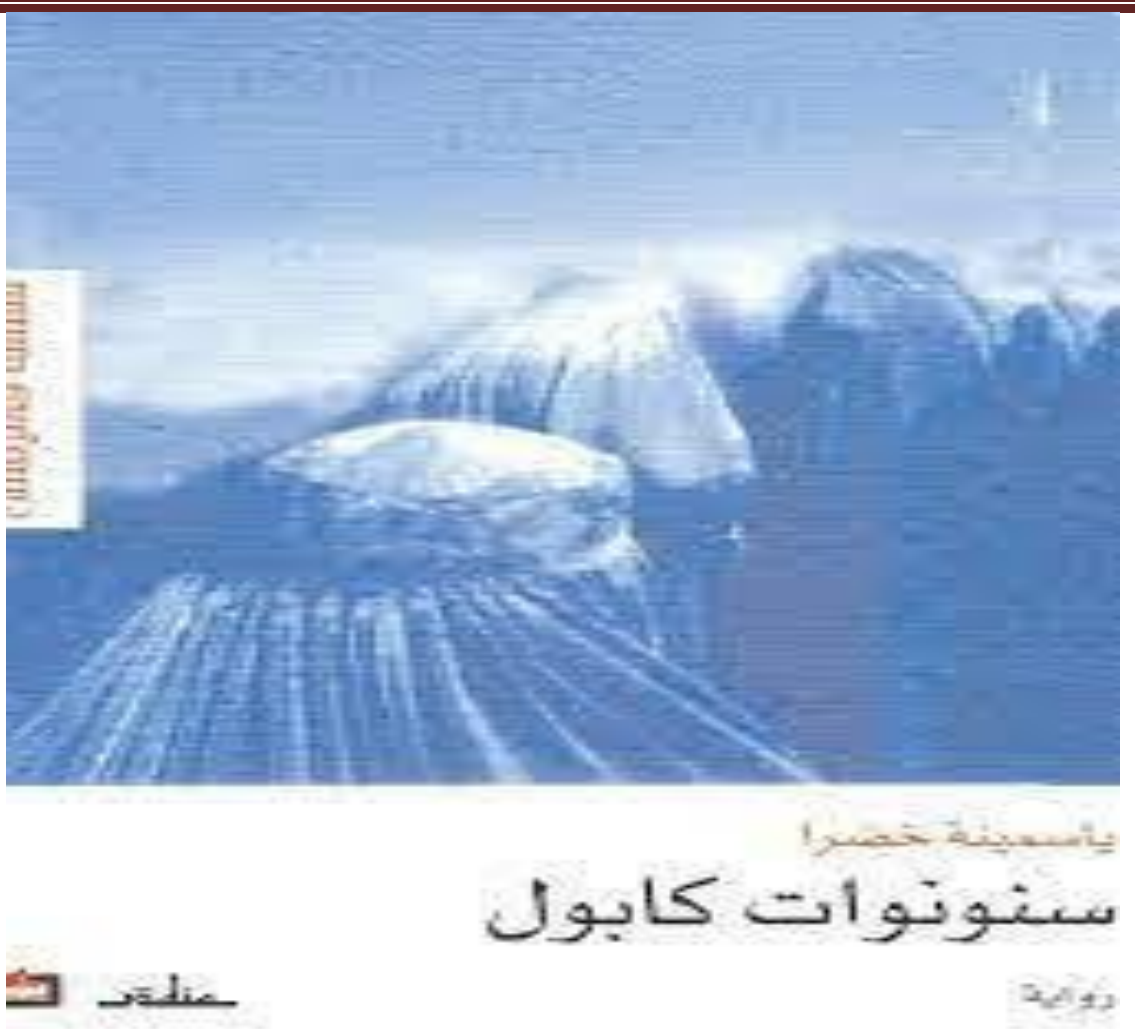

المترجم : محمّد ساري

محمّد ساري، روائي وناقد ومُترجم أدبيّ جزائريّ، من مواليد (1958). تخرَّج في جامعتَي «الجزائر»، و«السوربون» في باريس، وأستاذ النقد الحديث ونظرية الأدب والسيميولوجيا في جامعة «الجزائر2». يكتب باللّغتَيْن؛ العربيّة والفرنسية، وله مجموعة من الإصدارات في الرواية والنقد، كما ترجم ونَشَر زهاء عشرين رواية من الفرنسية إلى العربيّة، إلى جانب ترجمات أخرى في مجالات النقد والفكر والفنّ والتاريخ والسياسة[393].

[393] -https://www.dohamagazine.qa، حوار: نوارة لحرش، 17 مارس 2021، شوهد 15-04-2022م.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- **المصادر:**

1. ياسمينة خضرا، تر: محمد ساري : سنونوات كابوول، دار الفرابي، بيروت-لبنان، ط1، 2007م

- **المعاجم:**

1-ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين : لسان العرب، مج4، دار الحديث، القاهرة، 2003م
2-جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1982

- المراجع :

1. أبو قاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط 5،2007 م.
2. أحمد فرحات : أصوات ثقافية من المغرب العربيّ، الدّار العالميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط1، 1984م.
3. أحمد منور : الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ(شأته وتطورّه وقضاياه)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط،2007م
4. أحمد منوّر : أزمة الهويّة في الرواية الجزائرية باللّغة الفرنسيّة، دراسة أدبيّة، دار السّاحل، ط1، 2013م.
5. إدريس بودیبة : الرّؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، شركة أشغال الطّباعة، قسنطينة، ط1، 2000م
6. بوشوشة بن جمعة : التجريب وحداثة السّردية في الرّواية العربيّة الجزائريّة، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2005 م.
7. بوشوشة بن جمعة : الرواية العربية الجزائرية (أسئلة الكتابة والصيرورة)، دار سحر للنشر، ط1, 1998م.
8. حميد لحميداني : النّقد الرّوائي والأيديولوجيا(من سوسيولوجيا الرّواية الى سوسيولوجيا النّص الرّوائيّ)، المركز الثّقافي العربيّ ، بيروت، ط1، 1990م.
9. شعيب حليفي : ثقافة النّصّ الرّوائيّ، شركة النّشر والتّوزيع، المدارس، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م
10. عادل فريجات : مرايا الرّواية (دراسات تطبيقية في الفنّ الرّوائي، اتّحاد كتّاب العرب، دمشق،دط، 2000م
11. عبد الله إبراهيم : ماهي الإيديولوجيا؟, علم الأفكار أم الأفكار من دون علم ؟، دار التنوير، مركز دراسات فلسفة الدّين، بغداد ، العراق، ط1، 2017 م.
12. عبد الله أبو الهيف : الإبداع السّردي الجزائريّ، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، دط، 2007م
13. عبد الله حمادي : أصوات من الأدب الجزائري الحديث ,دار البعث , قسنطينة , الجزائر، 2001م.

14. عبد الله خلف العسّاف : دراسة جمالية نصّيّة في الشّعر السّعودي الجديد (ممارسة في النّقد التّطبيقي)، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، دط، 2005م.
15. عبد المحسن طه بدر: الرؤية والأداة نجيب محفوظ .دار المعارف,القاهرة، مصر، ط3، 1984م.
16. عبد الملك مرتاض : نظرية الرواية، بحث في تقنيات السّرد، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998م
17. عبدالله العروي ; مفهوم الإيديولوجيا المركز الثقافي العربي، لدار البيضاء، المغرب، ط5، 2012م.
18. علال سنقوفة : المتخيل والسلطة، منشورات الاختلاف، ط2، 2000م.
19. عمار بلحسن : الرواية والإيديولوجيا، نشر وتوزيع مراكش، المغرب، ط2، 2016م.
20. عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية ، بن عكنون، الجزائر، 1995م
21. فيصل الأحمر : دراسات في الأدب الجزائريّ، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر ط1، 2009م.
22. محمد مصايف : الرّواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1983م
23. محمود الضبع : الرّواية الجديدة، قراءة في المشهد العربيّ المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2010م.
24. واسيني الأعرج : اتّجاهات الرّواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986 م.
25. واسيني الأعرج : الطاهر وطّار (تجربة الكتابة الواقعية، الرواية أنموذجا، دراسات نقدية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989م.
26. ياسين النصير : الرّواية والمكان (الموسوعة الصّغيرة 195)، دار الشؤون الثّقافية العامة، بغداد، دط، 1980م.

- **الكتب المترجمة:**

1. ريمون بودون وفرانسوا بوريكو : المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر : د.سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1986م
2. جوران ثربورن، تر: إلياس مرقص :أيديولوجية السّلطة وسلطة الأيديولوجيا، دار الدّوحة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان, ط1, 1982م

المقالات والمجلات:

1. إبراهيم سعدي : الرواية الجزائريّة والرّاهن الوطنيّ، الخبر الأسبوعي، العدد 4، ديسمبر 1998.
2. دحو مامة : بناء الزّمن والمكان في الرّواية العربية ، مجلّة كليّة الآداب واللّغات والفنون، العدد 10، دت.

3. دليلة براف : مجلة البحوث والدراسات القانونية والسياسية، العدد الخامس، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سعد دحلب، البليدة.
4. رابح شريط : تمظهرات الزّمن في الرّواية الجزائريّة المعاصرة (قراءة في نماذج)، مجلّة جسور المعرفة، جامعة عبد الرحمن ابن خلدون تيارت، المجلّد 05، العدد04
5. رفيقة سماحي : دلالة المكان وأبعاده في رواية (القريبة كاف) للرّوائي ياسمينة خضرا، مجلة المدونة ، المجلد 8، العدد 3، سبتمبر 2021.
6. رفيقة سماحي : شخصيات بين الفنية والواقعيّة في رواية " بم تحلم الذّئاب للرّوائيّ ياسمينة خضرا "، مجلّة الاثر، جامعة طاهري محمد بشار، العدد32، ديسمبر2019م، ص216
7. رفيقة سماحي: تجليات المناص في رواية سنونوات كابول للروائي ياسمينة خضرا، مجلة البدر، جامعة طاهري محمد بشار المجلد 9،العدد، 11، 2017م.
8. شرف الدين مجدولين : الرواية والمنفى وسؤال الغيرية (ذاكرة الماء لواسيني الأعرج)، مجلة إبداع، الهيئة العامة المصرية للكتاب العدد ديسمبر /يناير 1999م - 2000مferhatnaji94@gmail.com
9. صليحة قصابي : صيغ بناء المكان بين الانفتاح والانغلاق في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية, رواية بماذا تحلم الذئاب ؟لياسمينة خضرة –أنموذجا-, حوليات الآداب واللغات .كلية الآداب واللغات ,جامعة محمد بوضياف، المسيلة الجزائر, المجلد 5, العدد 10، فيفري 2018مannalettres@gmailcom
10. عبد الحق منصور بوناب : معادلات المكان بين المنهج والنّصّ في الرّواية الجزائريّة(تفنست، وشرفات الكلام) أنموذجا، مجلّة دراسات، جامعة20أوت 1955م سكيكدة، ديسمبر2016م.
11. فرحات ناجي :صناعة العنوان الروائي في الرواية العربية الشرفات، عينةالتعليمية، مخبر الدّراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربيّ، المركز الجامعي، مغنية (الجزائر), المجلد11, العدد2، نوفمبر 2012،
12. مبروك كواري : القمع والسّرد، غرابة السرد وسخرية الواقع في رواية سنونوات كابل، مخبر الدراسات الصحراوية ,جامعة طاهري محمد بشار .دت.
13. معروف حبيب :تيمة المكان المغلق في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة في رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد .مجلة نتائج الفكر الصادرة عن معهد الآداب واللغات , المركز الجامعي صالحي أحمد عنابة ,العدد5-6 ,السّنة2000 maroufhabib29@yahoo.fr
14. مروة حامد البدري وآخرون : نشأة وتطور الجماعات الجهاديّة في أفغانستان(حركة طالبان وتنظيم القاعدة وتنظيم الدّولة الإسلاميّة في العراق والشام نموذجا)، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، كلية التجارة وإدارة الأعمال، جامعة حلوان، المجلد34، العدد 1، مارس 2020م.
15. ميادة عبد الله محمد عبد الله الحلو : الاحتلال السوفييتي لأفغانستان(179-1989م)، المجلة العلمية لكلية الآداب، قسم التاريخ جامعة دمياط، مجلد 10، العدد1(2021م

16. هنيّة جوادي : البعد السّوسيوثقافي في رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش لواسيني الأعرج، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 18، مارس2010م

➢ المواقع الإلكترونية:

1. أحمد يخلف : حديث نادر جدا في حقوق النساء، أرشيف ملتقى أهل الحديث، 17-06-2017م، ساعة : 15:36م، المشاهدة : 15-04-2022م، ساعة 20:00م، https://al maktaba.org/book/31615/8270
2. د-أمين بن عبد الله الشقّاوي : شرح حديث : يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا، تاريخ النشر 16-12-2017م،تاريخ المشاهدة 12-04-2022م، https://www.alukah.net/sharia
3. صهيب عبد الجبّار : المسند الموضوعيّ للكتب العشرة، كتاب إلكتروني،ج8، https://maktaba.org/book/32866/13630
4. عبد الرزاق دحنون : سنونوات كابول بين الرواية والفيلم ،19 أوت 2019م، المشاهدة 15-4-2022م، https://alantologia.com/blogs/47726/
5. فيصل بن عبد العزيز آل مبارك : حدّ الزّنا في الفقه الإسلامي، تاريخ النّشر:26-09-2017م ، تاريخ المشاهدة : 20-04-2022م، السّاعة : 13:00، https://www.alukah.net/sharia
6. محمد العنتيلي : الرّؤية في المفهوم النقديّ، 23ديسمبر2017م، ساعة 12:05ص، الاطلاع 12 فيفري 2022م، ساعة 13:30. https://www.rqiim.com/elentably
7-محمد عباس: الشخصية ومحلها في الرّواية ، القدس، تاريخ النّشر : 28أفريل2016م، تاريخ المشاهدة :20-04-2022م،
8- https://ar.wikipedia.org/wiki الاغتصاب في أفغانستان.

الفهرس

الفهرس

العنـــــــــــــــــــــــــــــــوان	الصفحة
إهداءات	-
تشكرات	-
مقدمة	أ-و
الفصل الأول : مفاهيم ومصطلحات ورؤى	8
1-مفهوم مصطلح : رؤية	9
1-1-مفهوم مصطلح رؤية لغة	9
1-2- مفهوم مصطلح رؤية اصطلاحا	10
2- مفهوم مصطلح : أيديولوجيا	11
2-1- مفهوم مصطلح : أيديولوجيا لغة	11
2-2- مفهوم مصطلح : أيديولوجيا اصطلاحا	12
3-مفهوم مصطلح : الرّواية	15
3-1- مفهوم مصطلح : الرّواية لغة	15
3-2- مفهوم مصطلح : الرّواية اصطلاحا	15
4 نشأة الرّواية الجزائريّة ومضامينها.	16
4-1- نشأة الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللغة العربية ومضامينها. 4-2- المطلب الثّاني : نشأة الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللغة الفرنسية ومضامينها.	17 23
5- الرّؤية الأيديولوجية في الرّواية الجزائريّة. 5-1- الأيديولوجيا والرّواية. 5-2- الرّؤية الأيديولوجية في الرّواية الجزائرية.	28 29
الفصل الثّاني : بنية السّرد وأبعادها الأيديولوجية في رواية سنونوات كابول.	37
1- الطّرح الأيديولوجيّ للرّواية	38
1-1- نبذة موجزة عن الرّواية و مرجعيّتها السّوسيوتاريخيّة.	38
1-2- تلخيص الرّواية (الطّرح الأيديولوجيّ للرّواية).	39
2- أدلجة العنوان	42
2-1- تعريف العنوان	42
2-2- البعد الأيديولوجيّ للعنوان (سنونوات كابول)	43
3- الأبعاد الايديولوجيّة للشّخصيات	44
3-1- مفهوم مصطلح الشّخصيّة	44
3-2- شخصيات الرّواية وأبعادها الأيديولوجيّة	45

4- أدلجة الزمن في رواية سنونوات كابول	57
4-1- مفهوم مصطلح الزّمن	57
4-2- تجليات الأيديولوجية في زمن الرّواية	57
5- أدلجة المكان في رواية سنونوات كابول	63
5-1- مفهوم مصطلح المكان.	63
5-2- تجليات الأيديولوجية في مكان الرّواية أ-الأمكنة المغلقة ب- الأمكنة المفتوحة	64
الفصل الثّالث : الرّؤية الأيديولوجيّة في رواية سنونوات كابول	75
1-الرّؤية التّاريخيّة	78
2-الرّؤية الدّينيّة	83
3-الرّؤية السّياسيّة	95
4-الرّؤية الاجتماعيّة والثّقافيّة	104
خاتمة	
الملحق	
قائمة المصادر والمراجع	
الفهرس	

الملخص:
يهدف هذا البحث الموسوم بالرّؤية الأيديولوجيّة في الرّواية الجزائريّة (سنونوات كابول لياسمينة خضرا نموذجا) إلى الكشف عن مصطلح الأيديولوجيّة كعلم للأفكار خاصة وتبيين علاقته بالرّواية موضوع البحث، ولا يخفى علينا أهمية الرّؤية الأيديولوجيّة في أي عمل أدبيّ، إذ أنّها تقتحم الأبعاد الاجتماعيّة والسّياسيّة والدّينيّة والتّاريخيّة والثّقافيّة.
ورواية سنونوات كابول ذات شحنة أيديولوجية حاولت تقديم ظاهرة العنف والتّطرّف الدّيني والعنف المسلّط على الشّعب الأفغاني وأهل كابول خاصة، باسم الدّين الإسلاميّ وقد نجح الرّوائي ياسمينة خضرا في الكشف عن مختلف المظاهر اللّاإنسانيّة في مدينة كابول.
كلمات مفتاحية:
أيديولوجية، أفكار, رؤية، كابول.

Abstract:

This research, which is named by the ideological vision in the Algerian novel (The Swallows of Kabul by Yasmina Khadra as a model), aims to reveal the term ideology as a science of particular ideas and to show its relationship to the novel in question.

The Swallows of Kabul novel has an ideological charge that attempted to present the phenomenon of violence, religious extremism and violence against the Afghan people and the people of Kabul in particular, under the name of the Islamic Religion. The novelist Yasmina Khadra succeeded in revealing the various inhuman manifestations in the city of Kabul.

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في ..... 27 ديسمبر 2020

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): ..... الصفة: طالب، أستاذ، باحث .....

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 114.5.5.47 والصادرة بتاريخ 13-05-2019

المسجل(ة) بكلية / معهد ..... قسم ..... والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،

عنوانها: .....

.....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ: 14/06/2022م .

توقيع المعني (ة)